

بَيِّنَاتُ الْإِسْلَامِ وَالْمَسِيحِيَّةِ

كُتَابُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَزْرَجِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٥٨٢ هـ هِجْرِيَّةً

مُتَّفَقٌ وَقَدْ قَدَّمَ لَهُ زَعْفَرَانُ عَلَيْهِ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ شَامِرٌ

مَكْتَبَةُ وَهَّابٍ

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة تليفون: ٢٩١٧٤٧٠

فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة.

تحذير

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ، وغير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه ، أو تخزينه على أجهزة استرجاع ، أو استرداد إلكترونية ، أو ميكانيكية ، أو نقله بأى وسيلة أخرى ، أو تصويره ، أو تسجيله على أى نحو ، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من المؤلف .

All rights reserved. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the author.



" قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ
إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ
اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الرابعة

أرسى الإسلام قواعد التعامل مع معتنقى الأديان الأخرى على نحو لم تصل إليه الحضارة الحديثة ، إذ كانت العلاقات بين أتباع الأديان المختلفة منذ الأزل متوترة ، وصلت في كثير من الأحيان إلى إراقة الدماء أنهاراً ، فإن سكنت قرعة السلاح بين الحين والآخر ، فإن التراشق بالكلمات ظل متواصلاً ، لا يعرف الهدوء ، ولا يقر التوقف لسماح الآخر ، فالجدل الديني ظل سيد الموقف بين المتدينين ، ورمى كل الآخر بالهرطقة والكفر أصبح أسلوباً من أساليب التدين ، ومظهراً من مظاهر التقوى والصلاح ، وتفنيد ضلال الآخر وانحرافه نغمة محببة عند دعاة كل دين ، والدعاء على الآخر بالهلاك والدمار وتييم الأطفال ، وترميل النساء ... و ... و الخ سنة - إن لم تكن واجباً - من سنن التقرب إلى المعبود ، وإجبار كل الآخر على اعتناق عقيدته التي ارتضاها ديناً من أكبر الواجبات الدينية ، إن لم يكن أكبرها ، يضحى في سبيلها المتدين بكل ما يملك .. حتى نفسه ، يقدمها قرباناً لمعبوده ، حتى ينال رضاه ، ويحصل على ثوابه .

احتلت قضية الصراع الديني مكان الصدارة في تاريخ صراع الجنس البشرى ، إذ لم يخل عصر من العصور من وجود خصومة بين الشعوب على أساس ديني ، تصل في كثير من الأحيان إلى حد الصراع المسلح بينها ، كذلك لا يلتقي اثنان من أتباع دينين مختلفين إلا وتقوم بينهما مناقشات ومحاورات حول مبادئ وتعاليم عقيدة كل منهما ، تارة تكون بالفاظ مهذبة ، وأخرى تصل إلى حد التراشق بالألفاظ الخارجة عن موضوع البحث ، أو بأسلوب يتسم بالعنف والبعد عن الطريق الموصلة إلى الحقيقة.

كان هذا طابع الصراع الديني والخصومة المذهبية منذ القدم ، شب عليها الجنس البشرى ، جيلاً بعد آخر ، فأورثه ذلك أحقاداً وخصوماً بين الشعوب ، كما أنه خلف من الضحايا والمآسى ما تقشعر منه الأبدان ، إذ لم تروع البشرية على امتداد التاريخ الإنسانى بمثل ما روعت

به مما حل بها من آثار التعصب الديني الذي مزق الجنس البشري إلى معسكرات متحاربة ، يقتل بعضها بعضاً باسم الدين ، ويستحل بعضها دماء آخرين في سبيل الدعوة إلى العقيدة ، بل إن أبناء الدين الواحد تفرقوا شيعاً وأحزاباً يقتل بعضهم بعضاً في سبيل فرض رأى على آخر .

حتى جاء الإسلام ، فنهى عن سباب أتباع الأديان الأخرى ، مهما كان وضع عقيدتهم - سماوية أم بشرية - وعلى أى مستوى كانت درجات القيم والمبادئ التي يعتنقونها ويدعون إليها ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١) ، أى ولا تسبوا الذين يتخذون لأنفسهم معبوداً آخر غير الله إلهاً لهم ، سواء كان هذا المعبود بشراً ، أو حجراً ، أو أى صورة من الصور المادية في هذا الكون .
كما رسم الإسلام منهج الدعوة إلى الإسلام ، بعيداً عن العنف والاستهزاء بالآخر ، أو التعالى عليه ، فقال :

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) ،
بل إنه مدح الصالحين من أتباع الأديان الأخرى ، فقال : ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٤) ،

وأثنى على من يخشع لله ويطلب المغفرة منه ، فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرُهَبَانًا وَأَلْهَمَهُمْ لَآ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا

(١) الأنعام : ١٠٨ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٣) آل عمران : ٧٥ .

(٤) البقرة : ٦٢ .

جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَتَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَنَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا
 جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ ،
 ولم يجر من رفض الإسلام على الدخول فيه ، فقال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
 الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (٢) ،

بل إنه إستنكر حرص الرسول ﷺ على هدايه قومه ، حينما اقترب هذا الحرص من رغبته على
 إكراههم وحملهم بالقوة على اعتناق الإسلام ، فقال له : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي
 الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ، وهذه من أهم المبادئ
 - إن لم يكن أهمها - في مجال حرية الرأى والتعبير ، التي تحتل قائمة حقوق الإنسان في العصر
 الحديث .

عَلَّمَ الْإِسْلَامَ الْمُسْلِمِينَ أَدَبَ الْخَوَارِ فِي مَجَالِ تَصْحِيحِ مَا لَدَى الْآخَرِينَ مِنْ أخطاءٍ فِي
 العقيدة، إذ ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة ، ترشد المخطئين إلى الصواب بأسلوب لين،
 وتعبيرات مهذبة ، وإشارات رقيقة ، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ
 شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا
 نُشُورًا ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
 الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥﴾ .

وكان دقيقاً في الحديث عنم أخطئوا في حق الله تعالى ، فقال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
 إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ

(١) المائدة : ٨٢-٨٥ .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

(٣) يونس : ٩٩ .

(٤) الفرقان : ٣ .

(٥) الحج : ٧٣ - ٧٤ .

كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ، فلم يقل : لقد كفر المسيحيون الذين قالوا ... لأن منهم من لم يقل ذلك ، وكان في جداله معهم مهذباً ، حتى مع الذين تمادوا في تأليه عيسى عليه السلام ، إذ لم يستعمل في خطابهم أسلوباً جارحاً ، أو استهزاء منكرأ ، فقال : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (١١) .

غير أن الفكر الديني لم يلتزم بالتعاليم التي جاءت بها الأديان في هذا الصدد ، فتبارى علماء الدين والمفكرون المهتمون بالقضايا الدينية في الهجوم على أديان الآخرين سباً وقذفاً وافتئاتاً عليه ، ظناً منهم أنهم بذلك يؤدون خدمة لدينهم ، ويدافعون عن عقيدتهم ، ويحمون أتباعهم من تأثير الأديان الأخرى عليهم ، ومن يقرأ الكتب والمصنفات التي كُتبت حول هذا الموضوع ، لا يجد إلا تراشفاً ، ولياً للنصوص ، وتأويلاً لها تأويلاً يعدها عن روح الدين وقيمه ، بل وصل الأمر بالنصوص المقدسة - التي سبقت الإسلام - إلى تحريفها وضياع الكثير من أصولها ، ولهذا اهتم كثير من علماء الأديان ، والباحثين في علوم اللاهوت ، بدراسة الكتب المقدسة السابقة على القرآن الكريم ، من الناحية التاريخية ، والمنهجية ، فتوصلوا في أبحاثهم إلى أن هذه الكتب ليس وحيًا كلها ، لأنها تضمنت معلومات تاريخية غير صحيحة ، واشتملت على أخلاقيات تتنافى مع روح الوحي الصحيح . ومن المستبعد أن يخبر النبي بشئ مخالف للواقع ، لأنه يتلقى الوحي من الله ، وهو بكل شئ عليم ، كما أنه من المرفوض عقلاً ، أن يبلغ الناس أحكاماً لا تتفق مع روح الدين ، أو يرتكب أعمالاً تتعارض مع لمبادئ الدينية. ولهذا أخرج القرآن الكريم بأن هذه الكتب قد فقدت حجيتها ، لأنه اختلط فيها الحق بالباطل ، فيقول الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٢) ، ويقول : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ

(١) المائدة : ٧٣ .

(٢) المائدة : ١٧ .

(٣) آل عمران : ٧١ .

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ^(١) ، ويقول : ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾^(٢) .

ويُعدّ كتاب " بين الإسلام والمسيحية " من أهم كتب علم الأديان ، من حيث طرح قضايا المقارنة بين الإسلام والمسيحية ك : تعدد الزوجات ، ونعيم الجنة ، وقضية الصلب .. وغيرها ، ومن حيث بيان تحريف الكتاب المقدس الذى بين يدى اليهود والنصارى من خلال ما كتبه أهل الملة أنفسهم ، أضف إلى ذلك ما طرحه من قضايا اختلفت فيها الرؤى بين علماء الدين .

وإذ أقدم الكتاب - فى طبعته الجديدة - للقارئ ، أرجو من الله أن يجعله لبنة صالحة فى بناء الفكر الدينى ، إنه سميع مجيب .

محمد عبد الغنى شامة

القاهرة فى ١٥ يونيو ٢٠٠٦م

(١) آل عمران : ٧٨ .

(٢) المائدة : ١٣ .

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

تتخذ مظاهر الصراع البشرى منذ بدء الخليقة أسلوبيين :

- صراع فكري ،

- وآخر يغلب عليه الطباع العضلي .

وما يعرف الآن في ميدان القتال بحرب التكنولوجيا ، فلا زالت العضلات تلعب فيه دوراً رئيسياً .

ولا يخلو عصر من الصراع الفكري ، فاختلف الآراء - وهو نوع منه - علامة على حيوية المجتمع ، ومقدمة حتمية لتطوره ، إذا أراد كل طرف الوصول إلى الحق حيثما كان. أما التقليد - وكذلك حمل الناس على أن يعتقدوا بقدسية رأى بشرى ، عن طريق كبت المعارضة بقوة الحديد والنار - فهو نذير بانحيار المجتمع ، لأنه يقضى على البراعم الفكرية فيه ، ويوقف قلبه النابض بالحياة .

وغالباً ما ينحو الصراع الأيديولوجى بين الطوائف - وبين الشعوب - المختلفة في عقائدها ، ومذاهبها الدينية والسياسية ، منحى التعصب للمبدأ ، فيلجأ المفكرون إلى ما يدعم رأيهم ، وإن كان منافياً للمسلمات الأولية ، وحينئذ يشتد الجدل ، وتكثر المحاورات التى قد تودى إلى صدام مسلح .

وعندما تضع الحرب أوزارها ، يتجه الحوار وجهة أخرى ، إذ يتساءل المهزوم عن أسباب هزيمته :

هل يرجع ذلك إلى ضعف أيديولوجيته عن الصمود أمام العدو ؟

بل قد يتسرب الشك في صحة العقيدة إلى ضعاف النفوس ، والمترددن في قبولها.

بينما ينشط المنتصر - في ظل صدى الانتصار - ليكسب أتباعاً عن طريق إلقاء الشبه أمام العامة ، الذين لا يدركون أن أسباب النصر - أو الهزيمة - لا ترجع كلها إلى طبيعة الأيديولوجية من حيث هي ، بل تدخل فيها عوامل أخرى ، لا يستطيع رؤيتها إلا الخاصة .

وللتدليل على هذا يكفى المرء أن يتصفح تاريخ البشرية ، فيسجد أمثلة لا حصر لها ، من بينها ما وقع في " طليطلة " ، فقد احتفظت تلك المدينة القوطية القديمة بين أسوارها بالجسم الغفير من أبنائها المسيحيين ، الذين لم يقبلوا الإذعان ، والخضوع للحكم الأموي ، إلا بعد وقت طويل . ولم يكن هذا الإذعان إلا ظاهرياً فقط ، إذ عندما سقطت في أيدي " ألفونس " السادس ، ملك " قشتالة " ، ارتدت إلى النصرانية . حظيرتها القديمة . وأعقب ذلك صراع فكري ، بين المسيحيين ، ومن بقى فيها من المسلمين ، واتخذ ذلك صورة حوار حول المقارنة بين مبادئ العقيدتين : المسيحية والإسلام .

والكتاب الذي تقدم له ، هو إحدى مظاهر هذا الصراع ، وقع اختيارنا عليه لأنه يتناول مسائل ذات أهمية كبرى لمن يهتمون بدراسة علم مقارنة الأديان . وليس أماننا الآن سوى مخطوطة واحدة ، عثرنا عليها مصورة في مكتبة الجامعة العربية وهي تحت رقم ٢٢٥ توحيد ، والنسخة الأصلية في مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ .

ونظراً لضيق الوقت ، رأينا أن نخرج الكتاب ، معتمدين على هذه النسخة فقط ، آمليين أن يهدينا البحث - بتوفيق الله - إلى العثور على نسخ أخرى ، نرجع إليها - إن شاء الله - في الطبعة الثانية ، التي سنضمونها أيضاً نبذة عن الإسلام في الأندلس ، ودراسة لحياة مؤلف الكتاب .

وقد آثرنا في تخريج فقرات الكتاب المقدس ، أن ننبثها كاملة ، حتى لا يضطر القارئ إلى الكشف عليها ، لأن في ذلك مشقة عليه . وكذلك الأمر في الآيات القرآنية ، التي أشار إليها النص ، أما التي ذكرت كاملة فيه ، فقد اكتفينا بتخريجها فقط .

ونحن إذ نقدم الكتاب ، في صورته الراهنة ، لطلبة جامعة الأزهر ، ندعو الله أن يوفقنا إلى المزيد من دراسة المواضيع ، التي اشتمل عليها في الطبعة الثانية .

إنه سميع مجيب

محمد عبد الغنى شامة

القاهرة في ٤ أكتوبر ١٩٧٢



مقدمة الطبعة الثانية

(١)

اشتبك المسلمون مع المسيحيين في معارك كثيرة ، ومن أهم المناطق التي ألتحم فيها الصراع عسكرياً ، وفكرياً ^(١) أسبانيا التي أطلق عليها المسلمون " الأندلس " ^(٢).

^(١) والكتاب الذي نقدم له يبين لنا إحدى ظواهر الصراع الفكري ، ولكنى تلقى ضوءاً على الظروف والملابسات التي أحاطت - وسيقت في الزمن - المؤلف ، رأينا أن نعرض هنا موجزاً لتاريخ الدولة الإسلامية في أسبانيا ، ليستحضر القارئ في ذهنه - أثناء قراءة هذا الكتاب - صورة الصراع السياسي الذي ابتلى به المسلمون منذ الفتح في عام ٩٢هـ - ٧١١م حتى طردوا من أسبانيا لمهائياً في عام ٨٩٧هـ - ١٤٩٢م " ، وليس الغرض تقديم صورة كاملة للأحداث ، لأن هذا مفصل في كتب التاريخ ، بل عرض الخطوط العريضة لها ، مع بيان أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة الإسلامية في تلك البقاع ، ومن أراد تفصيلاً فليرجع إلى المراجع التاريخية .

^(٢) يطلق المؤرخون والجغرافيون العرب كلمة " الأندلس " على شبه جزيرة " إيبيريا " المكونة من أسبانيا والبرتغال (ياقوت : معجم البلدان تحت كلمة الأندلس ، والروض المعطار ص ١) . وتطلق في الرواية العربية أيضاً على أسبانيا المسلمة ، التي كانت عقب الفتح تشمل كل أسبانيا ما عدا " جليقة " وولايات جبال " البرنية " . ولكن " الأندلس " تطلق في العصور المتأخرة ، وفي الجغرافيا الحديثة على ولايات الأندلس الواقعة في جنوب أسبانيا ، بين نهر الوادي الكبير والبحر ، بين ولاية " مرسية " و " إشبيلية " ، وما زالت " الأندلس " " Andalusia " تحتل في تقسيم أسبانيا الإداري الحاضر نفس هذه المنطقة ، والرواية العربية تعلق هذه التسمية بصور مختلفة ، فتقول مثلاً : إنها سميت أندلس باسم أول من سكنها من قدم الزمان ، وهم قوم من الأعاجم يقال لهم أندلوس (فتح الطيب ج١ ص ٦٧) . ويقول ابن الأثير : إن النصراني يسمون الأندلس " أشبانية " باسم " أشبانس " أحد ملوكهم ، وهذا هو اسمها عند " بطليموس " (ج٤ ص ١٢١) . ولكن ابن خلدون يقدم لنا تعليقاً أدق فيقول : سميت " الأندلس " باسم " قندلس " ولعلها " فندلس " ومن

عبرت الجيوش الإسلامية المضيق الغربي للبحر الأبيض المتوسط - المعروف اليوم بمضيق جبل طارق -^(١) ولم يكن الدافع الأول للمسلمين الرغبة في التوسع الاستعماري ، بل كان ذلك تلبية لنداء وجهه سكان البلاد الأصليين إلى المسلمين ليخلصوهم من نير القوط^(٢) ، فقد كان

الواضح أنه يقصد " الفندال " أى " الوندال " (جـ ٢ ص ٢٣٥ فى تاريخ القوط) ، ويقدم لنا البكرى خلاصة دقيقة لهذه المسميات الجغرافية التاريخية ، فيقول فى وصفه لجزيرة الأندلس : إن اسمها القديم " إباريه " (Iberia) من وادى " إبرة " ، ثم سميت بعد ذلك " باطقة " (Baetica) من وادى بيطسى وهو نهر قرطبة ، ثم سميت " إشبانية " من اسم رجل ملكها فى القديم كان اسمه " إشبان " . وقيل سميت باسم " الأشبان " الذين سكنوها فى أول الزمان على جرية النهر وما والاها . وقال قوم : إن اسمها فى الحقيقة " إشبارية " (Hisperia) من " أشيرس " وهو الكوكب المعروف بالأحمر ، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء " الأندلس " من الذين سكنوها " والأندلس " هم " الوندال " (Vandals) وهذا هو التعليل الذى يأخذ به " دانفيل " (Danville) ، إذ يقول : إن الاشتقاق مأخوذ من كلمة " فاندالوسيا " (Vandalusia) أو بلد " الوندال " ، (نقله " جيون " عن كتاب ممالك أوروبا فى هامش الفصل الحادى والخمسين) . وهذا ما يقرره " الفريزى " أيضاً فى معجم مخطوطات الإسكوريال (Biblu. Arabico-Hispana Esen-rialensis II) Casiri p. 237) من عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، هامش ص ٥٠ .

^(١) نسبة إلى طارق بن زياد الليثى الذى اختاره موسى بن نصر - وهو والى أفريقيا يومئذ - لقيادة جيش الفتح ، ذلك الجندى العظيم الذى ضرب المثل فى الشجاعة ، والإقدام . أجمع المؤرخون على وصفه بـ " فاتح الأندلس " ، غير أنهم اختلفوا فى أصله ونسبه ، فقيل هو فارسى من همدان ، كان مولى لموسى بن نصر ، وقيل إنه من سبى البربر ، وقيل أخيراً إنه بربرى من بطن من بطون نفزة ، وهذه فيما يظن أرجح رواية ، ويبدو منها أن طارقاً تلقى الإسلام من أبيه زياد عن جده عبد الله ، وهو أول اسم عربى إسلامى فى نسبه ، ثم ينحدر مساق النسب بعد ذلك خلال أسماء بربرية محضة حتى ينتهى إلى نفزة ، وهى القبيلة التى ينتمى إليها .

^(٢) هم إحدى القبائل أو الشعوب البربرية التى هبطت من شمال أوروبا ، وقوضت صروح الإمبراطورية الرومانية ، وتقول الأساطير القديمة : إنهم نزحوا من " إسكندتاوة " بعد أن تحرروا من الجوتارة فى جنوب السويد ، ويذكر المؤرخ " تاسيتوس " أنهم كانوا منذ ظهور النصرانية إلى أواخر القرن الثانى يسكنون شواطئ البلطيق الجنوبية . وفى عهد الإمبراطور " إسكندر سيقوروس " (٢٢٢ - ٢٣٥ م) ظهرت طلائع " القوط " فى ولاية " داسيا " (وتشغل مكانها الآن رومانيا والنجر) الرومانية وأغارت على بعض مدنها : وكان هذا نزوحهم الثانى حيث استقروا عندئذ فى إقليم " اليوكرين "

وفي عهد الإمبراطور "ديسيوس" عبروا نهر الدانوب ، وخرّبوا ولاية "ميزيا" الرومانية (وتشغل مكان بلغاريا الحديثة) ثم تقدموا إلى قلب البلقان ، فسار "ديسيوس" لقتالهم ، ولكنه هزم ومزق جيشه (٢٥٠م) ، وسار "القوط" إلى اليونان فعانوا فيها وخرّبوها ، ولم ينقطع عبثهم حتى نشط الإمبراطور "قسطنطين" الكبير لقتالهم وردّ عدوانهم ، فحاربهم في عدة مواقع وهزمهم هزيمة شديدة ، وردّهم إلى أقصى "داسيا" (سنة ٣٢٢) وفرض عليهم شروطاً فادحة ، ثم حاربهم الإمبراطور "فالنس" قيصر قسطنطينية وهزمهم في سنة ٣٦٩م ، وفي سنة ٣٧٥م زحف "الهون" من المشرق على "القوط" ومزقوهم ، فانقسموا إلى قسمين ، قوط شرقيون أذعنوا للهون وانخرطوا في جيشهم ، وقوط غربيون فروا تحت ضغط "الهون" إلى ضفاف الدانوب . واستغاثوا بالإمبراطور ، وطلبوا الدخول في طاعته فأجابهم إلى ذلك ، واستقروا حيناً في ولاية "تراقية" ، ولكنهم ناروا مراراً من جراء قسوة الحكام الرومانيين وعسفهم ، وفي عهد الإمبراطور "هونوريوس" قام "القوط" بثورة أعظم وأبعد أثراً بقيادة زعيمهم "الاريك" وخرّبوا "تراقية" واليونان ، ثم عبروا إلى إيطاليا وافتتحوا روما ونهبوها (٤١٠م) . ولكن زعيمهم "الاريك" توفي في نفس هذا العام فارتدوا إلى الشمال . ثم عقدوا الصلح مع الإمبراطور واندمجوا في الجيش الإمبراطوري ، وقاموا بقمع الثورات في "غاليا" أو "غاليس" (جنوب فرنسا) وشمالي أسبانيا ، ثم استقروا في أواسط فرنسا وجنوبها ، فيما بين نهرى اللوار والجارون ، واتخذوا "تولوز" (تولوشة) عاصمة لهم ، وأقطع الإمبراطور ملكهم "فاليا" حكم هذا القطر ، وقامت بذلك مملكة قوطية تابعة للدولة الرومانية .

وعاون "القوط" الدولة على محاربة "الوندال" و "الآلان" و "السوابيين" ، وعاونها بالأخص ملكهم "تيودريك" الأول - ولد "الاريك" - على هزيمة "آتيلا" النترى وبرابته "الهون" في موقعة "شالون" (٤٥١) . ثم عبر خلفه وأخوه "تيودريك" الثاني إلى أسبانيا ، لانتزاعها من "الوندال" و "السوابيين" المتغلبين عليها مشتركاً على الدولة أن يحتفظ بما يفتتحه من أسبانيا لنفسه ولعقبه ، وحارب "الوندال" و "السوابيين" وهزمهم (سنة ٤٥٦م) وافتتح أسبانيا ما عدا ركنها الشمالي الغربي "جليقة" ، الذي استعصم به "الوندال" حيناً . ولم تأت نهاية القرن الخامس حتى ملك "القوط" شبه الجزيرة كلها ، وامتد ملكهم من "اللوار" إلى شاطئ أسبانيا الجنوبي. ولكن الفرنج غزوه من الشمال وأجلوهم عن فرنسا في أعوام قلائل ، فاستقروا في أسبانيا ، واتخذوا مدينة "طليلطة" دار ملكهم ، ووضعوا لمملكتهم الجديدة نظاماً وقوانين خاصة تتأثر بروح الحضارة والأنظمة الرومانية ، وكانوا أيضاً قد اعتنقوا النصرانية منذ أواخر القرن الرابع ، كما اعتنقها "الوندال" وغيرهم من الشعوب البربرية ، التي تقاسمت تراث رومة

المجتمع الأسباني يعاني صنوف الشقاء والبؤس ، مزقته عصور طويلة من الظلم والإرهاق ، ولم يكن " القوط " في الحقيقة أمة بمعنى الكلمة ، فإنهم لم يمتزجوا بسكان الجزيرة ، ذلك الامتزاج الذى يجعل الغالب والمغلوب والحاكم والمحكوم أمة واحدة ، بل كان القوط يستأثرون بمزايا الغلبة ، والسيادة ، وينعمون بإحراز الإقطاعات والضياع الواسعة ، ومنهم وحدهم الحكام والسادة والأشراف ، يليهم طبقة رجال الدين ، حيث كانوا يتمتعون بأعظم قسط من السطان والنفوذ ، وساعدهم على بلوغ هذه الدرجة أن القوط كانوا أتقياء متدينين ، يغلب عليهم الميل إلى إرضاء رجال الدين ، وقد تمتع الأحرار والرهبان بمركز مرموق لدى الحكام ، مما جعل لهم تأثيراً مكنهم من توجيه القوانين والنظم ، وصياغة الحياة العقلية والاجتماعية وفقاً لاتجاه الكنيسة وغاياتها . وقد استغل رجال الدين هذا النفوذ فى إحراز الضياع وتكديس الثروات ، واقتناء الزراع والأرقاء . وهكذا كانت ثروات البلاد كلها تجتمع فى ايدى فئة قليلة ممتازة من الأشراف ورجال الدين ، اختصت بترف العيش ومتاع الحياة ، وكل نعم الحرية والكرامة والاعتبار .

أما سواد الشعب فكان يزرع تحت شقاء الحياة وبؤسها وهو يتكون من طبقة متوسطة ، رقيقة الحال ، وزراع شبه أرقاء يلحقون بالضياع ، وأرقاء للسيد عليهم حق الحياة والموت . كان الشعب بطبقاته الثلاث - الطبقة المتوسطة ، والزراع والأرقاء - فى حالة يرثى لها من الحرمان والبؤس ، يقاسى أشنع أنواع الظلم والإرهاق ، ويفرض عليه وحده - دون الطبقات الممتازة - دفع الضرائب الفادحة ، ويُزَمُّ بتأدية المغارم المرهقة ، ويقوم بالأعمال الشاقة - يساق إليها سوق العجماءات - فى ضياع الأشراف والأحرار ، مفروضاً عليه العبودية والرق ، مسلوباً عنه كل شعور بالعزة والكرامة .

وكانت هناك جالية يهودية كبيرة ، لم تكن تنعم بالحياة الهادئة ، إذ كانت موضع البغض والكراهية والتحامل ، فقد كان يهود الجزيرة يعانون أشنع ألوان الجور والاضطهاد ، وكانت

وأملأها . ولبت " القوط " زهاء قرنين سادة لأسبانيا حتى الفتح الإسلامى ، وكان آخر ملوكهم " رودريك " أو " رذريق " كما يسميه العرب الذى هزمه القائد المسلم طارق بن زياد عام ٧١١ م .

الكنيسة منذ قوى نفوذها تحاول تنصيرهم ، وتمارس في سبيل تحقيق ذلك أشد أنواع العنف ، وأقصى طرق المطاردة .

هكذا كان الوضع في أسبانيا ، عندما افتتح المسلمون إفريقيا ، واقتربوا من شواطئ الأندلس ، وكان على عرش أسبانيا يومئذ الملك " وتيزا " ، كان يحكم مملكة مزقها الخلاف ، وشعباً أضناه العسف والظلم والإرهاق ، ويقال : إنه حاول أن يقف في وجه طغيان الأشراف بالحد من سلطاتهم ، كما حاول كبح جماح رجال الدين فلم يستطع ، واتفق رجال الدين على بغضه ومحاولة التخلص منه ، كما كانت بقية الشعب غير راضية لما يقع عليها من جور وظلم . فدبرت ضده المؤامرات ، واستغل الموقف زعيم جريء هو " ردريك " ، فقام بالثورة ضده ونادى بنفسه ملكاً ، واستطاع أن يخمد منافسيه ، غير أن العرش بقى مضطرباً يهتز في يد القدر ، ذلك أن أعداء " ردريك " حاولوا الإطاحة به ، ولما لم ينجحوا في ذلك رأوا الاستعانة ، بقوة من خارج الجزيرة ، وكان " الكونت يوليان " حاكم " سبتة " محط أنظارهم ومساعدتهم .

وفي الوقت الذي كانت فيه شبه الجزيرة الأسبانية تضطرم فيها هذه الحوادث ، فتفرقتها في أزمت خطيرة ، ومضايق خانقة ، كان المسلمون قد أتموا فتح المغرب الأقصى باستيلائهم على ثغر " طنجة " ، وأشرفوا بذلك على شواطئ الأندلس من الضفة الأخرى من البحر ، ولم يبق لإتمام فتح إفريقية سوى ثغر " سبتة " الذي يقع في مقابل طنجة في الطرف الآخر من اللسان المغربي . حاول المسلمون الاستيلاء عليه ، لكنهم لم ينجحوا ، لأن حاكم " سبتة " وهو " الكونت يوليان " كان متيقظاً ، فأحبط كل محاولة لأخذه ، ويساعده على ذلك مناعة موقعه . ولكن موسى بن نصير لم ينفك لحظة عن التفكير في افتتاح هذا الثغر المنيع ، وتطهير إفريقيا من البقية الباقية من العدو . وبينما هو يرقب الفرص لتحقيق هذه الأمنية ، إذ وصلتته رسالة " الكونت يوليان " نفسه ، يعرض عليه معقله ، ويدعوه إلى فتح أسبانيا ، وجرت بينهما مفاوضة في هذا المشروع الخطير .

وفي شهر رجب سنة ٩٢هـ " إبريل ٧٦١م " جهز موسى جيشاً من العرب والبربر ، بلغ سبعة آلاف مقاتل ، وأسند قيادته إلى طارق بن زياد الليثي ، فعبر البحر من " سبتة " بجيشه

تباعاً من سفن قليلة ، قدمها له " يولييان " وعسكر بالبقعة الصخرية المقابلة التي ما زالت تحمل اسمه إلى اليوم ، أعنى جبل طارق .

ولما أتم استعداداته ، توغل في الجزيرة ، وحين أحس " ردريك " بالخطر - وكان أميراً شجاعاً - استطاع أن يجمع حوله معظم الأمراء والأشراف ، والأساقفة ، وحشد رجالهم وأتباعهم ، فاجتمع " للقوط " يومئذ جيش ضخم ، تقدره بعض الروايات بمائة ألف ، غير أنه لم يمكن ملتحمًا ، إذ كان كثير من قواده ورؤسائه خصصا لـ " ردريك " ، اضطروا إلى الإنفاس حوله لرد الخطر الخارجى ، وهم يتحينون الفرصة للفتك به .

لم تكن الظروف سهلة أمام المسلمين ، فـ " القوط " أضعاف المسلمين ، والقتال في أرض العدو في هضاب ومفاوز شاقة ، ولكن قائدهم الجريء - طارق بن زياد - تقدم إلى الموقعة الحاسمة بعزم ، دفعه إلى ذلك إيمانه وشجاعته ، وثقته بقدرته على اجتياز الحواجز والعقبات ، وكان لقاء الجيشين في سهل "الفرننتيرة " " Frahtera " على ضفاف نهر وادى " لكه " أو وادى " بكه " .

تلاقى العرب و " القوط " ، والإسلام والنصرانية في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٩٢هـ " ١٧ يوليه ٧١١م " في معركة من أهم معارك التاريخ بين الإسلام والنصرانية ، واستمرت هذا المعركة الهائلة مضطربة بين القوى النصرانية الضخمة وبين القوة المسلمة المتواضعة نحو أربعة أيام ، كان الجيش الإسلامى يحارب فيها ، وهو قوة واحدة متماسكة ، كالصخرة الصلبة ، أما الجيش القوطى فقد كان - على الرغم من كثرته - مختل النظام منحل القوى ، لأن الرباط بين جناحيه وبين قلبه كان واهياً ، إذ كان يقود جناحيه " إيفا " و " سيزون " خصصا " ردريك " ، وتتكون صفوفهما من أتباعهما ، وأتباع حلفائهما من الأمراء ، والزعماء النافرين الذين تظاهروا بالإخلاص وقت الخطر وكلهم يتحين الفرصة للإيقاع بالملك المعتصب ، فكانت الخيانة تمزق جيش القوط شر ممزق .

وهناك عامل آخر ساعد المسلمين على الفتك بالعدو ، ذلك أن " يولييان " والأسقف " أوباس " - وكان في صف المسلمين - استطاعا أن يستميلا كثيراً من جند " القوط " ، وأن يثا بدعايتهما في الصفوف الموالية لـ " ردريك " كثيراً من عوامل الشقاق والتفرق ، فأخذ كل

أمير يسعى لوقاية نفسه هو ، فتمكن الجيش الإسلامي - وهو قليل العدد - بشجاعة أفراده وثباتهم ، واتحاد كلمتهم من جيش " القوط " ، ولم يأت اليوم السابع من اللقاء ، حتى تم النصر لطارق وجنده ، ومزق جيش " القوط " شر ممزق ولحقت بهم الهزيمة الساحقة ، وشتتوا في كل صوب ، وفروا في كل اتجاه ، أما " ردريك " آخر ملوك " القوط " فقد اختفى بعد المعركة ، ولم يعثر له على أثر .

تعقب طارق بن زياد فلول المنهزمين ، فواصل زحفه متوغلاً في أرض الأندلس يفتح الثغور ، ويستولى على المواقع والحصون ، وتابع زحفه شمالاً ، فعبر جبال " أستوريش " (أستورياش) ، واستمر في سيره حتى أشرف على نهر " خيخون " الواقع على خليج " بسكونية " (غسقون) فكان خاتمه زحفه ، ونهاية فتوحاته ، ورده عباب المحيط عن التقدم ، فعاد إلى " طليطلة " ، حيث تلقى أوامر موسى بن نصير بوقف الفتح ، وكان ذلك لعام فقط من عبوره إلى أسبانيا ، وكان لأوامر موسى بن نصير خطرهما . وسنعرض لذلك بعد عرض آراء العلماء في الفتح الإسلامي .

أثار سلطان الطبقات الممتازة بعد الفتح ، فتنفس الشعب الصعداء ، وخف عن كاهله ما كان ينوء به من الأعباء والمغارم ، ذلك أن المسلمين تحروا في فرض الضرائب المساواة التامة بين الطبقات والتزام العدل والاعتدال في تحصيلها ، وقد كانت من قبل تفرض حسب الهوى ، وبدافع الجشع والاستغلال ، كذلك أمن الناس على حياتهم وحرثهم وأموالهم ، إذ ترك الفاتحون لهم نحق تطبيق قوانينهم ، واتباع تقاليدهم ، والخضوع لقضائهم وقضائهم ، بل عينوا أيضاً عليهم - في معظم الأحوال - حكاماً من أبناء جنسهم ، وعهد إلى هؤلاء الحكام سن الضرائب المطلوبة ، والإشراف على النظام والأمن ، أما مسألة الدين والعقيدة ، فقد ترك الناس فيها أحراراً يعتقدون ما شاءوا ويؤمنون بعقيدتهم - من غير إكراه ولا اضطهاد - التي يختارونها ، وقد ضربت السياسة الإسلامية بهذا مثلاً أعلى للتسامح الديني ، فلم يظلم أحد أو يرهق أو يضطهد بسبب الدين أو الأعتقاد .

أشاد العلماء بالفتح الإسلامي لأسبانيا ، وإليك طائفة من أقوالهم . يقول العلامة المستشرق "دوزى" : " لم يكن حال النصرارى في ظل الحكم الإسلامى مما يدعو إلى كثير من

الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل . أضف إلى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح . فلم يرهقوا أحداً في شؤون الدين " .

ويقول " دوزى " عن آثار الفتح الاجتماعية :

" كان الفتح العربي من بعض الوجوه نعمة لأسبانيا ، فقد أحدث فيها ثورة اجتماعية هامة ، وقضى على كثير من الأدواء التي كانت تعانيها البلاد منذ قرون وحطمت سلطة الأشراف والطبقات الممتازة أو كادت تمحى ، ووزعت الأراضي توزيعاً كبيراً ، فكان ذلك حسنة سابعة ، وعملاً في ازدهار الزراعة إبان الحكم العربي ، ثم كان الفتح عاملاً في تحسين أحوال الطبقات المستعبدة ، إذا كان الإسلام أكثر تعظيماً لتحرير الرقيق من النصرانية ، كما فهمها أحبار المملكة القوطية ، وكذلك حسنت أحوال أرقاء الضياع ، إذ غدوا من الزراع تقريباً ، وتمتعوا بشئ من الاستقلال والحرية .

ويقول الأستاذ " لابن بول " :

" أنشأ العرب حكومة قرطبة التي كانت أعجوبة القرون الوسطى ، بينما كانت أوروبا تنحبط في ظلمات الجهل ، فلم يكن سوى المسلمين من أقام بها منائر العلم والمدنية " .

ويقول المستشرق الأسباني " جاينجوس " :

" لقد سطعت في أسبانيا (الأندلس) أول أشعة لهذه المدنية التي نثرت ضوءها فيما بعد على جميع الأمم النصرانية ، وفي مدارس قرطبة وطليلة العربية ، جمعت الجذوات الأخيرة للعلوم اليونانية بعد أن أشرفت على الانطفاء ، وحفظت بعناية . وإلى حكمة العرب وذكائهم ، ونشاطهم ، يرجع الفضل في كثير من أهم المخترعات الحديثة وأنفعها " .

أمر موسى بن نصير ، طارق بين زياد بوقف الفتح ، ويختلف المؤرخون في تعليل البواعث على إصدار هذا الأمر ، فقيل : إن موسى لم يكن يتوقع هذا الفوز لقائده ومبعوثه ، فلما وقف على مبلغ فوزه وتقدمه ، تحول إعجابه إلى حسد وغيرة ، وخشى أن ينسب ذلك الفتح العظيم إليه دونه ، وقيل : إن موسى غضب على طارق عندما خالف الأوامر الصادرة إليه ، بالألا يجاوز

" قرطبة " ، خوفاً من أن يصاب الجيش الإسلامى بنكبة ، قد تفقده روحه المعنوية ، إذا توغل في أراض ، ومسالك مجهولة ، لا يحسن فيها القتال . وعلى أية حال ، فقد لحق موسى بطارق بعد أن استولى على بعض المدن في طريقه ، ووصل إلى أقصى شمال أسبانيا ، وهناك فكر في أن يخترق بجيشه جميع أوربا غازياً فاتحاً ، وأن يصل إلى الشام من طريق قسطنطينية ، وكان يمكنه ذلك ، لأن الإسلام يومئذ كان في ذروة الفتوة ، والقوة ، والبأس ، وكانت أمم الغرب من جهة أخرى يسودها الضعف والانحلال ، ولكن تطور الأحداث حال دون تحقيق هذا المشروع ، ذلك أنه عندما التقى بطارق عتقه على مخالفة الأوامر ، وزج به في السجن ، ويقال : إنه أراد قتله ، لكنه أطلقه بعد ذلك ، واشترك معه في تدبير خطط الفتح ، إلا أن الخليفة في دمشق عندما علم بالخلاف استدعاهما إلى دمشق ، وكان ذلك خسارة كبيرة للإسلام ودولته ، إذ توقف الفتح - تقريباً - عند هذا الحد ، وانشغل المسلمون بخلافاتهم التي نشأت في الأندلس بعد الفتح ، ولكي نلقى ضوءاً على هذه الخلافات التي كانت مرضاً أصيبت به الدولة الإسلامية الجديدة يوم مولدها ، وعاقبها عن الإنطلاق المنشود ، ينبغي أن نبين عناصر المجتمع الإسلامى في الأندلس بعد الفتح .

لقد ولدت الدولة الجديدة التي أنشأها الإسلام في أسبانيا حاملة معها منذ البداية جرثومة الخلاف الخطر ، وكان هذا المجتمع الذي جمع الإسلام شمله ، ومزج عناصره ، بجيش بمختلف الأهواء والترعات ، وتمزقه العصبية القبلية ، إذ ظهر التنافس القلتم بين القبائل العربية من جانب ، وبين العرب والبربر من جانب آخر ، ذلك أن البربر - وكان معظم الجيش منهم - كانوا ييغضون قادتهم ، ورؤساءهم العرب ، ويحقدون عليهم لاستئثارهم بالسلطة ، واستيلائهم على أكبر نصيب من الغنائم ، واحتلالهم لمعظم القواعد والوديان الخصبة . وكثيراً ما رفع هؤلاء البربر لواء العصيان والثورة ، أو أيدوا فريقاً من العرب ضد آخر في الصراع على السلطة . أما المسلمون الأسبان - وهم العنصر الثالث في تكوين المجتمع الإسلامى في أسبانيا - فكانوا محدثين في الإسلام ، يعترهم الشعور بأنهم - رغم إسلامهم - أحط من الوجهة الاجتماعية من سادتهم العرب ، وذلك أن العرب ، رغم ما تعلموه من أن الإسلام يسوى بين المسلمين جميعاً في الحقوق والواجبات ، ويقضى على كل فوارق الجنس والطبقات ، كانوا يشكون في ولاء المسلمين

الجدد ، فضنوا عليهم بمناصب الثقة والنفوذ ، أضف إلى ذلك أن العربي في الأقطار النائية التي فتحها بسيفه ، كان يشعر بالغرور ، وتعاوده النعرة القديمة ، فكان يظن أنه أشرف الخليقة .

لو اقتصر الأمر على الخلاف بين العرب والبربر ، وبينهم وبين المسلمين الجدد لكان الخطاب ، ولكن الخلاف بين القبائل العربية ، كان أخطر ما في هذا المجتمع من عوامل التفكك والانحلال ، فقد ظهرت عصبية القبائل والبطون من جديد ، فتنافس الزعماء والقادة على السلطان والرياسة ، فمزقت صفوفهم ، ووهنت وحدة الدولة الإسلامية في الأندلس ، وظل هذا هو المرض العضال، الذي أعاق الدولة في كثير من الأحيان عن تأمين حدودها الشمالية ، حيث تكونت الممالك النصرانية التي قادت عملية طرد المسلمين من الأندلس .

لعبت هذه الخلافات دوراً رئيسياً في تولية الولاة ، وقيام دولة بني أمية وسقوطها ، وقيام دول الطوائف ، وأخيراً اشتدت وطأتها ، فتهاوت الدولة أمام هجمات النصرانية في عام ٨٩٧هـ = ١٤٩٢م^(١) .

^(١) اعتبرت الأندلس في مبدأ أمرها ولاية تابعة لإفريقيا ، فكان واليها يعين من قبل والي إفريقيا ، ثم يصدق الخليفة على ذلك ، ثم استقلت بعد ذلك عن إفريقيا ، فأصبح واليها يعين رأساً من الخليفة في دمشق . وأول وال للأندلس ، هو عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وآخرهم يوسف بن عبد العزيز القهري ، الذي هزمه عبد الرحمن الداخل في ١٠ ذى الحجة سنة ١٣٨هـ " ١٣ مايو سنة ٧٥٦م " ، وبذلك انتهى عصر الولاة ، وبدأ عصر إمارة بني أمية .

قامت دولة بني أمية في الأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الذي نجح من مذبح أهله في مجلس السفاح سنة ١٣٢هـ ، فهرب من العراق يطلب بلاد المغرب ، بمساعدة مولى له اسمه بدر ، ولم يدخر وسعاً في إنقاذه وحمايته في أثناء ذلك الفرار ، فلما وصل به إلى المغرب ، سعى له في جمع الأحزاب ، فقطع مضيق جبل طارق إلى الأندلس ، وفيها من موالى بني أمية خمسمائة رجل ، فأخبرهم بقدم مولاه ، وحرضهم على نصرته لاستبقاء هذه الدولة هناك ، فنصروه وجمعوا كلمة المضربة واليمنية ، وبعد حروب كثيرة ، مهدوا له الطريق إلى الحكم ، واستقدموه إليهم فدخل الأندلس ، وتولى أمرها سنة ١٣٨هـ " ٧٥٦م " ، ولذلك سموه الداخل .

لم يجسر عبد الرحمن في بادئ الأمر على إنشاء خلافة أخرى ، مع وجود الخلافة العباسية ، لأن النبي ﷺ واحد وخليفته واحد . استمر الأمويون يحكمون تحت اسم " الإمارة " زهاء قرن ونصف حتى تولى عبد الرحمن الناصر ، فرأى

أن يتسم بسمعة الخلافة وكان في مستهل ذي الحجة سنة ٣١٦هـ ، وشجعه على ذلك قيام الدولة الفاطمية في الضفة الأخرى من البحر وانسياب دعوتها إلى المغرب الأقصى ، على مقربة من شواطئ الأندلس .

بلغت الأندلس إبان مجدها في عهد عبد الرحمن الناصر ، وفي عهد ابنه الحكم المستنصر ، ثم أخذت الأمور بعدهما في الاضمحلال ، فضعفت شوكة الخلفاء ، واستبد الوزراء والجنود - وهم من موالى الأمويين من البربر والصقالبة والبربر- بالمناصب . أخذت شوكة العرب في الضعف تدريجياً ، حتى غلب ابن أبي عامر على أمر الدولة في أيام هشام بن الحكم ، ومكر بأهل الدولة ، وضرب بين رجالها ، وقتل بعضهم ببعض ، فانكسرت شوكة العرب من ذلك الحين .

وما زالت الدولة آنذاك آخذة في الانحلال ، اقتسمها الولاة البربر وغيرهم ، فانقسمت مملكة الأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري إلى إمارات تولاها أصحاب الأطراف والرؤساء ، وفيهم العرب والبربر والموالى ، فتغلب كل إنسان على ما في يده ، فصاروا دولاً صغيرة متفرقة ، ولذلك سمو ملوك الطوائف ، وهاك أشهرهم مع أسماء إماراتهم :

اسم الدولة	اسم المملكة	مدة الحكم
بنو حمود	مالقة والجزيرة	٤٠٧ - ٤٤٩ هـ
بنو عباد	أشبيلية	٤١٤ - ٤٨٤ هـ
بنو زيري	غرناطة	٤٠٣ - ٤٨٣ هـ
بنو جهور	قرطبة	٤٢٢ - ٤٦١ هـ
بنو ذي النون	طليطلة	٤٢٧ - ٤٧٨ هـ
العامريون	بلنسية	٤١٢ - ٤٧٨ هـ
بنو هود التجيبون	سرقسطة	٤١٠ - ٥٣٦ هـ

ولم تطل سيادة هذه الدولة ، إذ غلبت عليهم دولة المرابطين ، ثم الموحيدين ، وظل الانقسام متتابعاً بين تلك الممالك ، والخصام متوالياً ، والإفرنج يفتنمون ضعفهم وانقسامهم ، ويسترجعون إماراتهم واحدة بعد الأخرى ، وبلدأ بعد بلد. حتى تغلبوا على المسلمين ، وأخرجوهم من الأندلس ، وآخر مدينة افتتحها الإفرنج من تلك المملكة غرناطة ، وكانت في حوزة بين نصر - نسبة إلى يوسف بن نصر - من سنة ٦٢٩هـ ، توالت عليها منهم بضعة وعشرون ملكاً ، آخرهم أبو عبد الله محمد بن علي ، فاستخرجها الإفرنج من يده سنة ٨٩٧هـ " ١٤٩٢م " وفر أبو عبد الله ، وكان ذلك آخر عهد المسلمين بالأندلس .

اشتغلت الدولة الإسلامية بخلافاتها ، التي استنفدت معظم طاقاتها ، وصرفتها عن توجيه همتها لاتقاء خطر آخر ، ذلك أن شرادم قليلة من " القوط " بلجأت عقب الفتح إلى الجبال الشمالية ، وامتنعت في مفاوز جبال " أشتوريش " فقامت إمارتان نصرانيتان صغيرتان في " كانتابريا " ، " وجليقة " ، غير أن الأولى كانت عرضة لاقتحام الجيش الإسلامي حين سار إلى فرنسا ، ولكن إمارة " جليقة " كانت واقعة في أعماق جبال " أشتوريش " الوعرة ، بعيداً عن غزوات الفاتحين ، ولم يعن المسلمون لأول عهد الفتح بأمر هذا الشرادم الممزقة عناية كافية ، وكان فاتحاً الأندلس موسى وطارق قد قاد كل منهما حملة إلى " جليقة " لسحق البقية الباقية من " القوط " ولكنهما لم يتمكنوا من تحقيق غايتيهما لاستدعائهما إلى دمشق . وكان إغفال هذه الفلول الباقية بعد ذلك من أعظم أخطاء الفاتحين .

ومن أهم العوامل التي أعاققت تقدم الفتح الإسلامي في أوروبا - وبالتالي ساعدت الإمارات المسيحية في شمال أسبانيا على التمركز ، وبناء قوة أخرجت المسلمين من الأندلس - النتيجة التي انتهت إليها معركة " بواتيه " في سهول فرنسا ، أجل ! كان اللقاء حاسماً بين الإسلام والنصرانية في تلك المعركة ، وكانت له آثار بعيدة المدى على تاريخ العالم كله ، وتتلخص وقائع المعركة في أن الجيش الإسلامي احتاج جنوب فرنسا ، بقيادة عبد الرحمن الغافقي ، مستولياً على ما وقع في يديه من مغامم ، وكانت كثيرة جداً ، ولما وصل إلى السهل الممتد بين مدينة " بواتيه " و " تور " ، استولى المسلمون على " بواتيه " ونهبوها وأحرقوا كنيستها⁽¹⁾ الشهيرة ، ثم هجموا على مدينة " تور " الواقعة على ضفة " اللوار " اليسرى ، واستولوا عليها ، وخرّبوا كنيستها أيضاً ، وفي ذلك الحين كان الجيش قد انتهى إلى اللوار بقيادة " كارل مارتن " ، دون أن يشعر المسلمون بمقدمه بادئ ذي بدء ، وأخطأت الطلائع الإسلامية تقدير عدده وعدته . فلما أراد عبد الرحمن أن يقتحم " اللوار " ، لملاقاة العدو على ضفته اليمنى ، فاجأه كارل مارتن بجموعه الجرارة ،

(1) مخالفين بذلك روح الإسلام و تعاليمه ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصي المقاتلين دائماً بالآلا يهدموا

الكنائس ولا المعابد .

وألقى عبد الرحمن جيش الفرنجة يفوقه في الكثرة ، فارتد من ضفاف النهر ثانية إلى السهل الواقع بين " تور " و " بواتيه " ، وعبر " كارل " اللوار غربى " تور " ، وعسكر بجيشه إلى يسار الجيش الإسلامى ، بأميال قليلة بين نهر " كلين " ، و " فيين " فرعى " اللوار " .

ثم بدأ القتال فى اليوم الثانى عشر من أكتوبر ٧٣٢م (أواخر شعبان ١١٤هـ) فنشبت بين الجيشين معارك محلية مدى سبعة أيام أو ثمانية . احتفظ فيها كل بمركزه ، وفى اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عارمة ، فاقتلا بشدة وتعادلا حتى دخول الليل ، واستأنفا القتال فى اليوم التالى ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد ، حتى بدأ الإعياء على الفرنج ، ولاح النصر فى جانب المسلمين ، ولكن حدث حينئذ أن افتتح الفرنج ثغرة إلى معسكر الغنائم الإسلامى فارتفعت صيحة مجهول فى المراكز الإسلامية بأن معسكر الغنائم سوف يقع فى أيدي العدو ، فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم ، وتوالت كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم ، فذب الخلل فى صفوف المسلمين ، وعبثاً حاول عبد الرحمن أن يعيد النظام ، وأن يهدئ روع الجند ، وبينما هو ينتقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، إذ أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته فسقط قتيلاً من فوق جواده ، وعم الذعر والاضطراب فى الجيش الإسلامى ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل فى صفوفهم . ولكنهم صمدوا حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل .

وكان ذلك فى اليوم الحادى والعشرين من أكتوبر ٧٣٢م (أوائل رمضان ١١٤هـ) . وهنا اضطرم الجدل والتراع بين قادة الجيش الإسلامى ، واختلف الرأى وهاجت الخواطر ، وسرى التوجس والفرع ، ورأى الزعماء أن كل أمل فى النصر قد غاض ، فقررروا الانسحاب ، وفى الحال غادر المسلمون مراكزهم ، وارتدوا فى جوف الليل ، وتمت جنح الظلام ، تاركين أنقاهم ، ومعظم أسلحتهم غنماً للعدو .

ومن الأسباب التى عاقت الجيش الإسلامى عن إحراز نصر حاسم فى تلك الموقعة ، حالة القلق التى أصابته ، بسبب الشقاق الذى كان يضطرم بين قبائل البربر التى يتألف منها معظم الجيش ، وكان الكثير منهم يتوق إلى الانسحاب مؤثراً النجاة بغنائمه الكثيرة ، ذلك أن المسلمين

قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المظفر ، وحبوا جميع كنائسها ، وأديارها الغنية ، وأثقلوا بما لا يقدر ، ولا يحصى من الذخائر ، والغنائم ، والسبي .

فكانت هذه الأثقال النفيسة تحدث الخلل في صفوفهم ، وتثير بينهم ضروب الخلاف والزراع ، وكانت من الأسباب الرئيسية في تغيير سير المعركة^(١) .

إشدد ساعد نصارى الشمال بعد هذه المعركة ، وحذوا حذو الفرنج في الاستفادة من تمزق الإسلام في الأندلس ، ونصارى الشمال هم تلك البقية الباقية من " القوط " الذين ارتدوا أمام الفتح الإسلامى إلى ناحية الشمال ، واعتصموا " بجبال " أشتوريش " وكان من أعظم أخطاء الفاتحين أنهم لم يعنوا بالقضاء على تلك الفلول إلى أن استفحل أمرها ، فكونت إمارات ، ما لبثت أن اشدد ساعدها ، وأخذت تناهض الإسلام ، وتغالبه ، وتعمل بكل ما وسعت لاسترداد الوطن القديم .

* * *

ويبدو للباحث أن المسلمين ارتكبوا عدة أخطاء في سياستهم في الأندلس ، كان لها أثر بعيد المدى على انتشار الإسلام في أوروبا ، وإليها يرجع السبب في ذهاب دولتهم من أسبانيا :

(١) تظهر روح الصليبية واضحة من تعليق المؤرخين على نتيجة هذه المعركة ، وإليك نموذجاً منها يقول " السير إدوارد كيريزى " : " إن النصر العظيم الذى ناله " كارل مارتل " على العرب سنة ٧٣٢م وضع حدًا حاسماً لفتوح العرب في غرب أوروبا ، وأنقذ النصرانية من الإسلام ، ويقول " إدوارد جيبون " منصوراً النتائج لو انتصر العرب في معركة " بواتيه " : " بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن في معاهد " إكسفورد " ، وربما كانت منابرها تؤيد لمحمد صدق الوحي والرسالة " . ويقول : " إن هذه المعركة أنقذت آباءنا البريطانيين وجيراننا الغالين (الفرنسيين) من نير القرآن المدن والدينى ، وحفظت جلال رومة ، وأخرت استعباد " قسطنطينية " وشدت بأرز النصرانية ، وأوقعت بأعدائها بذور التفرق والفشل " .

١- شيوع الأنانية ، وحب الذات بين القادة والأمراء ، والحرص على الدنيا بين كثير من المسلمين. وظهر ذلك في أول عهدهم بالأندلس ، تلمس ذلك حينما أمر موسى بن نصير طارق بن زياد بالتوقف عن الفتح ، لكي لا ينسب الفتح كله إلى طارق .

وكذلك فيما تلى من أحداث ، منها على سبيل المثال ، أن موسى أراد فيما بعد أن يخوض بجيشه سهول أوروبا وجبالها فاتحاً ، حتى يصل إلى دمشق من الطرف الآخر للقارة الأوروبية ، ولكن حال دون ذلك ، استدعاء الخليفة له ولطارق إثر الوشاية بمهما في بلاط دمشق ، وبذلك أسدل الستار على هذا المشروع الخطير . وإذا أردت المزيد من هذه الأحداث التي أثرت على الإسلام والمسلمين في الأندلس ، فاقراً كتب التاريخ تنبئك عن خلافات أدت إلى قتل وصلب بين المسلمين أنفسهم ، إرضاءً للنفس الأمارة بالسوء ، وإشباعاً لشهوة الحكم .

٢- نشب الخلاف بين القبائل العربية التي ألفت رحلتها في الأندلس ، فعادت إلى ما كانت عليه قبل الإسلام من التنافر ، والتناحر ، والتقاتل ، زاد عليه ما وقع من خلاف بين العرب والبربر ، فكان المجتمع الأندلسي بموج بخلافات عميقة ، واضطرابات عنصرية ، أدت إلى قيام ثورات ، امتدت عبر تاريخ المسلمين في الأندلس بين الأمراء والحكام ، وبينهم وبين الثائرين عليهم ، حتى قضى عليهم جميعاً ، وبالتالي على الإسلام هائياً في أسبانيا ، وليس غريباً أن تمزم النصرانية الإسلام في الأندلس ، بل الغريب أن يصمد أمامها ثمانية قرون ، لأن الخلافات التي نشأت بين أبنائه من يوم قيام دولته في الأندلس ، كانت كفيلة بأن تعجل بهزيمته في فترة أقصر من ذلك بكثير !!

٣- شغلت هذه الخلافات المسلمين عن التفرغ النهائي للفتوح القوطية التي فرت أمام الفتح ، واعتصمت بالجبال الشمالية ، وكونت الإمارات النصرانية ، إذ لم يجرّد المسلمون لها حملة للقضاء عليها هائياً ، بل كانت الحرب بينهم ، وبين هذه الإمارات ، لا تخرج عن كونها حملات تأديبية فقط ، ردّاً على عدوانهم على الثغور والحصون الإسلامية المتقدمة ، ثم تطور فيما بعد إلى التوازن بين الفريقين ، ينتصر المسلمون في بعضها ، وينهزمون في البعض الآخر : ولما دب الضعف في أوصال المسلمين في الأندلس رجحت كفة النصارى ، وأصبحوا يقتطعون الثغور ،

ويستولون على المدن واحدة بعد الأخرى ، ولولا النجيدات التي عبرت من شمال إفريقيا إلى الأندلس لانتهدت دولة الإسلام هنالك قبل سقوط غرناطة بقرنين على الأقل .
وقعت معارك كثيرة بين المسلمين والنصارى ، ولكننا سنكتفى بعرض موجز لثلاث فقط :

أولها : تتعلق " بطليطلة " المدينة التي كان سقوطها بداية استرداد الأندلس من أيدي المسلمين ، وهي أيضا مسرح المناقشات التي أدت إلى ظهور هذا الكتاب الذي تقدم له .
ثانيها : معركة " الزلاقة " لأنها دفعت إلى الدم الإسلامي في الأندلس جرعة جديدة أحييت شبابه ، فساعدته على الصمود بضعة قرون أخرى .
ثالثها : قرطبة لأنها آخر المعامل الإسلامية في الأندلس .

سقوط طليطلة :

اشتد النزاع بين ملوك الطوائف ، فصار كل منهم يتربص بالآخر ، للاستيلاء على ما تحت يده ، ويذلل كل ما في وسعه للتغلب عليه وسحقه ، ولو كان ذلك عن طريق مخالفة ملوك النصارى أعدائهم جميعاً ، فكانت النتيجة أن ضعفوا جميعاً ، وعجزوا عن حماية أنفسهم . واستغل ملك " جليقة " و " قشتالة " النصارى ضعفهم ، ورأى أن الفرصة سانحة لامتلاك بلدانهم ، وبسط سلطانه عليهم ، فأخذ يهاجم الثغور الإسلامية ، ويتنزح المدن والحصون من أمرائها ، ويفرض عليهم الجزية ، وكان ممن أخضعه وألزمه دفع الجزية أمير " طليطلة " المأمون يحيى بن ذى النون .

واستمرت " طليطلة " تؤدى الجزية " لفرديناند " الأول ملك " قشتالة " حتى مات فقطعها أمير طليطلة مستغلاً النزاع الذى حدث بين أولاد " فرديناند " ، ووقوع الحرب الأهلية بينهم .

هرب أحد أولاد " فرديناند " - وهو ألفونس - إلى " طليطلة " مستجيراً بأمرها المأمون ، فأكرم وفادته وأنزله عنده عزيزاً مكرماً ، وعندما قتل أخوه ، غادر " طليطلة " إلى بلاده ،

فاعتلى عرشها ، واستغل " ألفونس " الصداقة التي قامت بينه وبين المأمون ، فعقد حلفاً معه ، تعاهدا فيه على الصداقة والتعاون المشترك .

واعتمد المأمون على هذه الصداقة ، فوجه حملة ضد خصمه المسلم ابن عباد في قرطبة ، وكان جيشه يضم جنوداً من القشتاليين النصارى ، فاستولى على قرطبة ، ولكنه لم يتمتع بالنصر طويلاً ، إذ كان كبير السن ، فداهمه المرض ، ولم يكن له ابن ، فأوصى بالملك لحفيده القادر بن يحيى بن إسماعيل ، وكان قاصراً ، فأقام له مجلس وصاية ، من صديقه " ألفونس " ، والحارس بن الحكم وبعض الولاة ، ولكن هذه الثقة بحليفه لم تقع موضعها ، فنسى ملك قشتالة إيواء " طليطلة " له يوم أن كان طريداً وعطفها عليه ونسى صديقه المأمون يوم آمنه من خوف ، ولم يذكر العهود التي أعطها لصديقه ، بأن يرعى الأمير القاصر ، ويحميه ، وأبت نفسه إلا أن تشعر بشعور العرش ، ومصصلحة وطنه ، ضارباً بكل العهود والمواثيق عرض الحائط ، فنجحت عنده مساعي ابن عمار وزير المعتمد ، فارتضى بأن يحالف صاحب " أشبيلية " عدو الملك الذي هو وصى عليه ، وأن يعده بالمساعدة في توسعه ومحاربة أمراء المسلمين ، ورضى ابن عباد أن يساومه على أبناء ملته ، فيترك يده حرة تتصرف في طليطلة ، ثم يؤدي له الجزية صاغراً ، لا يجد لها غضاضة في سبيل مطامعه .

وبينما ابن عباد يزحف بجميشه إلى غرناطة ، ليخضع صاحبها ابن باديس ، إذ بـ " ألفونس " يتهيأ لغزو " طليطلة " ، واحتلالها عام ١٠٧٩ م ، وكانت قد ثارت على أميرها القادر بن ذى النون لإكثاره في فرض الضرائب ، إرضاءً لشهواته وترفه ، أو إشباعاً لمطامع ملك قشتالة .

فجاء " ألفونس " إلى " طليطلة " متدرعاً بحجة الدفاع عن حليفه ، فعاث في ولايتها مخرباً القرى والحصون ، ثم ارتد عنها عندما وصلته الأنباء ، بأن المنصور أمير " بطليوس " خف لنجدتها ، ثم عاد " ألفونس " في العام التالي ينشر الفساد في بسائطها ، ويستولى على زروعها ، ويدق قلاعها . وما زال يوالى عليها غاراته في كل عام حتى أضعفها ، وأهلك قواها ، وضيق عليها ، حتى أصيبت بالضيق والفاقة ، ثم سار إليها في السنة السادسة متوجهاً إلى العاصمة نفسها فحاصرها ، ومنع عنها كل صلة ومدد ، فاستغاثت المدينة بأمير " بطليوس " ، فأمدها بجيش على

رأسه ولده المفضل ، ولكنه لم يصمد أمام قوات " ألفونس " الساحقة ، فانهزم مدحوراً . ولم يبق للقادر أمل في النجاة ، وكان الجوع يهدد المدينة ، فخشى أن يثور عليه الشعب ويقتله ، فبعث إلى " ألفونس " يطلب الصلح على أن يؤدي الجزية ، ويكون تابعاً له ، فرفض " ألفونس " ، وطالبه بفتح أبواب المدينة ، وتسليمها ، واعداً بأن يحافظ على أرواح المسلمين ومقتنياهم ، وأن يترك لهم المسجد الجامع يصلون فيه ، وألا يعارضهم في دينهم وشرائعهم ، وخيرهم في البقاء أو الهجرة ، من أحب البقاء يؤدي الجزية ، كما يؤديها المسيحيون في بلاد المسلمين ، ومن آثر الهجرة يسمح له بأن يحمل أمواله حيث يشاء . وضمن للقادر أن يدع له إمارة بلنسية يتصرف فيها ، ولا يبخل عليه بالمساعدة ، إذا احتاج إلى الدفاع عنها .

وفي الخامس والعشرين من مايو ١٠٨٥م " أول صفر ٤٧٨هـ " دخل " ألفونس " السادس ملك " قشتالة " ، و " لاون " و " جليقة " " طليطلة " ، عاصمة " القوط " القديمة ، تتقدمه مواكب النصر ، وتحيط به مظاهر العظمة ، والأبهة والجلال ، وبذلك انتزع من المسلمين إحدى قواعد الأندلس الكبرى ، التي تتحكم في استراتيجيتها ، إذ كان موقعها على نهر " التاجه " يعد من أقوى المواقع دفاعياً ، فكانت بذلك حصن الأندلس الشمالي ، والسد المنيع الذي يرد عادية النصرانية ، فجاء سقوطها ضربة شديدة لمنعة الأندلس وسلامتها .

وانقلب ميزان القوى القديم فبدأت قوى الإسلام تفقد تفوقها في شبه الجزيرة ، بعد أن استطاعت أن تحافظ عليها زهاء أربعة قرون ، وأضحى تفوق القوى النصرانية أمر لا شك فيه . ومن ذلك الحين تدخل سياسة الاسترداد الأسبانية في طور جديد قوى ، وتقاطرت الجيوش " القشتالية " لأول مرة منذ الفتح الإسلامي ، عبر نهر " التاجه " إلى أراضي الأندلس ، تحمل إليها أعلام الدمار والموت ، وتقطع أشلاءها تباعاً ، في سلسلة لا تنقطع من الغزوات والحروب .

معركة الزلاقة :

اغتر ملك " قشتالة " بعد سقوط " طليطلة " فتوغل في أراضي المسلمين وزحف بجيوشه يضرب ولايات الأندلس ، فاستولى على " قورية " ، من بني " الأفطس " وأغار على بسائط

"أشبيلية" فأُنخِن فيها ، وأحرق قراها وحقوقها ، ثم ارتد إلى قلعة "سرقسطة" يريد فتحها ، فضرب حولها حصاراً شديداً ، وأعمل الحديد والنار في ولايتها، فدافعت عاصمة الدولة اليهودية عن نفسها دفاع المستميت المستبسل ، ولكن الأسبانيين ضيقوا عليها ، فراحت تستغيث بجاراتها المسلمة . غير أن ملوك الطوائف كانوا ضعافاً متمزقين ، ينظرون إلى المواقف منخلعة قلوبهم هلعاً ، لا يستطيعون حراكاً ، لأن الخلافات أُنهكتهم ، وبددت قواهم .

أضحت الأندلس على وشك الفناء ، ولاح في الأفق أن دول الطوائف المنهوكة الممزقة ، سوف تسقط تباعاً في يد عدوها القوى ، وساد الفرع التوجس يومئذ جنبات الأندلس كلها ، حتى قال شاعرهم :

يا أهل الأندلس شدوا رحالكم فما المقام بها إلا من الغلظ
السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة منشوراً من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه كيف الحياة مع الحيات في سفظ

أدرك ملوك الطوائف أن الموقف خطير ، وأن الدائرة ستدور عليهم جميعاً ، ولا يمكن لأحد منفرداً أن يقف أمام هذا العدو ، فلا بد من الاتحاد كي يستطيعوا وقف توغله في الأراضي الإسلامية ، فتداعوا إلى مؤتمر يعقدونه في مملكة ابن عباد ، أعظمهم دولة ، فاجتمعوا في "إشبيلية" ثم "قرطبة" واتفقوا على ضم جهودهم لدفع المغير ، وإنقاذ "سرقسطة" ، بيد أنهم لم يكونوا واثقين بالنصر ، لما يعلمونه من ضعف قواهم إزاء القوات الأسبانية ، فاتجهوا بأبصارهم إلى ما وراء البحر يستغيثون بالمرابطين ، وهم يومئذ في عنفوان دولتهم ، وأميرهم يوسف بن تاشفين ييسط سلطانه على أمم المغرب من المحيط غرباً وحتى تونس شرقاً ، وكان صاحب شوكة وسلطان ، يسيطر على شعب مخشوشن الأبدان ، يستطيب الحرب والكفاح ، لم ينغمس في الترف والملذات - كأهل الأندلس - لتخور عزائمه ، فيتقاعد عن القتال .

تلقى أمير المرابطين دعوة أمراء الطوائف في الأندلس لنجدتهم ، فحشد جيشاً قوامه خمسين ألفاً في "سبتة" ثم اجتاز المضيق إلى الجزيرة الخضراء في شهر ربيع الآخر سنة ٤٧٩هـ - (أغسطس ١٠٨٦م) وبعد استقبال الأمراء له ، واستعداد الجيوش للقتال جاءت الأنباء أن

" ألفونس " زاحف بقواته إلى " بطليوس " ، فنشط المسلمون إلى ترتيب صفوفهم ومعسكراتهم ، وتولى أمراء الأندلس قيادة جنودهم .

خطب يوسف بن تاشفين وابن عباد في أصحابهما ، وقام الفقهاء يحضونهم على الثبات ، ويجذرونهم من الفشل ، ثم جاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صبيحة يومهم ، وهو يوم الأربعاء ، فخرج المسلمون مبكرين ، وأخذوا مصافهم وأقبلت الجيوش الأسبانية بجيولها ، ورجلها تملأ الفضاء فترلت على بضعة أميال من " بطليوس " ، في سهل تتخلله الغابات ، يعرف باسم الزلاقة " Sacratias " ، وعسكرت تجاهها الكتائب الأندلسية يفصل بينهما نهر صغير .

أقام يوسف بن تاشفين معسكره وراء أكمة عالية ، منعزلاً عن معسكر الأندلسيين ، فلما أخذت الجنود مواقعها ، أرسل زعيم المرابطين إلى " ألفونس " ، يعرض عليه الدخول في الإسلام ، أو تأدية الجزية ، أو مباشرة القتال ، ومن جملة ما قاله في كتابه إليه " بلغنا يا " ألفونس " أنك دعوت إلى الاجتماع بنا ، وتمنيت أن يكون لك سفن تعبر فيها البحر إلينا ، فقد عبرنا إليك ، وقد جمع الله في هذه الساحة بيننا وبينك ، وسرى عاقبة دعائك ، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال " .

فلما اضطلع " ألفونس " على مضمون الكتاب رماه إلى الأرض غاضباً ، وقال للرسول :

" إذهب فقل لمولاي ، إننا سنلتقى في ساحة الحرب "

ولم يشأ العاهل الأسباني أن يبدأ القتال دون أن يلجأ إلى بعض الخدائع المعروفة عنه ، فأرسل إلى يوسف بن تاشفين ، مقترحاً عليه عدم البدء بالقتال غداً ، يوم الجمعة ، لأنه العيد الأسبوعي للمسلمين ، ولا السبت لأنه يوم اليهود ، وفي كلا المعسكرين كثير منهم ، ولا الأحد لأنه يوم النصارى ، واللقاء في المعركة يكون يوم الإثنين .

استحسن الأمير المغربي هذا الاقتراح ، ولكن ابن عباد شك في الأمر ، لأنه يعرف الكثير من مكائد " ألفونس " ، فبعث عيونه بالليل يتجسسون حركات الأسبانيين ، فعادوا يخبرونه أنهم سمعوا ضوضاء الجيش ، ورنين الأسلحة فبعث إلى يوسف بن تاشفين يطلعه على الأمر ويستحث نصرته .

قسم " ألفونس " جيشه إلى قسمين ، ودفع بالقسم الأول ، لياغت الأندلسيين ، وإذا بفرسان المرابطين يصدونهم ، ويكسرون هجومهم ، ولم يكن الأسبانيون ينتظرون هذه المفاجأة ، فارتدوا إلى خط دفاعهم الثاني ، ثم أصلحوا أمرهم ، وعاودوا الكرة على المرابطين ، وحمل معهم " ألفونس " بسائر جيشه يخترق فرسانه المدرعون بالحديد الخطوط الأندلسية ، وكانت الحملة عنيفة ، لم يصمد أمامها أمراء الأندلس ، فتراجعوا مهورين ، ثم ركنوا إلى الفرار ، فطاردهم المسيحيون ، إلى أسوار " بطليوس " ، ولم يثبت في الميدان إلا فرسان " إشبيلية " وأميرهم ابن عباد والفرسان المرابطون ، وقائدهم داود بن عائشة ، وأظهروا من ضروب البسالة ما يملأ النفس إعجاباً ، فجاهدا بفرسانهما أروع جهاد ، حتى لم يبق أمل من الدفاع ، ارتدَّا بأصحابهما إلى الأسوار ، ملتحقين بأمراء الأندلس الذين هزموا في بدء المعركة ، وتبعهم " ألفونس " بالمطاردة ليجوز عليهم ، وظن أن الهزيمة لحقت بالمسلمين ، وأن يوسف بن تاشفين من جملة المنسحقين ، وبينما هو غارق في هذا الظن ، إذا بالصرخة تتعالى وراءه في معسكره ، وقرع الطبول يتجاوب في الهواء ، وكان زعيم المرابطين قد خرج بجنوده ، وانقض على معسكر الأسبانيين فأوقع بحاميتهم ، وأحرق الخيام ، واستولى على ما فيها من الذخائر والأسلحة .

ارتد " ألفونس " لينقذ معسكره ، ودارت بينه وبين يوسف بن تاشفين معركة حامية رجحت فيها كفة المسلمين ، فارتد المسلمون الذين هزموا في بدء المعركة وفيهم ابن عباد ، وداود بن عائشة بفرسانهما ، فاشتدت عزائم المسلمين حين لاحت بوادر النصر لهم ، وأطبقوا على الأسبانيين ، فحصرهم بين فكي الجيوش الإسلامية - يوسف بن تاشفين في قواته من جانب ، والأمراء الأندلسيين من الجانب الآخر - وبدأت سيوف الإسلام تحصدهم من الأمام والوراء ، حتى دنت ساعة الغروب ، وكره يوسف بن تاشفين أن يأتي الظلام ، ويفصل بينه وبين النصرى دون أن يجهز عليهم ، فأمر فرقة من رجاله - وعدتهم أربعة آلاف - فترجلوا عن مطاياهم ، بأيديهم السيوف ، والدرك ، ومزاريق الزان ، فاقتحموا خيول الأسبانيين وأعملوا الطعن في بطونها ، وصدورها ، فازورت بفرسانها ، وفرت من الميدان من ألم الجراح وحملت جيوش المسلمين حملة صادقة ، فانهزم الأسبانيون ، واستمر القتال فيهم ، فلم يفلت منهم غير طويل العمر .

خسر الأسبانيون أكثر جيوشهم في هذه الموقعة ، وكذلك كانت خسارة المسلمين جسيمة ، لأن الضائقة لزمتهم معظم النهار ، بيد أنهم وجدوا التعزية في النصر البهيج ، فأقاموا مهرجان الفرح مساء يومهم ، وبعث المعتمد ابن عباد حمامة إلى عاصمته ، تحمل رسالة البشرى لولده الرشيد ، فقرئت على الناس في المسجد الجامع ، واحتلقت " إشبيلية " بالنصر في اليوم نفسه ، على ما بينها وبين " بطليوس " من البعد ، وبات الجيش ليلته في ميدان القتال حتى تنفس الصبح ، فصلوا صلاة الشكر لله العلى الجليل ، على ما وهبهم من النصر المبين .

وانتهت معركة " الزلاقة " بيوم واحد ، هو الجمعة ٢٣ ديسمبر ١٠٨٦ م ، فدونت حدثاً عظيماً في تاريخ الإسلام ، ولكنها لم تحتد الداء الذي سرى في أوصال الأمة الإسلامية في الأندلس ، فأضعفها ، وأهلك قواها ، ألا وهو الاختلاف على السلطة ، فقد كان الخلاف بين أبناء هذه الأمة في تلك الظروف العصبية ، يذهب إلى حد التضحية بأقدس المبادئ وأسمى الاعتبارات ، وكانت وشائج القومية والدين ، والخطر المشترك ، كلها تغيب أمام الأطماع الشخصية الوضيعة . ذلك أن ملوك الطوائف توجسوا خيفة من أطماع يوسف بن تاشفين في الأندلس ، إذ كانوا يعتقدون أنه جاء لنجدتهم فقط ، فإذا انتهت هذه المهمة ، شد رحاله راجعاً إلى بلاده ، ولكنه أظهر بعد المعركة أنه لا يريد ترك الأندلس لهم ، فنشبت الخلافات بينهم وبينه ، فحال ذلك دون استرداد ما استولى عليه النصارى قبل ذلك ، ومنها " طليطلة " التي سبق الكلام عنها. غير أن دولة الإسلام بقيت في الأندلس بقيادة المرابطين حتى عام ٥٤٠هـ — " ١١٤٦م " ، عندما انهارت دولتهم في إفريقيا أمام الموحدين ، الذين جازوا على الأندلس ، وأخذوا يستولون على ثغورها ومدنها من المرابطين .

حافظ المسلمون على قوتهم في الأندلس في عصر الموحدين ، إلى أن قضى بنو مرين على دولتهم في أواخر عام ٦٦٧هـ (١٢٦٩م) ، فانتهت دولة الموحدين في المغرب ، كما انتهت في الأندلس ، بعد أن عاشت زهاء قرن وثلث ، وقامت دولة بنى مرين تسيطر على أنحاء المغرب الأقصى كله ، وتستقبل عهداً جديداً من القوة والسلطان .

انهارت قوى المسلمين بعد ذهاب دولة الموحدين ، بل قبل ذلك ، عندما دب الضعف في أوصالها ، بالذات بعد إحراز أسبانيا النصرانية لفوزها الحاسم على الموحدين في موقعة العقاب عام

٦٠٩هـ ، ومنذ ذلك الحين يحتاج أسبانيا المسلمة موجة عاتية من الغزو النصراني ، وتسقط قواعد الأندلس التالدة شرقاً وغرباً في يد النصارى ، فسقطت جزيرة " ميورقة " (٦٢٧هـ - ١٢٢٩م) ، و " إبدة " (٦٣١هـ - ١٢٢٣م) ، ثم " قرطبة " (٦٣٣هـ - ١٢٣٦م) ، و " بياسة " و " إستجة " و " المدورة " (٦٣٤هـ - ١٢٢٧م) ، و " بلنسية " (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م) و " شاطبة " و " دانية " (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) و " لقنت " و " أريولة " و " قرطاجنة " (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) ، و " مرسية " (٦٤١هـ - ١٢٣٤م) ، و " وجيان " (٦٤٤هـ - ١٢٤٦م) ، ثم " إشبيلية " (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) ، واجتاحت غرب الأندلس في الوقت نفسه موجة مماثلة من الغزو النصراني ، فسقطت " بطليوس " (٦٢٦هـ - ١٢٢٨م) و " مادة " (٦٢٨هـ - ١٢٣٠م) ، و " شلب " (٦٤٠هـ - ١٢٤٢م) ، و " شتتمرية " الغرب (٦٤٧هـ - ١٢٤٩م) ، و " ولبة " (٦٥٥هـ - ١٢٥٧م) ، ثم سقطت " قادس " في سنة ١٢٦٢م وتلتها " شريش " في سنة ١٢٦٤م ، وهكذا لم يأت منتصف القرن السابع الهجرى [القرن الثالث عشر الميلادى] حتى كانت ولايات الأندلس الشرقية والوسطى كلها ، قد سقطت في يد أسبانيا النصرانية ، ولم يبق من تراث الدولة الإسلامية بالأندلس سوى بعض ولايات في طرف أسبانيا الجنوبي .

وأخذت الأندلس عندئذ ، تواجه شبح الفناء مرة أخرى ، وطافت بالأمة الإسلامية التي احتشدت يومئذ في الجنوب في بسيتها الضيق ، ريح من التوجس والفرع ، وعاد النذير يهيب بالمسلمين ، أن يغادروا ذلك الوطن الخطر الذي يتخاطف العدو أشلاءه الدامية ، وسرى إلى الأمة الأندلسية شعور عميق بمصيرهم المحتوم .

ولكن شاء القدر أن يرجىء هذا المصير بضعة أجيال أخرى ، وشاء أن يسبغ على الدولة الإسلامية بالأندلس ، حياة جديدة في ظل مملكة " غرناطة " ، تلك المملكة التي استطاعت أن تحافظ على قوة المسلمين نوعاً ما في الأندلس ، حتى تكالبت عليها قوى النصرانية ، واستغاثت بالمسلمين في الطرف الآخر ، ولكنهم لم يلبوا استغاثتها ، لضعفهم ، وانشغالهم عنها بأموزهم الداخلية ، فسقطت تحت خيل المعتدين .

سقوط غرناطة :

لم يبق في أيدي المسلمين من الأندلس العربية بعد انهيار دولة الموحدين وسقوط " قرطبة " ، و " بننسية " ، و " إشبيلية " ، وسواها من المدن والقلاع ، إلا مملكة " غرناطة " . ويشمل حكمها " كورة البيرة " (Elvire) ومنها قطر " لوشه " (Loja) على نهر " غرناطة " ، المعروف بنهر " شنيل " ، (Xeinuecar) ، وجبال " البشرات " (Alpujarras) و " بسطة " (Baza) وأشهر مدنها التجارية على ساحل البحر " مالقة " (Malaqu) و " المرية " (Aiméria) .

نشأت هذه الدولة في ظل ظروف صعبة ، إذ كانت الحرب الأهلية قد مزقت الأندلس عقب انهيار دولة الموحدين ، فعمت الفوضى ، وكثر الفساد ، ولكن عزيمة محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن حميس بن نصر بن قيس الخزرجي ، الملقب بابن الأحمر استطاعت أن تتغلب على كل عقبة في تكوين تلك الدولة ، ولعب موقعها الجغرافي ، والأحداث التي وقعت في ذلك العصر دوراً كبيراً في قيامها وبقيائها مدة مائتين وخمسين عاماً أخرى بعد أن سقطت ولايات الأندلس في يد النصارى ، ويمكن أن نلخص العوامل التي ساعدت على الحياة هذه المدة فيما يلي:

١- الموقع الجغرافي ، ذلك أن القواعد والثغور الجنوبية التي تقع فيما وراء نهر الوادي الكبير ، آخر الحواجز الطبيعية بين أسبانيا النصرانية ، وبين الأندلس المسلمة ، كانت أبعد المناطق عن متناول العدو ، وأمنعها ، وكانت في الوقت نفسه أقربها إلى الضفة الأخرى من البحر ، إلى عدوة المغرب ، وشمال إفريقيا ، حيث تقوم دول إسلامية شقيقة ، وحيث تستطيع الأندلس وقت الخطر الداهم أن تستمد العوث والعون من إخوانها في الدين ، وقد كان لها في ذلك منذ أيام الطوائف أسوة .

٢- إنشغل الملوك الأسبان عنها بمحاربة بعضهم بعضاً ، واستمرت الحرب بينهم حتى القرن الخامس عشر الميلادي .

٣- اعتاد الملوك الأسبان على ابتزاز أموال المسلمين ، فكانوا يجدون لذة في ضرب الجزية عليهم ، واعتبارهم من أتباعهم ، فقد عاون بنو الأحمر ، النصارى ، في الاستيلاء على ثغر

" قادس " ، وبذل لهم ما استطاع من العون المادى ، والأدبى ، ضد الأمراء المسلمين ، وذلك طبقاً لاتفاق عقد بينه وبين ملك " قشتالة " ، يقضى بأن يترك ابن الأحمر ، يحكم مملكته ، وأراضيه باسم ملك " قشتالة " ، وفى ظله ، على أن يؤدي ابن الأحمر جزية ، سنوية ، قدرها مائة وثمانون ألف قطعة من الذهب ، وأن يعاونه فى حروبه ضد أعدائه .

٤- كانت المملكة مكتظة - على ضيق مساحتها - بالسكان ، لأن معظم المسلمين الذين هاجروا من الولايات الأندلسية ، التى احتلها النصارى لجأوا إليها ، واتخذوها مقراً ، فاجتمع فيها عدد كبير من المحاربين الشجعان ، كانت تستعين بهم فى رد عدوان النصارى عندما كانوا ينقضون عهد الأمان ، وكثيراً ما كان يحدث منهم ذلك .

٥- كانت إذا أحست بالخطر ، وشعرت بالخناق يضيق عليها ، إستصرخت سلاطين المغرب ، وفى مقدمتهم بنو مرين ، فيرسلون إليها الجنود الشجعان ، لرد المعتدين عن أرضها .

كان لهذه العوامل كلها أثر كبير فى بقاء مملكة " غرناطة " ، إلى أن تغير الوضع الدولى آنذاك ، إذ استطاع البابا " إينوسان " الثالث ، أن يصلح بين الملوك الأسبانيين ، ويؤلف قلوبهم ، ويحشهم على محاربة المسلمين ، ودفع سقوط " قسطنطينية " فى الشرق فى أيدي العثمانيين سنة ١٤٥٣ م ، النصارى فى أوروبا ، إلى مساعدة ملوك أسبانيا ، للقضاء على الإسلام فى الأندلس .

أضف إلى ذلك ما أصاب دولة بنى مرين من ضعف ، أعجزها عن تقديم المساعدة للمستغيثين بها من الأندلسيين ، ورافق ذلك تضعف فى أحوال غرناطة من جراء خلافها الداخلى وانقسامها أحزاباً تحترب ، وتتصارع ، ويفزع بعضها إلى النصارى لمقاومة البعض الآخر ، فمهّدوا السبيل للنيل منهم ، وتغلب العدو على مدتهم وقلاعهم . وكان أخطر تلك الخلافات ما وقع فى قصر الحمراء من دسائس النساء ومكايدهن ، ذلك أن السلطان أبا الحسن علياً بن الأحمر كان رجل لذات وشهوات ، فأهمل رعاية الجيش ، وأقدم على قتل كبار القواد ليأمن انتفاضتهم ثم سلم زمام الحكم لوزيره ، واحتجب فى قصره عن الناس ، ليتفرغ لنسائه وملاهيته ، فأغضب العامة والخاصة ، وتمخض الأمر عن إندلاع ثورة ، بايعت أجهه أبا عبد الله محمداً ، الملقب بالزغل ، ونشبت الفتنة بين الأخوين ، ولكنها انتهت بإخضاع الزغل .

غير أنه ما لبث أن نشأ خلاف ، أشد منه وأنكر ، خلاف بين الإبن وأبيه ، ومنشؤه أن أبا الحسن وقع في غرام جارية أسبانية ، أسلمت ، وتسمت بالثريا ، استولت على إرادته فحملته على أن يتزوجها ، وتبوات عنده المزلّة الأولى ، فجعل ولاية العهد لبعض أولادها ، فاشتعلت الغيرة في صدر زوجته عائشة ، وهى ابنة عمّة السلطان الأيسر ، ومازالت الثريا تجرّض السلطان أبا الحسن على زوجته وولديها حتى أمر السلطان باعتقالهم . أثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية ، وولديها بعطفهم وتأييدهم ، فكان نذير الإضطراب في المجتمع الغرناطى ، وانقسم الزعماء إلى فريقين خصيمين ، فريق يؤيد الأميرة الشرعية وولديها ، وفريق يؤيد السلطان وحظيته ، واستأثر الفريق الأخير بالفوز مدى حين .

عمدت الأميرة عائشة إلى الاتصال بعصبتها وأنصارها ، فساعدها على الفرار من السجن مع ولديها ، اختفى الفارون حيناً حتى قويت دعوتهم ، وانضم إليهم كثير من أهل " غرناطة " ، وكان اسم عائشة ، ورفيع خلالها ، وقصة فرارها الجرى ، تثير أيماء عطف وإعجاب .

ظهر ولدها الفتى محمد أبو عبد الله في وادى " آش " حيث جمع عصبته وأنصاره وغلبت دعوته ، فنشبت الثورة في " غرناطة " ، ولم يستطع أبوه مواجهتها ، لسخط العامة على سياسته ، ففر إلى " مالقة " ، وكان بما أخوه الزغل .

جلس أبو عبد الله محمد مكان أبيه على عرش " غرناطة " في أواخر عام ٨٨٧هـ — وأطاعته " غرناطة " ووادى " آش " ، وغيرهما ، ولم يبق غير " مالقة " والناحية الغربية تحت نفوذ أبيه .

التقى الابن والاب في معارك طاحنة ، واضطربت نار الحرب الأهلية بين المسلمين ، وكان ملك " قشتالة " يرقب الأحداث ، فلاحته له الفرصة للغزو ، ورأى أن الوقت قد حان للقضاء على آخر معقل للإسلام في الأندلس ، تنفيذاً لبعض شروط عقد الزواج المعقود بين " فردينايد " ملك " أرجوان " ، و " إيزابيلا " ملكة " قشتالة " التى تنص على إدماج مملكتيهما في مملكة واحدة ، لتحارب المسلمين وتخرجهم من أسبانيا .

قصد المسيحيون " مالقة " ، و " بلش " في نحو ثمانية آلاف ، فقاومهم الزغل وأوقع بهم خسائر فادحة ، ولما علم أبو عبد الله أن عمه أحرز نصراً على النصارى ، أحب أن يكون له قسط في الجهاد الوطني والديني - وكان يقاتل قوات أبيه في ذلك الحين وتغلب عليها - فحشد قواته وخرج لقتال الأسبانيين ، فتجمع عليه الأسبان ، فهزموه ، وأخذوه أسيراً .

أجمع أمراء " غرناطة " على إرجاع والده ، وكان قد ذهب بصره ، فرفض أن يقوم بأعباء الملك ، وهو على هذه الحال ، فأشار عليهم أن يبيعوا أخاه الزغل ، فبايعه الأندلسيون وقدموا له فروض الطاعة .

خاض المسلمون بقيادة الزغل معارك طاحنة ضد النصارى الذين أغاروا على غرب " مالقة " في عام ٨٥٠هـ - ١٤٨٥م " وحاصروا " رندة " ، وهدموا أسوارها ، وفي أثناء ذلك ، أراد " فردينايد " أن يضرب المسلمين بعضهم ببعض ، ويستفيد من شقاقهم وتجارهم ، فبعث إلى عبد الله - وهو أسير عنده - فحضر إليه ، واتفق معه على أن يطلق سراحه ، ويساعده على استرداد عرشه من عمه ، وأمدّه بالجنود والمال اللازم ، فثار عبد الله يطلب العرش ، وانضم إليه أهل " البيازين " ، وهو حى من أقدم أحياء " غرناطة " ، يتفشى الجهل بين سكانه ، وتبعهم بعض أهل " غرناطة " ، بدعوة أنهم يرجون الصلح مع المسيحيين على السلطان الأمير أبي عبيد الله ، لما رأوا من عطف القشتاليين عليه ، فوقعت الفتنة بين المسلمين .

ثم جاء السلطان أبو عبد الله إلى " لوشة " ، فظن أهلها أنه أتى لمصالحة عمه الزغل ، وإذا صاحب " قشتالة " يدهم " لوشة " بجيش كثيف فيحاصرها ، فخف أهل " البيازين " إلى نصرة السلطان أبي عبد الله ، ولكنهم ما لبثوا أن تبين لهم أنه كان على اتفاق مع الملك الأسباني ، ففتحت " لوشة " أبوابها لـ " فرديناند " عام ٨٩١هـ ، وهاجر أكثر أهلها إلى غرناطة ، أما عبد الله ، فبقى مع الأسبانيين ، فصدقت شائعة تحالفه معهم .

استمر " فرديناند " في محاربة الزغل ، فأخذ منه حصونه وقلاعته واحدة بعد الأخرى ، وهو يظهر الصداقة لأبي عبد الله ، ويدعى مناصرته على عمه ، ومنافسه في الملك .

وكان غرضه الرئيسي عزل " غرناطة " عن جميع المدن والولايات الإسلامية ، فيسهل عليه امتلاكها إذا حاصرها ، ويجول دون وصول النجذات إليها ، ولا يخفى ما في هذه الخطة من دهاء وحسن تدبير .

وعندما سقطت أمام " فرديناند " جميع الحواجز التي كانت تعوق زحفه إلى " غرناطة " كتب إلى عبد الله يستتره عنها ، واعدأ إياه بأن يضعه تحت حمايته ، ويعطيه مالا جزيلاً ، ولكن لم ينتظر الجواب ، بل دلف إليه بجنوده لينجز الأمر سريعاً .

جمع أبو عبد الله أعيان المدينة وقوداها ، وأطلعهم على كتاب " فرديناند " فأجمعوا رأيهم على الجهاد ، فأرسل عبد الله إلى " فرديناند " يبلغه رفض طلبه واستعداده لقتاله .

نزلت قوات " فرديناند " أمام المدينة ، وضربت الحصار حولها ، وأمّرت " إيزابيلا " زوجة " فرديناند " ببناء مدينة مقابلة لها ، لأنما رأت أن الحصار سيطول ، فبنت المدينة ، وأطلق عليها " سانتفي " (Sante-Fe) أى الإيمان المقدس .

صبرت " غرناطة " على الحصار ، وقصف مدافع العدو ، ولكن المؤونة لم تكن تكفيها سوى مدة قصيرة ، وليس لها باب مفتوح إلا من ناحية جبل " شلير " تأتيها منه المؤونة رشحاً ، لوعورة المسالك ، فكان الضيق يدفع أهلها حيناً بعد آخر إلى ترك الأسوار والحصون ، لمنازلة العدو ، فتقع معارك دامية ، يستبسلون فيها مقاتلين قتال الضواري ، فيسيل مرج " غرناطة " دماً ، ويكتسى بالجثث والسهم ، ولما اشتد الجوع على المسلمين ، دعا السلطان أبو عبد الله رجال الدولة وأهل المشورة يستطلع آراءهم فيما ينبغي عمله ، فاتفقوا على إسلام البلد ، حفاظاً على النفوس أن تهلك حيث لا يجدى الهلاك ، فاختراروا وفداً من رؤساء الجند للمفاوضة ، فخرجوا إلى معسكر الأسبانيين ، فاستقبلهم " فرديناند " و " إيزابيلا " بحفاوة ، فعرضوا عليهما إسلام العاصمة ، على شروط الأمان للمسلمين ، فقبل العاهلان دون تردد ، أن تفتح المدينة أبوابها صلحاً ، ووضعت معاهدة الاستسلام ، وهي تتضمن سبعة وستين شرطاً منها :

لا يجوز للجنود المسيحيين أن يدخلوا المساجد ، إلا بإذن من الفقهاء ، وتبقى المساجد والأوقاف كما كانت ، ولا يمنع مؤذن ، ولا مصل ، ولا صائم عن أموره الدينية ، وكل مسيحي يضحك منهم في أثناء إقامة شعائرهم يعاقب . لا يقسر من أسلم من النصارى على

الرجوع إلى دينه ، أما من تنصر من المسلمين ، فإنه يوقف أياماً ، حتى يظهر حاله ، ويحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى ، فإن أبي الرجوع إلى الإسلام يترك على ما أراد .. إلخ .
 وقع " فرديناند " و " إيزابيلا " على هذه الشروط ، ثم وقع على التسليم أبو عبد الله فتوقفت الأعمال الحربية في ديسمبر سنة ١٤٩١م (صفر ٨٩٧هـ) ، وفي يناير سنة ١٤٩٢م (ربيع الأول ٨٩٧هـ) فتحت " غرناطة " أبوها ، ودخلها الملك الكاثوليكيان في موكب حافل ، فساروا إلى الحمراء ، بعد أن غادر قلعتها أبو عبد الله ، مجتازاً ساحة الأسود ، كسيراً ، مختلج الفؤاد ، يسير مطرقاً إلى منفاه وبجانبه أمه عائشة صامته ، قاطبة ، والناس وقوف في الشوارع والشرف ، يشيعونه بأنظارهم منقبضين ، ما بين راحم ، وناقم ، حتى إذا انعطف به الطريق ، وكادت الحمراء تتوارى عنه ، أرسل إليها النظرة الأخيرة ، وهطلت عيناه بالدموع ، فالتفتت إليه أمه ، وقالت له بجملة الشامت المتألم :

إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً
 لم تحافظ عليه مثل الرجال
 وهكذا سقط آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس ، وضاعت دولة المسلمين هناك إلى الأبد ، ولم يبق إلا تاريخها ، عبرة لمن تدبر ، وتعلم ، وأناة الشعراء الذين رثوها ، تمجيد مشاعر المسلمين ، وتذكيرهم بما حدث لإخوانهم في الأندلس ، فيأخذون حذرهم ، حتى لا يلقوا نفس المصير ، وإليك أبيات من هذا الرثاء :

فواحسراتا كم من مساجد حولت
 ووأسفا كم من صوامع أوحشت
 فمحراهما يشكو لمنبرها الجوى
 وكم طفلة حسناء فيها مصونة
 فأضحت بأيدي الكافرين رهينة
 وكم فيهم من مهجة ذات ضجة
 لها روعة من وقعة اليبين دائم
 وكم من صغير في حجر أمه
 وكم من صغير بدل الدهر دينه
 وكانت إلى البيت الحرام شطورها
 وقد كان معتاد الأذان يزورها
 وآياتها تشكو الفراق وسورها
 إذا أسفرت يسبي العقول سفورها
 وقد هتكت بالرغم من ستورها
 تود لو انضمت عليها قبورها
 أساها وعين لا يكف هديرها
 فأكبدها حراء لنح هجيرها
 وهل يتبع الشيطان إلا صغيرها

نشبت معارك كلامية - بجانب المعارك العسكرية - حول الإسلام والمسيحية وتعاليم كل من الدينين ، وكانت تشتد في المدن التي يسيطر عليها المسيحيون ، وفيها بعض المسلمين الذين اختاروا البقاء في الوطن الذي نشأوا فيه ، فكانت هذه الطائفة هدفاً لهجوم منظم من جانب رجال الدين المسيحي ، طبقاً لخطة وضعت لتنصيرهم ، فكانت تعاليم الإسلام موضوع المحاورات والمناقشات التي تدور بين القسس وبينهم .

ومن مظاهر ذلك النقاش الكتاب الذي تقدم له ، فقد اعتاد قسيس من الأسبان ، أن يلقي أسئلة على بعض المسلمين في مدينة " طليطلة " - بعد سقوطها في يد النصارى - كي يضعف من عقيدتهم ويخلخل إيمانهم ، ولم يكن هؤلاء المسلمون على قدر من الثقافة الدينية ، تمكنهم من الرد عليه ، ولكن غيرتهم على الدين دفعتهم إلى البحث عنم يستطيع مدهم بإجابة ، تفحم هذا القسيس ، فوجدوا أبا عبيدة الخزرجي^(١) وكان شاباً كثير الإطلاع ، فكان يمدهم بالإجابة التي يردون بها أسئلة القسيس .

(١) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة (بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة بعدها ياء مثناة) ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الأنصاري الخزرجي الساعدي (نسبة إلى سعد بن عبادة الصحابي) ، فقيه أندلسي .

ولد في قرطبة عام ٥١٩هـ (١١٢٥م) كان مشهوراً في شبابه بالذكاء والنيل ، حافظاً للحديث ، ملماً بالتواريخ والقصص متيناً في الأدب .

تذكر المصادر أنه شارك بوجه ما في الفن التي انتابت قرطبة في عامي ٥٤٠/٣٩هـ (١١٤٦ / ٤٥م) وأسر سنة ٥٤٠هـ (١١٤٦م) ، وبقي أسيراً في طليطلة إلى سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م) ، وفي هذه الفترة ألف هذا الكتاب ، وهو ابن اثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين سنة .

ولا نعلم شيئاً عنه بعد هذا التاريخ ، سوى أنه عاش حياة متقلبة ، فسكن غرناطة مدة ، وبجاية أخرى ، ثم استوطن مدينة فاس ، وأه كف بصره في آخر عمره ، وتوفي بفاس عام ٥٨٢هـ (١١٨٧م) وله غير هذا الكتاب :

أدرك القسيس ذلك ، فكتب إلى أبي عبيدة كتاباً ، يدعو فيه إلى اعتناق المسيحية ، مبيناً له - من وجهة نظره - فضائلها ، ومساوئ الإسلام - كما يدعى - فرد عليه أبو عبيدة بكتاب ، مفنداً فيه مزاعمه ، شارحاً ما حرفوه من دين الله ومن الموضوعات التي دار حولها النقاش :

التثليث عند النصارى .
 صلب المسيح .
 مشكلة الخطيئة الأولى .

- " آفاق الشمس وأعلاق النفوس " .
 - " نفس الصباح " في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه .
 - " حسن المرتفق في بيان ما عليه المتفق فيما بين الفجر وقبل الشفق " .
 - " قصد السبيل في معرفة آيات الرسول " .
 - " مقام المدرك في إفحام المشرك " .
 لكن لم يصلنا منها سوى هذا الكتاب الذي تقدم له .
 وينسب البعض إلى قرطبة ، مسقط رأسه ، فيقولون : القرطبي وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بهذا الاسم فظن الدارسون أنه القرطبي المفسر المتوفى (٦٧١ هـ - ١٢٧٣ م) ، ولم يعرفوا أن هناك أكثر من عالم ، اشتهر باسم القرطبي : منهم :

القرطبي : البيان ، المتوفى في عام ٢٧٦ هـ - ٨٩٠ م ، وهو من أعلام الفقهاء والمحدثين .
 والقرطبي : محمد بن أحمد ، المتوفى عام ٣٨٠ هـ - ٩٩٠ م ، وهو قاض محدث .
 والقرطبي : عبد الرحمن بن حسن ، المتوفى عام ٤٤٦ هـ - ١٠٥٤ م ، وكان عالماً بالقراءات .
 والقرطبي : عبد الوهاب بن محمد ، المتوفى عام ٤٦١ هـ - ١٠٦٩ م وكان عجباً في تحرير القراءات .
 والقرطبي : ابن عبد البر ، المتوفى عام ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م ، وكان من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخاً وأديباً ، له مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون من تاريخ ، وفقه ، وحديث وغيرها .
 والقرطبي : أحمد بن عمر ، المتوفى عام ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث . وغيرهم
 لذا حذفت النسب إلى قرطبة من أبي عبيدة ، حتى لا يختلط الأمر على القارئ .

معجزات عيسى عليه السلام .

معجزات الحوارين .

طبيعة المسيح .

خوارق العادات التي تظهر في الكنائس .

الشرائع في التوراة والإنجيل .

الطلاق في المسيحية .

تعدد الزوجات في اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .

القتال في الأديان الثلاثة .

تحريف التوراة والإنجيل .

الجزء الأخرى في الأديان الثلاثة .

وأورد أبو عبيدة في رده على القسيس كثيراً من نصوص الكتاب المقدس الذي يقسمه

المسيحيون إلى قسمين :

قسم منها : يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام ، والآخر يزعمون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام ، ومجموع الكتب من القسم الأول يطلقون عليها اسم : العهد القديم ، والقسم الثاني يسمونه : العهد الجديد ، ومجموع القسمين يطلقون عليه : " ببيل " ، وهو لفظ يوناني بمعنى الكتاب ، وهو الاسم المعروف به الكتاب المقدس في اللغات اللاتينية .

يضم العهد القديم تسعة وثلاثين كتاباً :

- ١- سفر التكوين ، ويسمى : سفر الخليفة أيضاً.
- ٢- سفر الخروج
- ٣- سفر الأحبار ، ويسمى : سفر اللاويين أيضاً.
- ٤- سفر العدد
- ٥- سفر التثنية ، ويسمى : سفر الاستثناء أيضاً.

ومجموع هذه الكتب الخمسة يسمى بالتوراة ، وهو لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة ، وقد يطلق اسم التوراة على مجموع كتب العهد القديم كلها مجازاً .

- ٦- كتاب " يوشع " بن نون .
- ٨- كتاب راعوث .
- ١٠- سفر صموئيل الثاني .
- ١٢- سفر الملوك الثاني .
- ١٤- السفر الثاني من أخبار الأيام .
- ١٦- سفر نحميا .
- ١٨- كتاب أيوب .
- ٢٠- أمثال سليمان .
- ٢٢- كتاب نشيد الإنشاد .
- ٢٤- كتاب أرمياء .
- ٢٦- كتاب حزقيال .
- ٢٨- كتاب هوشع .
- ٣٠- كتاب عاموس "أو عاموص" .
- ٣٢- كتاب يونان .
- ٣٤- كتاب ناحوم .
- ٣٦- كتاب صفنيا .
- ٣٨- كتاب زكريا .
- ٧- كتاب القضاة .
- ٩- سفر صموئيل الأول .
- ١١- سفر الملوك الأول .
- ١٣- السفر الأول من أخبار الأيام .
- ١٥- سفر عزرا .
- ١٧- كتاب أستير .
- ١٩- المزامير " الزبور " .
- ٢١- كتاب الجامعة .
- ٢٣- كتاب أشعيا .
- ٢٥- مرثي أرمياء .
- ٢٧- كتاب دانيال .
- ٢٩- كتاب يوثيل .
- ٣١- كتاب عوبديا .
- ٣٣- كتاب ميخا .
- ٣٥- كتاب حبقوق .
- ٣٧- كتاب حجي .
- ٣٩- كتاب ملاخي .

وكان ملاخي النبي ، قبل ميلاد المسيح بنحو أربعمئة وعشرين سنة .

وهذه الكتب كانت مسلمة عند جمهور القدماء المسيحيين ، ما عدا كتاب أستير ،

والسامريون لا يسمون منها إلا بسبعة كتب :

الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وهي المعروفة باسم التوراة ، وكتاب يوشع بن

نون ، وكتاب القضاة ، وتخالف نسخة تورايم نسخة توراة اليهود .

وهناك كتب أخرى لم يعترف بها ، واستبعدت من نسخة العهد القديم الموجودة بين

أيدينا ، وهذه الكتب هي :

- ١- كتاب باروخ . ٢- كتاب طوبيا . ٣- كتاب يهوديت .
 ٤- كتاب وزدم . ٣- كتاب إيكليزيا ستكيس . ٦- كتاب المقايين الأول .
 ٧- كتاب المقايين الثان .
 أما العهد الجديد ، فعشرون كتاباً :

- ١- إنجيل متى . ٢- إنجيل مرقس .
 ٣- إنجيل لوقا . ٤- إنجيل يوحنا .

ويقال لهذه الأربعة : الأناجيل ، ولفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة ، وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد ، وهذا اللفظ معرب كان في الأصل اليوناني " إنكليون " بمعنى البشارة والتعليم ^(١) .

- ٥- كتاب أعمال الرسل (الحواريون) . ٦- رسالة بولس إلى أهل رومية .
 ٧- رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس . ٨- رسالته الثانية إليهم .
 ٩- رسالته إلى أهل غلاطية . ١٠- رسالته إلى أهل أفسس .
 ١١- رسالته إلى أهل فليبي . ١٢- رسالته إلى أهل كولوسي .
 ١٣- رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي . ١٤- رسالته الثانية إليهم .
 ١٥- رسالته الأولى إلى تيموثاوس . ١٦- رسالته الثانية إليه .
 ١٧- رسالته إلى تيطس . ١٨- رسالته إلى فلاديمون .
 ١٩- رسالته إلى العبرانيين . ٢٠- رسالة يعقوب .
 ٢١- رسالة بطرس الأولى . ٢٢- رسالة بطرس الثانية .
 ٢٣- رسالة يوحنا الأولى . ٢٤- رسالته الثانية .
 ٢٥- رسالته الثالثة . رسالة يهوذا .

^(١) وهذه هي الأناجيل الأربعة التي اعترفت بها الكنيسة ، بعد أن إختارهما من عدد كبير من الأناجيل ، وأصدرت قراراً بإعدام ما عداها ، واتخذت إجراءات صارمة في تنفيذ هذا القرار ، حتى لم يبق منها سوى إنجيل برنابا .

(١) شك المسيحيون في صحة بعض كتب العهدين ، ثم اعترفت مجالسهم بها ، ثم عادت بعض الفرق ، ونقضت هذا الإقرار ، فقد انعقد مجلس علماء المسيحية في عهد " فسططين " في بلدة " نانس " عام ٣٢٥م لبحث مسألة الكتب المشكوك فيها فقرروا بعد المشاورة : أن كتاب " يهوديت " واجب التسليم ، وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكاً فيها كما كانت. ثم بعد ذلك انعقد مجلس آخر يسمى مجلس " لوديسيا " في عام ٣٦٤م ، فأبقى حكم المجلس الأول في كتاب " يهوديت " على حاله ، وزاد عليه سبعة كتب أخرى ، وجعلها واجبة ، وهي هذه :

- ١- كتاب أستير .
 - ٢- رسالة يعقوب .
 - ٣- الرسالة الثانية لبطرس .
 - ٤- الرسالة الثانية ليوحنا .
 - ٥- الرسالة الثالثة ليوحنا .
 - ٦- رسالة يهوذا .
 - ٧- رسالة بولس إلى العبرانيين .
- بقي كتاب مشاهدات " يوحنا " في هذين المجلسين خارجاً مشكوكاً فيه كما كان ، ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر في عام ٣٩٧م ، وكان عدد المجتمعين ١٢٧ من العلماء المشهورين ، فأبقوا حكم المجلسين الأولين بحاله ، وزادوا على حكمهما هذه الكتب :

- ١- كتاب وزدم .
- ٢- كتاب طوبيا .
- ٣- كتاب باروخ .
- ٤- كتاب إيكليزيا ستيكس .
- ٥ ، ٦ - كتابا المقايين .
- ٧- رؤيا يوحنا .

لكن أهل المجلس جعلوا كتاب " باروخ " بمجزلة جزء من كتاب " أرميا " لأن " باروخ " كان بمجزلة النائب والخليفة " لأرميا " ، ثم انعقدت بعد ذلك ثلاثة مجالس : مجلس " ترلو " ، ومجلس " فلورنس " ، ومجلس " ترنت " وعلماء هذا المجلس الأول أبقوا حكم المجلس المنعقد في عام ٣٩٧م على حاله ، لكن أهل المجلسين الآخرين كتبوا اسم كتاب " باروخ "

إعتمدنا في التحقيق على ثلاث نسخ :

الأولى : مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم ١٨٦٣ ، وعدد أوراقها ٩٢ ، بكل ورقة صفحتان وعدد سطور الصفحة ١٥ ، ومتوسط عدد كلمات السطر سبع ، وهي بخط جيد ، إلا أن بعض كلماتها غير واضحة ، عجزت عن قراءتها ، ولم يسعني الإهتمام إليها إلا النسختان الأخريان . وقد حصلنا على نسخة مصورة لها ، من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وعنوان الكتاب في هذه المخطوطة : " مقامع هامات الصليبان ، ومراتع روضات الإيمان " .

ويرجع تاريخ نسخها إلى القرن التاسع الهجري ، ولم يذكر ناسخها شيئاً عن نفسه ، ولا عن النسخة التي نقل عنها ، بل أضاف تذييلاً بدأه بقوله : قال المراجع : ليعلم كل ذى بصيرة ... الخ وقد رمزنا لها بالحرف " ج " .

الثانية : المخطوطة الموجودة في المكتبة الأحمديّة بتونس تحت رقم ٢٠٦٣ وهي بخط مغربي ، صعب القراءة ، وتقع في ٢٦ ورقة ، تضم الورقة صفحتين ، وعدد سطور الصفحة ٢٣ سطرًا ، متوسط عدد كلمات السطر تسع كلمات ، وعنوان الكتاب في هذه المخطوطة : " كتاب مقامع الصليبان في الرد على عبدة الأوثان " .

غير أنه ذكر في هامشها أنه سمي أيضاً بروضات الإيمان ، وبهذا يتفق مع نسخة " ج " وقد ذكر ناسخها اسمه ، وتاريخ النسخ فقال :

" في فهرست أسماء الكتب على حدة فبعد انعقاد هذه المجالس ، صارت هذه الكتب المشكوك فيها ، مسلمة بين جمهور المسيحيين ، وبقيت هكذا حتى ظهرت فرقة " البروتستانت " في القرن السادس عشر الميلادي ، فرد علماءها حكم هؤلاء الأسلاف في :

كتاب " باروخ " ، وكتاب " طويبا " ، وكتاب " يهوديت " ، وكتاب " وزدم " ، وكتاب " إيكليزيا استكس " وكتابي المقايين : وقالوا : إن هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة .
(راجع : رحمة الله الهندي ج ١ ص ٥١ - ٥٥) .

" انتهت الرسالة المباركة بحمد الله ، وحسن عونه ، وتوفيقه ، وتأيدته يوم الأربعاء للسمع وعشرين خلون من ذى الحجة الحرام ، متمم شهور سنة ١٢٨٠ ، ثمانين ومائتين وألف على يد العبد الفقير ، المقر بالعجز والنقص ، الراجي من مولاه الحلیم الستار ، تخفيف الذنوب ، والأوزار ، عبده وأقل عبيده ، محمد على بن عمار^(١) التونسي الدار ، التميمي ، غفر الله له ولوالديه ، ولمشايعه ، ولجميع المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، بجناه صاحب المعجزات ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً ."

وقد رمزنا لها بالحرف " ت " .

الثالثة: نسخة طبعت بمصر عام ١٣١٦هـ بدون تعليقات ، وهي بعنوان " الفاصل بين الحق والباطل "

ولم تنسب إلى أبي عبيدة ، بل ذكر ناشرها تحت العنوان:

يتضمن

" حجة عز الدين الحمدي على حنا مقار العيسوي "

ونصه هو نص النسختين السابقتين ، غير أنه يختلف عنهما في بعض الأشياء أولاً: اختلفت مقدمته عن مقدمتها ، إذ جاء فيها :

" إنني في سنة ألف وثلثمائة من الهجرة ، كنت رأيت كتاباً عربياً طبع ببلاد أوروبا اسمه " رسائل الكندي " ، يقول طابعه إنه وجدته في أحد المساجد القديمة^(٢) وهذا الكتاب يشتمل على رسالتين :

(١) هو عالم من أهل تونس ، قدم إلى مصر ، وجعل ناظراً لمسجد أبي الذهب ، وأوقفه ، واتصل بإبراهيم باشا ، فكان يعلم أولاده العربية ، وكان عالماً ذكياً درس في الأزهر ، وحسنت حاله ، ولما مات إبراهيم باشا نفاه الخديوي عباس ، فذهب إلى الحجاز ، ثم رحل إلى القسطنطينية ، فمات فيها عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) .

من كتبه : " تعديل المرقاة وجلاء المرأة - خ " و " حاشية على مرآة الأصول لملا خسرو " . (الزر كلى - الإعلام)

(٢) ليس من المحتمل أن يكون قصده " رسائل الكندي الفلسفية " التي احتوت على :

- رسالة في أنه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضيات .

- رسالة في مدخل المنطق .

الأولى : من مسلم يدعو صاحبه المسيحي إلى دين الإسلام.

والثانية : رسالة من المسيحي يرد فيها على رسالة المسلم رداً مطولاً .

وبعد اطلاعي على ذلك الكتاب ، وفهم مبادئه وغاياته ، كنت عازمة على أن أرد عليه ، وإن كنت لست من رجال هذا الميدان ، ولكن الصدفة أحياناً تفعل ما لا يفعله القاصد ، فإني عثرت على كتاب قديم في أحد المعابد القديمة اسمه : " الفاصل بين الحق والباطل " فأخذته ، وبعد اطلاعي عليه مع التأمل ، أعجبتني ، واكتفيت به عما كنت عازمة عليه ، لأنني وجدته عكس رسائل الكندي ، أعني يحتوي على رسالتين :

الأولى : من مسيحي اسمه "حنا مقار" يدعو صاحبه المحمدي واسمه : "عز الدين" إلى النصرانية .

والثانية : من المحمدي يرد فيها على المسيحي رداً شافياً ، ولذلك قد صرفت فراغى في إصلاح ما أفسده الزمان من ذلك الكتاب ، وتصحيح ما فعله تقادم العهد عليه ، وها أنذا الآن أنشره لإخواني ذوى العقول من نوع الإنسان على العموم ، ليس في ذلك غاية ، سوى ما في الزوايا من الخبايا ، ولكل مقام مقام .

- رسالة في المقولات العشر .

- رسالة في المناظر الفلكية .

- رسالة في الغذاء والدواء المهلك .

- رسالة في أن النفس جوهر بسيط .

- رسالة في ما للنفس ذكره ، وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس .

- رسالة في الأخلاق .

لأنه لا يوجد بينها ما أشار إليه ناشر كتاب "الفاصل بين الحق والباطل" من تبادل رسالتين بين مسيحي ومسلم.

أما ما عرف بإسم : "رسالة الهاشمي ورد الكندي عليها" ، وهي رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحق الكندي ، يدعو فيها إلى الإسلام ، ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي ، يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية ، فقد أثبت البكري - في مقال نشر في العدد الأول من مجلة كلية الآداب سنة ١٩٤٧م - أنهما رسالتان موضوعتان ، وضعهما السريان في عصر متأخر ، وزعموا وقوع هذه المساجلة في عصر المأمون . (الرد الجميل ص ٦٤).

قال عز الدين الحمدي :

" دخلت مصر في أمر عرض علي ، فاتفق اجتماعي " بحنا مقار " وهو أحد مشاهير النصارى ، وأوائل أفاضلها ، فنحدثت معه ، واستحسن حديثي فتصاحب معي ، وتردد إلي ، وقصد ترغيبى في دينه ، فتباحث معي يوماً في أمر دين النصرانية ، فقلت له بحضرة جماعة من العدول : أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم ، بل أطلبهم كلهم أن يصوروا دينهم تصويراً يقبله العقل ، فإذا صوروه ، اكتفيت بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته ، فحاول هو في نفسه تصوير دينهم فعجز عنه ، فلما عجز ، قال : ما كلفنا بالتصوير ، بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نلتزم ما لا يلزمنا ، وما ليس من ديننا وجنح إلى القول بالتقليد ، وعدم النظر فيما يصح ويفسد .

" فقلت له : الاعتقاد لا بد فيه من أن تثبت شيئاً لشيء ، أو تنفيه ، فهو مركب من تصورين : تصور المحكوم عليه ، وتصور المحكوم به ، وأنتم على ما قلتم مكلفون بالاعتقاد ، ومن كلف بمركب كلف بمفرداته ، فمن كلف بالاعتقاد كلف بالتصور ، فأنتم حينئذ مكلفون بالتصور ، فصور لى دينك .

" فانقطع عن الكلام ، ورأى أنه أصيب من مأمنه ، ولزمه السؤال من قوله ، فقال : أمهلنى ثلاثة أيام ، حتى أجمع على " ابن العسال " - وهو أحد أئمة اللاهوت - فأستحضر ما يلزم من البراهين القاطعة .

" فذهب ، ولم أره ، ولم يرجع ، ثم بعد ما مضى أكثر من شهر ، أرسل إلي كتاباً مطولاً يدعوى فيه إلى النصرانية ، التي عجز عن تصويرها ، فضلاً عن إقامة الدليل عليها ، فقرأته وتأملته ، فوجدت أن القوم ليس لهم حظ من النظر القلبي ولا العقل المستقيم ، بل وجدوا آباءهم على الضلال عاكفين ، فهم على آثارهم يهرعون ، قد غمرهم الجهل ، وغمهم العماء ، فلذلك نويت عدم مخاطبة هؤلاء ومراجعتهم في الخرافات ، ولكن ألح على بعض الإخوان على مراجعته والرد عليه ، فامتثلت لأمرهم وكتبت هذا الجواب رداً على تلك الرسالة من نصوص كتبهم وسميته .

" الفاصل بين الحق والباطل " .

ولما حان وقت سفرى أتممته ، وأرسلته إلى " حنا مقار " ، ومضيت إلى حيث أتيت

طالباً من الله أن يجعل هذا الكتاب تنبيهاً للغافلين ، ودليلاً للحائرين ، فيستيقظوا من غفلتهم ، وينظروا إلى هذه المساوئ القبيحة ، والفضائح الفظيعة".

ثم يسير النص مع المخطوطتين السابقتين .

ثانياً : زاد في كتاب المسيحي ، بعد بيان كيفية الصلاة عند المسيحيين ، أركان الدين المسيحي الخمسة ، وهي : التغطيس ، والإيمان بالتثليث ، والإعتقاد بالالتحام بين أقنوم الإبن وعيسى في بطن مريم ، والإيمان بالقربان . ثم الإعتراف بالذنوب أمام القسيس ، وهي أمور لم تذكر في المخطوطتين . ولذا لم نوردتها في النص ، بل أشرنا إلى مضمونها في الهامش .

ثالثاً : أضاف زيادات طفيفة في رسالة أبي عبيدة وحذف منها بعض الفقرات وقد أشرنا إلى كل ذلك في مواضعها .

ولم يذكر الناشر عن نفسه شيئاً ، سوى أنه ليس من أهل هذا الفن ، ولهذا نرى أن من المحتمل أنه عثر على مخطوطة للرسالتين فقط ^(١) ، وليس عليهما ما يدل على كاتبيهما ، فزاد عليهما شيئاً من عنده ، ووضع لكل منهما اسماً يناسبه ، وقدم لهما ، وقد استتجنا هذا الرأي مما يلي :

١- مقدمة المخطوطتين أقرب إلى القبول منطقياً وعقلياً من المقدمة التي وضعها ، فالقسيس في " طليطلة " ينال من الدين الإسلامي ، وهو دين أقلية ، ليس في يدها سلطة ، فيهرع المسلمون إلى أبي عبيدة للرد على هذا الهجوم ، فيمددهم بما يفحم القسيس ، ثم يعلم القسيس ذلك ، فيكتب إليه خطاباً يعرض عليه فيه الدخول في المسيحية ، وذلك هو هدف المسيحيين في " طليطلة " ، بعد أن سقطت في يدهم ، ثم يكتب أبو عبيدة ردّاً عليه ويخشى أن يرسله إليه خوفاً على نفسه من أن ييطش به المسيحيون والسلطة في أيديهم ، فينتظر حتى يحين موعد رحيله ، فيعطيه لمن أوصله إلى القسيس .

^(١) يحتمل أن يكون من النسخة التي نسخها التميمي ، ويقوى هذا الاحتمال : أن التميمي كان بمصر في عهد محمد علي ، وكان يدرس في الأزهر ، فلعل طالباً من طلابه نسخ الرسالتين فقط ، ثم وقعت النسخة في يد ناشر " الفاصل بين الحق والباطل " الذي حضر إلى مصر بعد موت التميمي بأربعة عشر عاماً فقط .

تسلسل منطقي ، وعقلي لا غبار عليه ، أما مقدمة ناشر " الفاصل بين الحق والباطل " فإرد عليها اعتراضات :

(أ) يبدو الالتحال على الإسمين اللذين زعم أنهما كتبوا الرسالتين " حنا مقار " و " عز الدين الحمدي " ، إذ أن كلمة " الحمدي " يطلقها الأوروبيون على المسلم ، نسبة إلى محمد ، في مقابل نسبة المسيحي إلى المسيح ، والمسلمون يرفضون هذه النسبة ، كذلك لم أجد أثراً لهذا الإسم بين علماء الإسلام ، أضف إلى ذلك أن العلماء والمؤلفين في تلك العصور ، اعتادوا أن يكتبوا أسماءهم مطولة على مؤلفاتهم ، تصل أحياناً إلى الجد السادس .

(ب) ذكر في مقدمته أن عز الدين أفحم " حنا " في مناظرة عامة ، ثم بعد مدة أرسل حنا يدعو إلى اعتناق المسيحية ، ولا يعقل أن يصدر هذا من " حنا " لأنه هزم أمامه ، إنما المعقول ، أن يتوارى عنه ، ولا يقاتحه في مسائل العقيدة إطلاقاً .

كيف يطلب المهزوم من المنتصر أن يعتنق المبادئ التي لم يستطع إقامة السدليل على صحتها ؟ لو انتصر " حنا " في مناظرته ، لقبلت هذه الرواية !!

(ج) لماذا انتظر عز الدين - على فرض صحة هذه الرواية - حتى يحين موعد سفره ثم أرسل رسالته إلى " حنا " ؟

أكان يخشى على نفسه من المسيحيين ؟

هذا غير صحيح ، لأن السلطة في مصر في يد المسلمين منذ أن فتحها عمرو ابن العاص حتى الآن ، ولم يخش العلماء في أي عصر الجهر بأرائهم الدينية ، ما دامت لا تناهض السلطة الحاكمة ، والرد على المسيحي في هذا الكتاب ديني بحت ، ولا يهاجم السلطة المدنية ، ولا يتعرض لها بنقد إطلاقاً .

ولهذا اعتمدنا - أساساً - على المخطوطتين ، وما زاد عنهما في نسخة عز الدين ، وضعنا له قوسين معقوفين بينهما نقط ، هكذا [...] ثم ذكرنا الزيادة في الهامش ، إما نصاً أو تلخيصاً ، إن كان النص طويلاً ، ولا فائدة من ذكره كله .

والنسخ الثلاث خالية من التبويب ، ومن هنا وضعنا لكل مسألة عنواناً بين قوسين معقوفين [.....] ، كذلك كل كلمة من عندنا إقتضاها النص .

اعترض القسيس على تعاليم الإسلام في تسع مسائل ، ذكرناها تحت عنوان الشبه ،
فقلنا : الشبهة الأولى ، الشبهة الثانية .. الخ ، وذكرنا رد أبي عبيدة ، عليها تحت عنوان : الرد
على الشبهة الأولى ، والرد على الشبهة الثانية .. الخ ، وتناولنا في تعليقنا عليها الجوانب التي لم
ترد في رد أبي عبيدة ، ولهذا ينبغي على القارئ أن يقرأ الشبهة ، والتعليق ، ورد أبي عبيدة معاً ،
ويفعل ذلك أيضاً في المسائل التي تناولت عقيدة المسيحيين من تليث ، وصلب .. الخ ، لأن
المحافظة على ترتيب النص ، كما هو حالت دون جمع رد أبي عبيدة عقب كل شبهة .
وقد رد أبو عبيدة على جميع ما أورده القسيس من شبهات كل على حدة ، إلا
الشبهتين الثالثة ، والسادسة : اختلاف حكم المطلقة إلى زوجها في التوراة عنها في القرآن ،
ومسألة طرد إبليس من الجنة التي وردت في رؤيا " يوحنا " ، فقد جاء الرد عليهما ضمناً في بيان
ما في التوراة والإنجيل من تحريف ، وقد بينا المنبع الذي استقى منه "يوحنا " ، ما نسخه من خيال
حول مسألة طرد إبليس من الجنة .

(٣)

تنتشر اليوم في المجتمعات الإسلامية نفمة تدعو إلى عدم التعصب ضد أتباع الأديان
الأخرى ، مع أن المسلمين لم يكونوا في يوم من الأيام ، متعصبين بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة
لدى أصحاب هذه الدعوة ، ولا يقصد من هذا سوى توهين العلاقة بين المسلمين ودينهم ،
وفصل المسلم عن عاداته ، وتقاليده الدينية ، تحت ستار مسامرة العصر ، وإلا كان رجعيًا
ومتخلفاً ، ويعيش بعقلية القرون الوسطى ، وقد انزل كثير من أرباب الفكر في العالم الإسلامي
في هذا المجال ، فطفقوا يدعون إلى التنازل عن الأفكار الدينية في الحياة الاجتماعية والسياسية ،
ويستند المعتدلون منهم إلى أن الظروف الدولية تستدعي منا أن نهج هذا السبيل ، وإلا كنا شواذ
في المجتمع الدولي ، لا نستطيع أن نتحرك بحرية ، فنفضل ، وتضيع حقوقنا بين التيارات السياسية
المعاصرة ، ويدللون على ذلك بأن الساسة الغربيين - وهم مسيحيون - طرحوا مسألة الدين
جانباً ، وتصرفوا - ولا زالوا - على أساس علماني بحت .

ونسى هؤلاء أن تصريحات السياسيين العلنية في تلك البلاد ، تختلف إلى حد ما عما يسمونه من خطط تهدف إلى السيطرة - بل القضاء - على العقائد والمذاهب التي تقف عقبة في سبيل ما يتخذونه عقيدة ومذهباً ، وإلا ، فهل يستطيع هؤلاء أن يفسروا لنا مغزى زيارة رؤساء الدول الكبرى للبابا ، ويبيّنون لنا مضمون الأحاديث التي تدور بينه وبينهم في الاجتماعات التي تستمر أحياناً وقتاً طويلاً ١١٩

وما هو السبب في أن الأحزاب المسيحية ، لا زال لها السيطرة في معظم بلاد الغرب ، ولم تستطع الأحزاب الليبرالية أن تخرز نصراً في مواجهتها ، إلا بعد أن أظهرت عطفها على الكنيسة ، وتأييدها لها ١١٩٩

ومن الافتراء على الحقائق ، ما تردده الصحافة في الدول الإسلامية ، من أن قيام دولة في هذا العصر على أساس ديني ، كما هو الحال في دولة إسرائيل - وكذلك الصراع الديني بين الكاثوليك والبروتستانت في إيرلندا - من الأمور الإستثنائية ، لأن الصراع في كثير من بقاع العالم يحمل - في صور متعددة ، وأشكال مختلفة - طابعاً أيديولوجياً - دينياً أو مذهبياً - ويظهر ذلك واضحاً في الأمثلة الآتية :

- اتفاق روسيا مع الهند على ضرب الجيش الباكستاني ، للقضاء على واحدة من أكبر الدول الإسلامية في آسيا.

- تجرى دماء المسلمين في الفلبين على يد المسيحيين ، دون أن تغطي وسائل الإعلام العالمية هذه الأحداث ، ولو كان الأمر بالعكس ، لملئت الدنيا صياحاً وعويلاً.

- محت روسيا معالم الإسلام من المناطق التي احتلتها ، مثل طشقند وبخارى ، والقرم ، وغيرها ، فقد حولت مساجدها إلى مسارح ، ويجرى الآن (ذلك كان قبل انهيار الاتحاد السوفيتي)

- بطريقة منظمة وشاملة - استئصال العقيدة من الأجيال الناشئة ، وسوف ينقرض ما تبقى من الإسلام في هذه المناطق بانقراض الجيل القلبي . ونفس الأسلوب يجري في ألبانيا - ومعظم سكانها مسلمون - ومع جميع الطوائف الإسلامية في البلاد الشيوعية^(١).

(١) يجري الآن استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية في الأقطار التي استقلت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ١١

- قضت العلمانية على الطابع الإسلامى فى تركيا التى كانت مركزاً للخلافة الإسلامية فى القرون الماضية ، وصار الطابع الدينى فى البلاد التى نشأت فيها العلمانية أكثر ظهوراً منه فى تركيا ، ولا يوجد تفسير لهذه الظاهرة ، سوى تصميم المعسكر الغربى على محو المظاهر الإسلامية فى تركيا .

تتسم الحرب الدائرة بين " إرتيريا " والسلطات الأثيوبية بطابع دينى .
- ذُبحَ كثير من المسلمين فى إحدى دول شرق إفريقيا فى ستينات هذا القرن ،
"العشرين" ، وكان الدافع الرئيسى لهذه المذابح نزعة عنصرية دينية .

- عندما قامت حركة انفصالية فى إحدى دول غرب إفريقيا ، تلقت مساعدات من " الفاتيكان " ، ومن معظم الدول الأوربية المسيحية ، لأن معظم سكان المنطقة التى أعلنت الانفصال مسيحيون ، ولم تخف وسائل الإعلام الغربية رجحها ، عندما كانت تدعو مواطنيها إلى التبرع " للدولة المسيحية " الناشئة ، رغم أنها لم تكن سوى مجموعة تمردت على السلطة الشرعية ، كذلك اعترفت بعض الدول المسيحية فى إفريقيا بدولة الانفصاليين .

وهناك الكثير من الأحداث العالمية التى تأخذ الطابع الدينى ، وتحركها وتوجهها عواطف العقيدة - ديناً أو مذهباً - وتتلقى التأيد من ساسة الدول الأخرى التى يقوم نظامها السياسى على أساس علمانى بحت ، ولو رمت حصر ما يقع منها فى العالم ، لطالت هذه المقدمة عن المؤلف .

وينبغى ألا يفهم من هذا أن على زعماء الدول الإسلامية أن يكونوا جامدين فى تحركاتهم السياسية ، ويقطعوا كل صلة بتلك الأمم التى تنهج هذا السبيل بل عليهم - طبقاً لما نفهمه من روح التشريع الإسلامى - أن يسايروا العصر فى مجال السياسة ، ولا يألوا جهداً فى بناء دولهم على أسس حديثة عنصرية لتتقدم علمياً وفنياً وعسكرياً ، وفى الوقت نفسه لا يكونوا سذجاً ، يتبرأون من الدين ، ويتنكرون لمن ينادى بالتمسك به ، بحجة أنهم تقدميون ، وإلا دارت عليهم الدائرة ، كما حدث لأمرء المسلمين فى الأندلس ، ولن يشفع لهم يومئذ كفرهم بكل ما بعت إلى الإسلام بصلة .

يواجه المسلمون المعركة في مجالين : سياسى ، وفكرى ، وقد خسروا جولات في كليهما ، ففي المجال السياسى ضاعت الأندلس ، ودول البلقان ، والقرم ، وبخارى ، وطشقند⁽¹⁾ وغيرها .

وفي المجال الفكرى سيطر الفكر العلمانى على القادة فتنكر بعضهم للإسلام وتجاهله آخرون . وتعرض كثير من الشباب - وخاصة بعض الذين درسوا في الخارج - لحملة التشكيك في صلاحية الإسلام للمجتمع المعاصر ، إذ يحاول المبشرون - ومن يسلكون دروبهم - تشويه المبادئ الإسلامية لهم زاعمين تارة أنها متخلفة عن العصر ، وبالتالى كانت سبباً في تخلف الشعوب الإسلامية ، وأخرى بالهجوم مباشرة على عقائد الإسلام وتعاليمه ، فاهتزت عقيدة الشباب نتيجة لهذه الحملات ، وضعفت العلاقة بينهم وبين الإسلام ، فصاروا لقمة سائغة للتيارات الإلحادية والموجات الصليبية .

كان هذا هو الدافع الرئيسى لأن أقدم هذا الكتاب للقارئ - عارضاً في مقدمته جزءاً من تاريخ الصراع بين المسلمين والنصارى في الأندلس ، ليكون سهماً في ميدان الدفاع عن الإسلام فكرياً ، وصوتاً يذكر المسلمين - حكاماً ومحكومين - بما أصاب إخوانهم بالأمس البعيد في الأندلس ، ليأخذوا حذرهم ، ويعتصموا بحبل الله ، إخواناً متحايين ، غير متحاربين ، يساعد بعضهم بعضاً على النهوض بمجتمعهم في النواحي الثقافية ، والفنية والعسكرية ، ويمدوا يد العون لمن يتعرض منهم للخطر ، حتى لا يؤكلوا كما أكل المسلمون في الأندلس ، ولن يقيهم من عدوهم ساعتئذ ، إدراكهم لخطتهم وندمهم على ما فاتهم ، ولن يملكوا إلا أن يرددوا المثل القائل : " أكلت يوم أن أكل الثور الأبيض " ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

محمد عبد القنى شامة

(1) تحاول هذه الدول بعد إخماد الاتحاد السوفيتى - استرجاع هويتها الإسلامية ، وإن كان ذلك على استحياء .

obeikandi.com

بَيِّنَاتُ الْإِسْلَامِ وَالْمَسِيحِيَّةِ

كتاب أبي عبيدة الخزرجي

المتوفى ٥٨٢ هـ هجرت

obeikandi.com

[مقدمة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقى ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ، وسلم تسليماً ، لما نفذ القضاء من الله تعالى على قرطبة^(١) ، باندثار ملكها ، وتفرق أهلها عنها ، لتتابع ضنكها ، ألحق منهم "بظليطة" صيباً من آل عبد الحق الخزرجي ، يوصف بالذكاء^(٢) ، وكان بها قسيس من القسوط^(٣) يكثر الاعتراض فى الدين على نفر كانوا تابعين له^(٤) من المسلمين ، فجعلوا يرفعون أسئلتهم^(٥) إلى الصبى فيجيبهم^(٦) الصبى عليها ، فيرجعون بذلك إلى القسيس ، فأنكر إجابتهم^(٧) لعلمه أنهم ليسوا من أهل الذكاء ، فاستفهمهم ، فأعلموه بذلك ، فكتب القوطى^(٨) ، إليه كتاباً ، وسألهم أن يوصلوه إليه ، ويأتوا منه بجواب.

* * *

(١) هى مدينة فى أسبانيا ، أسسها الفينيقيون ، واستعمرها الرومان ، ثم صارت عاصمة الخلفاء الأمويين فى الأندلس فازدهرت على أيامهم ، إذ شيدوا فيها المبانى الفخمة ، منها قصر الزهراء ، وهى مسقط رأس ابن رشد .

(٢) فى ج : " بذكر " .

(٣) فى ج : " القرط " وهو خطأ ، إذ أن القرط بطون من بنى كلاب ، يقال لهم القروط ، وقد أطلق لفظ قرط على رجل من سنس ، كما أطلق على قبيلة من مهرة بن حيدان ، وهذا كله بعيد الصلة عن المقصود فى النص ، خاصة إذا عرفنا أن القوط (بالواو) قبائل أوروبية كما سبق الكلام عنها .

(٤) فى ج : " بالونه " .

(٥) فى ج : " سؤالاتهم " .

(٦) فى ج ، ت : " فيجاوهم " .

(٧) فى ج ، ت : " جواهم " .

(٨) فى ج : " القرطى " وهو واضح التحريف .

[رسالة القسيس إلى إبي عبيدة]

- هذا كتابه :

[قصة التثليث]

من فلان إلى فلان^(١) باسم الأب ، والابن ، والروح القدس ، إله واحد^(٢) سلام عليك أيها الفتى ، الإسماعيلي ، المحمدي ، ورحمة الله وبركاته .

^(١) من ت ، وى ع : " من حنا العيسوي إلى عز الدين المحمدي " ، ولم تذكر في ج .
^(٢) قضية نسبة البنوة إلى الله عز وجل ، ليست غريبة على العقل البشري ، ولا هي بالمستحذنة في تفكيره ، فقد كان فراعنة مصر يعتقدون أنهم آلهة وأبناء الله ، وكذلك كان الشأن عند فياصرة الرومان ، وأكاسرة الفرس ، وغيرهم من أصحاب الملك والسلطان . إنهم كانوا ينظرون إلى الناس من سماوات عالية ، كما كان ينظر إليهم الناس من هذه الأرض على أنهم آلهة ، نزلوا من السماء ، فقدسوهم وعبدوهم .
وكان أتباع الفيلسوف اليوناني " فيثاغورس " يعتقدون أنه الإله " أبولون " وأنه لم يموت ، وسيبعث بعد حين ، ويؤمن أتباعه بعد موته بأنه يلهمهم الكشوف العملية ، ويلقنهم عظات الحكم والأخلاق الحسنة .
وعلى هذا فإذا قال دعاة المسيحية ، بأن المسيح ابن الله ، فإنهم لم يقولوا بدعاً من القول ، لم يعرفه العقل البشري ، وإن كان بدعاً وتحريفاً في الشرائع السماوية كلها .
فإذا كانت نسبة البنوة إلى الله ، لها سابقة في الفكر الإنساني ، فمن أين استقى المسيحيون عقيدة التثليث ؟
لم ترد كلمات :

الأب ، الإبن ، الروح القدس في الإنجيل ، إلا في عبارات ، وتراكيب مختلفة ، ولا نجد عبارة واحدة تجمع بينها في سياق واحد ، وذلك باستثناء ما نسب إلى المسيح في إنجيل متى ، حيث قال لتلاميذه :

" فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " . (متى ٢٨ : ١٩)

ولو استعرضنا جميع أعمال الرسل ، ورسائلهم التي ألحقت بالإنجيل ، وصارت جزءاً متمماً لها ، لوجدنا أنفسنا لم نتحدث عن شيء مما أصبح عقيدة مقررة عند المسيحيين ، بعد مؤتمر " نيقية " ، الذي قرر أن المسيح هو أبنوم الإبن في الله ذي الثلاثة أقانيم .

غير أننا رأينا أن رسائل "بولس" الرسول ، تحتوي على عبارات لاهوتية غامضة ، يمكن أن تحمل على محامل شتى ، من بينها أن يكون المسيح ابن الله ، بمعنى لاهوتى : هو الولادة العقلية 111
يقول "ول ديورانت" في موسوعته قصة الحضارة :

وأضاف "بولس" إلى اللاهوت الشعبي لموسى ، بعض آراء صوفية غامضة ، كانت قد ذاعت بين الناس ، بعد انتشار "سفر الحكمة" ، و "فلسفة فيلمون" .. من ذلك قول "بولس" : إن المسيح هو حكمة الله ، وابن الله الأول .. وبكر كل خليفة .. فإن فيه الكل .. الكل به ، وله قد خلق .. الذى هو قبل كل شئ ، وفيه يقول الكل .. وليس هو المسيح المنتظر "المسيح" اليهودى الذى سينجى إسرائيل من الأسر .. بل هو الكلمة ، التى ستنجى الناس كلهم بموته " (قصة الحضارة - 11 ، ص 266)

لقد عزل "بولس" المسيح من اليهود ، وجعله مسيحياً ، غير "المسيح" الذى ينتظرونه لخلاصهم ! وذلك ليستطيع أن يجعل منه الإله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ! وبهذا يضمن لدعوته مجالاً ، يتحرك بما فيه فى الإمبراطورية الرومانية ، بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم ، وبهذا أيضاً ، يفسح المجال لأمل اليهود فى مسيحٍ منتظر بعد يسوع الذى "صلبوه".

يعتمد المؤمنون فى "نيقية" ، على أقوال "بولس" الغامضة ، فى اتخاذ قرارهم فى طبيعة المسيح ، وتتلخص قصة هذا المؤتمر فيما يلى :

فى سنة 325م اجتمع المؤتمر المسكونى فى "نيقية" ، بأمر الملك قسطنطين الكبير ، وقد حضر هذا المؤتمر 2048 أسقفاً ، من شتى أنحاء العالم ، ومن مختلف الطوائف المسيحية ، وكانت المسألة الأولى ، والوحيدة ، التى ناقشها المؤتمر ، هى طبيعة المسيح ، وذلك بعد أن قرر القس "أريوس" الإسكندرى رأيه فى المسيح بأنه مخلوق !
ويروى سعيد بن البطريق - بطريق الإسكندرية - فى تاريخه المعروف المسمى "نظم الجواهر" مقالة "أريوس" وما كان لها من آثار فى إثبات الخلاف والفرقة بين المسيحيين ، وما انتهى إليه الرأى فيه ، وفى مقالته . يقول ابن البطريق : كان بالإسكندرية رجل يقال له "أريوس" يقول : إن الأب وحده هو الله الفرد ، والإبن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذا لم يكن الإبن .

فقال البطريق - أى بطريك الإسكندرية - لتلميذه : إن المسيح لعن "أريوس" فاحذروا أن تقبلوا قوله ، فإن رأيت المسيح فى النوم مشقوق الثوب فقلت له : يا سيدى : من شق ثوبك ؟ فقال لى : "أريوس" فاحذروا أن تقبلوه ، وأن يدخل معكم الكنيسة ، كنيسة الله .

فيث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان ، فجمع البطارقة والأساقفة ، فاجتمع في مدينة " نيقية " - بعد سنة وشهرين - ألعان ولمانية وأربعون أسقفًا ، كانوا مختلفي الآراء . فنتهم من يقول : المسيح ومرم إلمان من دون الله ، وهم المريمانية .

ومنهم من يقول : إن المسيح من الآب ، بمنزلة شعلة نار ، تخلقت من شعلة نار ، فلم تنتقص الأولى ، لإيقاد الثانية منها ، وهي مقالة " سباريون " وأتباعه .

ومنهم من كان يقول : لم تحمل مريم لتسعة أشهر ، وإنما مر نور في بطنها كما يمر الماء في الميزاب ، لأن كلمة الله دخلت من أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهي مقالة " إلبان " وأشياعه .

ومنهم من كان يقول : إن المسيح إنسان ، خلق من اللاهوت كواحد منا ، وإن ابتداء الابن من مريم ، وإنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي ، صحبته النعمة الإلهية ، فحلت فيه المحبة والمشيئة ، فلذلك سمى ابن الله ، ويقولون : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد ، يسمونه بثلاث أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بروح القدس ، وهي مقالة " بولس الشمشاطي " بطريق أنطاكية ، وأتباعه .

ومنهم من قال بثلاثة آله : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما ، وهي مقالة " مرقيون " وأشياعه .

ومنهم من يقول : ربنا هو المسيح ، تلك هي مقالة " بولس " الرسول ، ومقالة الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا .

فلما سمع قسطنطين مقالتهم ، عجب من ذلك ، وأحلى لهم داراً وتقدم لهم بالإكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم ، لينظر من معه الحق فيتبعه ، فاتفق منهم ثلاثمائة ولمانية عشر أسقفًا على دين واحد ورأى واحد ، فانظروا بقية الأساقفة ، فأفلقوا عليهم حججهم ، وأظهروا " الدين المستقيم " .

أما أهم ما قرره الجمع - بجمع الثلاثمائة والثمانية عشر - فهو هذا القرار ، الذي جعل المسيح رباً ، هو ابن الله ، ومساوياً له في جوهره .

وأما صيغة القرار فهي :

" نؤمن برب واحد ، وأب واحد ، ضابط الكل ، خالق السموات والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى نؤمن برب واحد ، ويسوع المسيح ابن الله الوحيد ، المولود من الأب قبل كل الدهور من نور .. إله حق ، من إله حق .. مولود غير مخلوق ، مساوٍ للأب في الجوهر .. الذي به كان كل شيء ، هذا هو الذي من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاص نفوسنا ، نزل به من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، وتأنس (أى صار إنساناً) ، وصُلب على عهد " بيلاطس " ، وتآلم ، وقبر ، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث ، كما كتب في الكتب ، وصعد إلى السماء ، وجلس على يمين الأب ، وأيضاً يأتي في مجده ، ليدين الأحياء والأموات ، الذي ليس للملكة انقضاء " .

[صلب المسيح]

أما بعد حمد الله الذى هدانا لدينه ، وأيدنا بيمينه ، وخصنا بابنه ، ومحجوبه ، ومد علينا رحمته بصلبه^(١) يسوع^(٢) المسيح إلهنا ، الذى خلق السموات والأرض ، وما بينهما ، والذى فدانا

فالإيمان الذى يبشر به هذا القرار ، هو إيمان بالأب ، والإبن فقط ، أما الروح القدس ، فلم يتبوا مكانه المعروف الآن ، لدى الكنيسة المسيحية ، وظل هذا الوضع - وهو إغفال الروح القدس - حتى عام ٣٨١هـ ، حيث أمر الملك " تيودورسيوس " الكبير ، بعقد مجمع مقدس ، فى مدينة القسطنطينية ، للنظر فى مقولة " مكونوريوس " بطريرك القسطنطينية التى كان ينادى بها ، فى محيط كنيسته ، ويذيعها فى أتباعه ، وهى أن الروح القدس ، مخلوق كسائر المخلوقات . وقد اجتمع فى هذا المؤتمر ، مائة وحمسون أسقفاً ، يمثلون جميع الهيئات المسيحية ، كان من بينهم " تيموثاوس " ، بطريرك الإسكندرية الذى أسندت إليه رئاسته .

وانتهى المؤتمر بإدانة " مكونوريوس " ، ومن كان على رأيه من الأساقفة ، ثم خرج المجمع بالمصادقة على قرار مجمع " نيقية " ، ثم إضافة نص جديد فى شأن " الروح القدس " . وكان نصه ما يأتى :

" نعم ، نؤمن بالروح القدس ، الرب ، المحيى ، المنبثق من الأب ، تسجد له ونمجده مع الأب والإبن ، الناطق فى الأنبياء ، وبكنيسة واحدة ، مقدسة جامعة ، رسولية ، وتعترف بمعمودية واحدة ، لمغفرة الخطايا ، ومنتظر قيامة الأموات ، وحياة الدهر الآتى آمين .

(راجع هذا الموضوع عند الشهر ستان : جـ ١ ص ٢٢٠ وما بعدها ، وابن تيمية جـ ٣ ص ٢٠ وما بعدها ، وابن حزم : الفصل فى الملل والنحل جـ ١ ص ٣٨ - ٤٠ ، والعقاد : الله ص ١٤٦ - ١٤٧ ، ١٧٢ ، والمخطيب : المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص ١٣٧ - ٣٠٥ ، Nolle ص ٤٧ ، وقرأ تفسير الاتجاه العقلى فى العقيدة المسيحية لنبوة الله عند الاستاذ الدكتور محمد البهى : الجانب الأسمى جـ ١ ص ١٠١ - ١٠٨ ، ثم راجع بطلان التليث عند رحمة الله الهندي جـ ١ ص ٣٦١ - ٣٩٥ ، وجـ ٢ ص ٣ - ٢٧) .

(١) اقرأ رأى المسيحيين فى حادثة الصلب فى متى ٢٧ ، مرقس : ١٥ ، لوقا : ٢٣ ، ويوحنا : ١٩ ثم قارن معارضة القرآن لهذا الرأى فى قوله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

ثم ارجع إلى مناقشة ابن حزم لعقيدة المسيحيين فى صلب عيسى عليه السلام : الفصل فى الملل والنحل جـ ١ ص ٤٦ - ٥١ .
(٢) فى ج : " روح المسيح " .

بدمه المقدس ، ومن عذاب جهنم^(١) وقانا ، ورفع عن أعناقنا الخطيئة^(٢) ، التي كانت في أعناق بني آدم ، بسبب أكله من الشجرة^(٣) ، والتي نهي عنها ، فخلصنا المسيح بدمه وفداناً^(٤) بدمه ومن عذاب جهنم وقانا.

(١) في ت : " الجحيم".

(٢) جاء في الإنجيل : " ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً - لأن ابن الإنسان أيضاً لم يات ليخدم بل ليخدم^(١) وليبدل نفسه فدية عن كثيرين ".
(مرقس ١٠ : ٤٤ - ٤٥)

" لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية "
(يوحنا ٣ : ١٦)

وقال بولس : " بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل ، وعلى كل الذين يؤمنون ، لأنه لا فرق ، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء ، الذي بيسوع المسيح ، الذي قدمه الله كفارة بدمه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة "
(رسالة بولس إلى أهل رومية ٣ : ٢٢-٢٥)

" فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً ، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتاب."

(رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١٥ : ٢)

(٣) لو قارنا بين نص التوراة ، في سفر التكوين ، الإصحاح الثالث ، وبين ما أشار إليه القرآن الكريم (البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، طه : ١٢٠) في تحديد مرتكب الخطيئة الأولى ، لوجدنا أن التوراة تحمل حواء مسئولية هذه الخطيئة ، فقد جاء في سفر التكوين أن حواء : " أكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل .. فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت "

(التكوين ٣ : ٦ - ١٢)

أما القرآن الكريم ، فينسب الخطيئة إليهما معاً ، فهما متضامنان في تحمل المسئولية ، إقرأ قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾

(البقرة : ٣٦)

بل نصت آية طه ، على أن الشيطان وسوس إلى آدم فقط ، فيقول تبارك وتعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لُهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ﴾ (طه ١٢٠ : ١٢١).

ولاشك أن تبرئة القرآن المرأة ، على هذا النحو ، يرفع عنها لعنة ، لحقتها عبر القرون ، ويرفع عنها سبة الضعف المطلق ، والإغيار السريع أمام الغواية ، ولا يخفى أثر هذا الاتجاد على وضعها في المجتمع .

(٤) في ج : " وبرأنا "

أهرق^(١) دمه في مرضات جميع ولد آدم ، إذ كان الذنب باقياً في أعناق جميعهم^(٢) .
فكلهم تخلص منه ، إلا من كفر به وشك فيه. [.....]^(٣) .

[دعوته إلى الإيمان بالوهية المسيح]

فإذا أردت أن يتغمذك الله برحمته ، وتفوز بجنته ، فأمن بالله وقل إن المسيح ابن الله

(١) في ج : " هرق " .

(٢) يرفض القرآن الكريم أن تتسحب خطيئة آدم وحواء على كل الناس ، كما يعتقد علماء اللاهوت المسيحيون ، فالسولية الدينية في نظر القرآن الكريم شخصية محضة ، أنزل الله ذلك في آيات عدة ، نذكر منها على سبيل المثال :

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة : ٢٨٦)

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِنَّمَا يَكْسِبْهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ (النساء : ١١١)

﴿ مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾

(الاسراء : ١٥)

﴿ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ (لقمان : ٢٣)

﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ (غافر : ١٧)

﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمِلُوا وَثِيقَاتِهِمْ أَغْمَأَتْهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأحقاف : ٢٣)

﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم : ٣٩)

بل إن القرآن ليصور لنا أحد البرئ بالذنب ، لا على أنه مضاد للشرعية فحسب ، بل هو كذلك غير متوافق مع

الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ لَأُخَذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِذَا لَطَّالِمُونَ ﴾ (يوسف : ٧٩)

(٣) زيد في ع : " أما بعد ، فقد أعجبت عقلك ، وتحققت من شدة فطنتك وذكائك ، ولذلك صاحبك ، وجالستك ، وتباحثت معك في أمر ديني ، ورجبت أن أهديك إليه سبيلاً ، لولا تعصبك في دينك السقيم ، ومغالطتك في البحث ، وإن لتأكد أنه لو تكرر اجتماعنا كنت أفتنك بصحة ديننا ، فتهتدي إليه ، ولكن أبي الدهر أن يمنعني عن وفاء ما وعدتك به لأسباب انحراف صحي ، ولذلك كتبت إليك هذا الكتاب ، لأخبرك أن أسرار ديننا وحكمه ، هي أمور لا تدرکہا العقول إلا بعد اعتناقه ، والدخول فيه .. "

والروح القدس^(١) ، ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد^(٢) فستنجح وترشد .
 ألم تسمع ما في الكتاب ، الذى جاء به صاحب شريعتك : أنه روح الله وكلمته^(٣) ،
 وأنه كان وجيهاً في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين^(٤) ، وأين [من]^(٥) هو أوجه في الدنيا
 والآخرة من المسيح ابن الله ؟

(١) في ت : " القدس الذى هو الله ، وابن ، وروح " .

(٢) يقول عوض سمعان : " الأقنوم " أو " القنوم " كلمة سريانية ، يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه ،
 على شرط أن يكون من شخص ، وله ظل .. ولذلك فإنه يراد بالأقنوم التعيين .. وقد وردت في اللغة اللاتينية كلمة تشبه
 هذه الكلمة في النطق تماماً " أفوانيمتس " ومعناها الصدارة .. وقد تعنى أيضاً الانسجام في الفكر ، والصفات الطيبة ..
 أما القول بأن كلمة " أقنوم " معناها " الأصل " كما وردت في بعض كتب الفلاسفة ، فليس بصحيح ، إذ فضلاً
 عما تقدم من دليل لغوى ، فإننا لا نؤمن بأن الأقانيم هى أصول العالم ، لأنها تعين الله ، أو تجعل الله معيناً ، والله دون
 سواه ، هو أصل العالم ومبدعه .

(سمعان : ص ١٠٢)

وليس هناك تعارض بين التفسير اللغوى ، الذى ذكره عوض سمعان وبين مفهومها لدى الكنيسة المسيحية ، فالأصل
 يميز عن الفرع ، وما يتميز عن غيره معين ، فالأقانيم أصل العالم ، فهى مميزة ، ويرد ما يرمى إليه بهذا التفسير اللغوى
 - وهو نفى أن كلمة أقنوم معناها أصل - محاكاة العقيدة المسيحية ، لما ورد في الفلسفة ، فإن تحديدها بثلاثة يرجع إلى
 تأثير الفلسفة الأخرقية في علم الكلام المسيحى ، يقول الأستاذ الدكتور محمد البهى : " تسمية هذه الأمور بالأقانيم ، أو
 الأصول يرجع إلى أثر الفلسفة الإخرقية في تفلسف المسيحية ، وتحديدها بثلاثة ، يرجع إلى المصدر نفسه أيضاً ، لأن ما
 نراه في المسيحية على هذا الوجه يذكرنا بـ (مثل) أفلاطون ، فقد جعلها أصول هذا " الوجود " المشاهد ، واعتبره ظللاً
 لها وشبيهاً بما فقط ، كما يذكرنا " بثالوث " أفلوطين المصرى " الذى يمثل في الواحد ، والعقل ، ونفس العالم ، ولو
 فتشنا على الألفاظ الدالة على هذه المعان الثلاثة في المصدر النصى للمسيحية ، وجدناها : الله ، كلمة الله ، الروح القدس
 (البهى : الجانب الالهى .. ج ١ : ص ١١٣)

(٣) يشير إلى قوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ
 رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾

(النساء : ١٧١)

(٤) يشير إلى قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾

(آل عمران : ٤٥)

(٥) في ع : " نعم ا وأين الأوجه في الدنيا والآخرة ... " .

[معجزات عيسى فى القرآن الكريم]

وفى الكتاب ، الذى جاء به صاحب شريعتك ، أنه أحيا الموتى^(١) وكفى بذلك دليلاً على أنه هو الله .

[معجزات الحوارين]

ثم أنه أيد بإحياء الموتى بعض الحوارين^(٢) ، فأحيوا الموتى ، كمثل ما فعل المسيح .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٩)

(٢) ورد فى الإنجيل فقرات متعددة ، تشير إلى أن عيسى عليه السلام ، أمر حواريه أن يقوموا بأفعال سخافة ، كتلك التى أظهرها الله على يديه تأييداً له وإظهاراً لمن أنكر بعثته ، ووجد أنه مؤيد من الله : " وقال لهم : إذهبوا إلى العالم أجمع ، وأكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها . من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يبدن . وهذه الآيات تتبع المؤمنين . يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بالسنة جديدة . يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون" .

" ها أنا أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شئ " . (لوقا : ١٠ : ١٩)

ويبدو من هذه النصوص ، أن عيسى عليه السلام ، لم بشر إلى أنهم يستطيعون إحياء الموتى ، بل إن إيمانهم بعظيم قوة سخافة ، للسيطرة على الشياطين ، وفى سحق العقارب وهزيمة الأعداء ، وقد يكون ذلك مجازاً لما يستطيع المؤمن القيام به نتيجة زيادة الدفع الإيمان ، الذى يكمن بين جنباته .

[رسالة المسيح بين المحلية والعالمية]

وأرسلهم المسيح إلى جميع الأجناس^(١).

غير أن هناك نصاً في الإنجيل يشير إلى أن عيسى أرسل حواريه الإثني عشر ، وأمرهم - فيما أمرهم به - بإحياء الموتى : " هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بين إسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السموات إشفوا مرضى. طهروا برصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين " . (متى ١٠ : ٥-٨)

فقوله : " أقيموا موتى " يحتمل أن يكون تعبيراً مجازياً على حد قوله تعالى :

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْتَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

(الأنعام : ١٢٢)

مِنهَا ﴾

إذن ، ليس هناك في الأناجيل الأربعة ، نص يدل صراحة ، على أن الحواريين أحيوا الموتى ، لكن جاء في أعمال الرسل :

" فقام بطرس وجاء معهما . فلما وصل صعدوا به إلى العلية فوَقفت لديه جميع الأرامل يبكين ويرين أقمصه وثياباً مما كانت تعمل غزالة وهي معهن ، فأخرج بطرس الجميع خارجاً ، وجثا على ركبتيه ، وصلى ، ثم النفست إلى الجسد وقال : يا طيِّباً ! قومي ، ففتحت عينيها ، ولما أبصرت بطرس جلست فتناولها يده وأقامها ، ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حية "

(أعمال الرسل ٩ : ٣٩ - ٤١)

ولا ينبغي على القارئ أن أعمال الرسل ، تأتي في مرتبة تلي مرتبة الأناجيل ، فهي ليست وحياً - يتفق في ذلك علماء المسيحية - ، بل تعبيراً عن رأى كاتبها ، ولم يتفق علماء العقائد المسيحية على حجيتها في التشريع .

(راجع هذا الموضوع عند ابن حزم : الفضل جـ ص ٢٢)

^(١) جاء في إنجيل متى : " .. فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : دُفِعْ إِلَى كُلِّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ .

فأذهبوا وتعلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس " . (متى ٢٨ : ١٨-١٩)

وفي إنجيل مرقس : " ... وقال لهم : إذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها " . (مرقس ١٦ : ١٥)

وفي إنجيل لوقا : " ... وقال لهم هكذا هو مكتوب ، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتالم ويقوم من الأموات في

اليوم الثالث . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم " . (لوقا ٢٤ : ٤٦-٤٧)

ما مدى حجية هذه النصوص :

إن خير إجابة على هذا السؤال ، أن نستعرض بإيجاز ، تاريخ تدوين هذه الأناجيل التي اشتملت على هذه النصوص:

مقن : أحد تلاميذ المسيح ، الإثني عشر ، الذين لازموه ، وعاشوا معه ، وتقول المصادر المسيحية : إنه كتب إنجيله باللغة العبرية ، لليهود ، وقد ضاعت النسخة الأصلية ، ولم يبق إلا ترجمتها اليونانية .

واختلفوا في تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو سنة ٤١ ، أو سنة ٤٣ ، أو سنة ٤٨ ، أو سنة ٦١ أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد .

غير أن النقاد ينكرون نسبة الإنجيل إلى مقن - كما يروى " ول ديورانت " - ، ويرون أنه من تأليف أحد أتباعه ، وقد نسب إلى الحوارى ، ليقع من الناس موقع الاطمئنان والقبول .

ومما يزيد الشك في صحة هذا الإنجيل ، أن المصادر المسيحية ، لم تذكر اسم المترجم ، فبين أيدينا كتاب ، لا يعرف على وجه التأكيد اسم مؤلفه ، ثم ضاعت النسخة الأصلية ، ووجدت ترجمتها ، ولا نعرف شيئاً عن الشخص الذى ترجمها ، حتى اسمه مجهول لنا ، فكيف يعتمد عليه ؟ وهل يعقل أن تصدق بأن كتابه مقدس ؟

مرقس : ليس من الحوارين ، ولم يجتمع بالسيد المسيح ، وإن عد من السبعين ويقال : إنه بشر بإنجيله في الإسكندرية ، باللغة اليونانية ، ويختلفون في تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٦ أو ما بعدها إلى ٦٥ ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ ، أو سنة ٦٢ من الميلاد ، كما اختلفوا أيضاً في نسبة هذا الإنجيل إليه ، فقيل : إن بطرس كتبه رواية عن " مرقس " مع أن بطرس هو رئيس الحوارين ، فكيف ينقل عن شخص ، لم ير المسيح ؟ وبعضهم يشك في نسبة الباب الأخير إليه . كذلك اختلفوا في مولد ، وصناعة مرقس ، فقيل : إنه أنطاكى ولد بأنطاكية ، وقيل : إنه رومان ولد بإيطاليا . كما قيل : إنه كان طبيباً . وقيل : إنه كان مصوراً .

لكنهم اتفقوا على أنه من تلاميذ " بولس " ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ، ولا من تلاميذ حواريه و " لبولس " : هذا شأن خطور في صياغة المسيحية ، كما ستعرض له ، بعد أن ننتهى من بيان حال الأناجيل الأربعة .
لوقا : ليس من الحوارين الإثني عشر ، وإنما من السبعين ، وقد بشر بإنجيله باليونانية . ويعلم لوقا في مقدمة إنجيله أنه يهدف بتأليفه إلى هداية الكفار ، لا اليهود .

اختلف في تاريخ تدوينه ، فقيل : سنة ٥٣ ، أو سنة ٦٣ ، أو سنة ٦٤ من الميلاد ، ويشك العلماء في نسبة بعض الأبواب إليه ، فيقول " وارد كاتلك " : صرح " جروم " في مکتوبه ، أن بعض القدماء كانوا يشكون في بعض الآيات

من الباب الثاني والعشرين ، من إنجيل لوقا ، وبعض القدماء كانوا يشكون في البابين الأولين ، من هذا الإنجيل. وما كان هذان البابان في نسخة فرقة "مارسيون".

واختلفوا في شخصية لوقا ، وفي القوم الذي كتب لهم هذا الإنجيل ، لكنهم اتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ، وأنه كان صديقاً "لبولس".

يوحنا : يعتقد جمهور المسيحيين ، أن إنجيل يوحنا ، من تأليف الحوارى يوحنا بن زبدي الصياد ، ويختلفون في تاريخ تدوينه ، فيقولون : سنة ٦٨ ، أو سنة ٦٩ ، أو سنة ٧٠ ، أو سنة ٩٧ ، أو سنة ٩٨ من الميلاد.

ويذكر المحققون ، نسبة هذا الإنجيل "ليوحنا" الحوارى ، ويرون أن كاتبه ، رجل آخر ، يتفق مع الحوارى في الاسم فقط. ويدعم هذا الرأي ، أن علماء المسيحية في القرن الثاني الميلادى ، أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى ، وسمع ذلك الإنكار "أريئتوس" تلميذ "بوليكارب" الذى هو تلميذ يوحنا الحوارى ، فلم يرد عليهم ، بأنه سمع صحة نسب الإنجيل إلى الحوارى من "بوليكارب".

ومن المستبعد ، أن "أريئتوس" لم يسمع ذلك من "بوليكارب" وهو الذى روى عنه أشياء ، أقل أهمية من ذلك بكثير .

وليس صحيحاً أنه نسى ذلك ، لأنه كان مشهوراً بقوة الحافظة ، فقد روى عنه أن كان يقول : "سمعت هذه الأقوال بفضل الله ، ، بالإيمان التام ، وكتبتها في صدرى ، لا على الورقة .

كتب "إستادلين" في كتابه : أن كاتب إنجيل يوحنا ، طالب من طلبة الإسكندرية ، بلا ريب .

وقال المحقق "برطشنيدر" : إن هذا الإنجيل كله ، وكذا رسائل "يوحنا" ليست من تصنيفه ، بل صنفها واحد في ابتداء القرن الثاني الميلادى .

أضف إلى ذلك كله ، أن العلماء في "القرون الأولى من الميلاد ، صرحوا بأن الأناجيل حرفت أكثر من مرة ، فقد كان "سلسوس" - وهو من علماء المشركين الوثنيين - يصيح في القرن الثاني : بأن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات . وأن "فاسنس" - وهو من علماء فرقة مان - كان يصيح في القرن الرابع : بأن هذا العهد الجديد ، ما صنفه المسيح ، ولا الحواريون ، بل صنفه رجل مجهول الاسم ، ونسب إلى الحواريين ورفقاء الحواريين ليتعيره الناس .

ونستخلص من ذلك :

١- نسبة الأناجيل إلى كتابها - " متى " و " مرقس " و " لوقا " و " يوحنا " - مشكوك فيها .

٢- يكاد يجمع العلماء ، على أن " يوحنا " الحوارى ، لم يكتب هذا الإنجيل المنسوب إليه ، فقد جاء فى دائرة

المعارف البريطانية :

" أما إنجيل يوحنا ، فإنه لا مرية ، ولا شك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحوارين بعضهما لبعض ، وهما القديسان : " يوحنا " ، " ومتى " ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى الكتاب ، أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة ، على علامتها ، وجزمت بأن الكاتب ، هو " يوحنا " الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً ، مع أن صاحبه غير " يوحنا " يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة ، التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنما لتأرف ونشقق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ، ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفلسفى - الذى ألف هذا الكتاب فى القرن الثانى - بالحوارى " يوحنا " الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى ، لخطبهم على غير هدى .. "

٣- لم يكن " لوقا " - ولا " مرقس " - من الحوارين الإثنى عشر ، وأغلب الظن أنه لم يكن يهودياً ، بل كان صديقاً " لبولس " - كما كان " مرقس " أيضاً - ، وهذا يعطى ضوءاً على ورود النص السابق فى إنجيله ، إذا عرفنا أن الأناجيل قد حرفت ، وبدلت أكثر من مرة ، وأن " بولس " كان المصدر الرئيسى للتشريع المسيحى .

وعليه فيكون من الراجح ، أن مصدر هذا النص ، هو " بولس " ، الذى يقول علماء الأديان عنه : إنه نقل المسيحية من ديانة عملية خاصة باليهود إلى ديانة عالمية " لجميع الأمم " أنظر :

Nölle, unter Paulus and Anwander, unter Apostél

والذى دفعه إلى ذلك ، أنه كان بحكم نشأته وثقافته ومولده ، مهياً لأن يلعب هذا الدور ، فقد كان والده مواطناً رومانياً ، ورث عنه ابنه " بولس " ، هذا الحق الثمين ، فكان يعيش بين اليهود ، وفى اليهود بهذا الامتياز ، الذى انتفع به فى كثير من مواقفه .

ولا شك أن هذه " الزعوية الرومانية " ، التى كانت ميراً فى بيته قد أثرت تأثيراً مباشراً ، وغير مباشر ، فى حياة الأسرة المادية ، والعقلية ، ووثقت الصلة بينها وبين العقلية الرومانية .

لقد عزل بولس المسيح عن اليهود ، وجعله مسيحاً غير " المسيا " الذى ينتظرونه لخلاصهم . وذلك ليستطيع أن يجعل منه الإله ، الذى تجسد ، ثم صلب من أجل خلاص العالم ، لا من أجل خلاص اليهود وحدهم ، وهذا يضمن

وأمرهم بإفشاء أمره. بعد أن كان يشرح^(١) لهم شرائعه بنفسه ، ورآه الناس بأعينهم. وهو يتواضع. فوجب عليهم^(٢) أن يفعلوا كما رأوا خالقهم يفعل .

[كيفية الحلول وتعليه]

لأنه عز وجل ، لما كلم العالم على السنة أنبيائه ، الذين جعلهم رسله ووسائطه^(٣) إلى خلقه ، ليعلموهم^(٤) الأقرار بربوبيته ، ولينهوهم عن عبادة الأوثان والأصنام^(٥) ، الفاشية ضاللتها في جميع الأرض ، ولم يمتثلوا لهم ، نزل هو سبحانه ، بعد ذلك من السماء ، ليكلم

لدعوته ، بجلاً يتحرك بما فيه ، في الإمبراطورية الرومانية بين الرومان ، والشعوب الخاضعة لدولتهم . (رحمة الله الهندي ج ١ ص ٧٦-٨٠ ، ول ديورانت : ج ١٢ ص ٢٢٦ ، الخطيب : للمسيح .. ص ٨٥ وما بعدها)

(١) في ج : " يدل " وفي ت : " بذل " وفي ع : " بعد أن كان هو يدل " .

(٢) في ج : " فيجب لهم " وفي ع : " فيجب عليهم " .

(٣) في ج : " ووسائطه " .

(٤) في ج : " ليعلمهم " .

(٥) في ج ، ت ، ع : " وشرعوا لهم ترك أوثانهم وأصنامهم " .

اضطرب القاموس في تحديد معنى الوثن والصنم ، ففي باب الوثن نجد : الفرق بين الوثن والصنم ، أن الوثن : كل ما له جثة معمولة ، من جواهر الأرض ، أو من الخشب والحجارة كصورة آدمي ، وتنصب فتعبد .

وتحت باب الصنم نقراً :

الصنم : هو ما اتخذ إلماً من دون الله ، وقيل هو ما كان له جسم أو صورة ، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن .

ويحتمل أن يكون سبب هذا الاضطراب ، أن الكلمتين تطلقان على المعنيين ، كما ذهب بعض العلماء ، إذ لم يفرقوا بينهما وأطلقوها على كلا المعنيين .

الناس بذاته ، لثلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حججهم حيثئذ ، من أجل أن كلمهم بذاته ، لا بواسطة بينهم وبينه ، فارتفعت المعاذير عن ضيع عهده ، بعد ما كلمه بذاته ، إتماماً لرحمته على الناس .

فهبط بذاته من السماء ، والتحم في بطن مريم العذراء^(١) البتول^(٢) أم النور ، فاتخذ^(٣) [لنفسه] منها حجاباً كما سبق في حكمته الأزلية ، لأنه البدء كانت كلمة ، والكلمة هو الله ، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس^(٤) هو خلق جسمه ، وهو خلق أمه ، وأمّه

(١) جاء في إنجيل متى : " هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً ، ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره : الله معنا" .

(متى : ١ : ٢٣)

وفي لوقا : " وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل ، اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم " .
فما معنى كلمة العذراء ؟

(لوقا : ٢٦ - ٢٧)

فسر علماء اليهود كلمة العذراء ، التى وردت في كتاب أشعيا : " ها العذراء تحبل وتلد ابناً ، وتدعو اسمه عمانوئيل " .

(أشعيا : ٧ : ١٤)

بأنها المرأة الشابة ، سواء فضت بكارها أم لا .

وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة في التراجم اليونانية الثلاثة ، وعليه فيكون متى مخطئاً ، في نقل نص أشعيا ، لأن المسيح^(٥) ، لم يدع عمانوئيل إطلائاً ، والاستدلال به على أن العهد القديم ، قد بشر بالمسيح ، استدلال باطل .

أما علماء الإسلام فيذهبون إلى أن المراد بعذرية مريم ، طهارتها وعفتها ، كما قال القرآن الكريم على لسانها :
﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ .

(مريم : ٢٠)

(٢) البتول من النساء : المنقطعة عن الرجال ، لا أرب لها فيهم ، وبما سميت مريم ام المسيح . والتبتل : ترك النكاح ، والزهد فيه ، والانقطاع عنه .

(٣) في ج ، ع : " فأخذ " .

(٤) جاء في إنجيل متى : " فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا حتى أمضى أصلى هناك . ثم أخذ معه بطرس وابنى زبدي وابتداً يجزّن ويكتشب ، فقال لهم : نفسى حزبة جداً حتى الموت " .

(متى : ٢٦ : ٢٦ - ٢٨)

وفي إنجيل " يوحنا " : " الآن نفسى قد اضطربت " .

(يوحنا : ١٢ : ٢٧)

كانت من قبله في الناسوت ، وهو كان من قبلها في اللاهوت ، وهو الإله التام ، وهو الإنسان التام^(١).

فهذا يبطل ما جاء في النص " وخالق من طريق النفس " ، إذ نسبة الحزن والاكتئاب إلى النفس ، يدل على أنها مخلوقة ، لا خالقة ، ونسبة الفعل إليها ، وهو (الحزن) يدل على أنه كان له جسد بشري ، ولا يأتي هذا إلا إذا كانت له نفس مخلوقة ، لها خصائص بشرية ، فصورة الإنسان ، وكذلك أعضاء جسمه ، تكنسب خصائصها من النفس ، إذن من الخطأ القول : بأن هناك قرناً بين جسد المسيح ، ونفسه ، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر .

ذهب إلى ذلك بعض الفلاسفة ، فقد رأى أرسطو أن الإنسان لديه جوهر واحد كالتمثال تماماً ، فإلجسد مادته ، والنفس صورته ، وفيه تنحد المادة والصورة إتحاداً جوهرياً ، كما أنه لا يمكن فصل صورة التمثال عن الحجر أو الرخام ، إلا بتحطيم التمثال نفسه . كذلك لا يمكن فصل النفس عن البدن ، إلا بالقضاء على هذا الأخير . ومعنى ذلك أن أرسطو يجزم بأن المادة والصورة يكونان جوهراً واحداً فلا تنفك إحداهما عن الأخرى بحال ما ، ويرتب على هذا أنه ليس من الممكن القول باستقلال النفس عن الجسم ، أو بأن لهذا الأخير وجوداً مستقلاً دونها ، ولذا فالبدن جزء من ماهية النفس ، وكيف يجوز لنا أن نعدّها جوهراً مستقلاً ، وهي لا تؤدي وظائفها المختلفة ، إلا إذا استعانت بالجسم على نحو ما ؟ فهي تستخدم الحواس في الإبصار ، والسمع ، واللمس ، والذوق ، والشم ، وهل لها أن تتخيل ، أو تشتهي أو تغضب ، دون أن تكون على صلة وثيقة بالبدن ؟

(قاسم ص ٦٧ - ٦٨)

(١) بدا " يرحناً " إنجيله هذا المقطع : " في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله .. كل شيء به كان وبغيره لم يكن بشيء مما كان . فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس .. والكلمة صار جسداً وحل بيننا " .

(يوحنا ١ : ١ - ١٤)

فهم دعاء المسيحية من هذا النص أن الكلمة هي الله ، وأن الله هو الكلمة ، وأن الكلمة قد خلق كل شيء ، وأنه صار جسداً ، وحل بيننا في شخص المسيح .

ويرد القرآن دعواهم هذه فيقول :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنَزِّلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(المائدة : ١٧)

[الصلب كما يراه المسيحيون]

ومن تمام رحمته على الناس ، أنه رضى بإرافة^(١) دمه - ، [ليرفع] عنهم [وزور خطيئة آدم] -^(٢) في خشبة الصليب ، فمكن اليهود - أعداءه - من نفسه ، ليم سخطه عليهم ، فأخذوه ، وصلبوه ، وغار^(٣) ، دمه في إصبه ، لأنه لو وقع منه شئ في الأرض ليست ، إلا شئ يسير وقع فيها ، فنبت في موضعه النوار^(٤) ، لأنه لما لم يكن في الحكمة الأزلية ، أن لا ينتقم الله من عبده العاصي آدم^(٥) الذى ظلمه ، واستهان بقدره ، ولم يرد الله الانتقام منه لاعتلاء منزلة السيد وسقوط منزلة العبد .

أراد [الله] أن يتصف من الإنسان الذى هو إله مثله ، فانتصف من خطيئة آدم ، بصلب عيسى المسيح ، الذى هو إله مثله^(٦) .

فصليب ابن الله عز وجل الذى هو الله ، في الساعة التاسعة من يوم الجمعة ، صلبته اليهود الملاعين^(٧) . واليهود تقر أنها صلبته ، وأنتم تنكرون ذلك^(٨) كفرة منكم ، لأن إنكار الصلب

(١) في ج : " مرق " وفي ت ، ع : " بإهراق " .

(٢) زدنا ما بين القوسين المعقوفين وكذلك وضعنا علامة الجملة المعترضة لتفهم العبارة .

(٣) غار يغور غوراً : أتى الغور ، وغار الماء : ذهب في الأرض .

(٤) لم تذكر الأناجيل الأربعة أن دمه غار في إصبه ، ولم تشر إلى هذا النبت الذى خرج من الموضع الذى وقع فيه شئ من دمه ، ولكن ورد هذا في الأساطير التى حكيت حول أحداث الصلب .

(٥) غفر الله لآدم خطيئته فقال تعالى : ﴿ تُمْ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ (طه : ١٢٢)

لكن المسيحيين يصرون على أن الله لم يغفر له هذه الخطيئة ، ليبرروا اعتقادهم في أن المسيح قد صلب تكفيراً لها ، كى يخلص البشرية من وزرها .

(٦) في ت : " الذى هو الله متساو معه " .

(٧) اقرأ اخبار الصلب عند " متى " ٢٧ ، و " مرقس " ١٥ ، و " لوقا " ٢٣ ، و " يوحنا " ١٩ .

(٨) لأن الله يقول في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء : ١٥٧)

وأنظر مالك بن نبي : ٣١٩ - ٣٢٠

منكم كفر^(١)، من ينكرها فهو كافر ، ولكنكم تعظمون المسيح ، فمن أجل ذلك ارجى منكم أن يهديكم الله إلى الحق .

* * *

[دعوة القسيس أبا عبيدة إلى الإيمان بعقيدة المسيحيين في المسيح]

وما عقائدكم كلها إلا حسنة ، وكان عندكم عدل كثير في أصل دينكم ، وخير شامل فلو آمنتم بالمسيح وقتلتم :
إنه هو الله ، خالق السموات والأرض لكمل إيمانكم ، ولا شك أنك تقرأ التوراة ، والزبور ، والنبوات^(٢) ، فاعتبر ! فيها شواهد على ذلك كله .

(١) في ج ، ع : " لأن إنكار الصلوية عندنا كفر "

(٢) يطلق اسم التوراة ، على الكتب الخمسة الأولى ، من الكتاب المقدس ، ومعنى التوراة في اللغة العربية : القانون

جاء في دائرة معارف لاورس تحت كلمة توراة ما يأتي :

" العلم العصري ، ولا سيما النقد الألمان ، قد أثبت بعد أبحاث مستفضية في الآثار القديمة ، وعلم اللغات ، أن التوراة لم يكتبها موسى ، وإنما عمل أحبار ، لم يذكروا اسمهم عليها (أنظر سينوزا ص ٢٦٥ - ٢٧٥) ، ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها ، على روايات سماعية قبل أسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ، ليس فيها كل الروايات الإسرائيلية ، لكنها تحتوي فقط ، على إشارات ورموز ، وحكايات ، وأن هجرة مصر ، ما هي إلى قصة وهمية ، أو حادثة رمزية ، ليس لها أدن أصل حقيقي " .

لكن صح ما قاله العلماء ، من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين أيدينا ، فلا يمكننا - نحن المسلمين - أن ننفق معهم ، في أن هجرة بني إسرائيل ، قصة خرافية ، لأن القرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، أخبرنا أن يوسف ، وإخواته ، جاءوا إلى مصر (اقرأ سورة يوسف) ، وأن ذريتهم ، خرجوا منها إلى سيناء بزعامه موسى عليه السلام .

الزبور : الكتاب جمعه زُبر ، وقد غلب لفظ الزبور على الكتاب الذي أنزل إلى دواد عليه السلام ، ففسر تعالى :

(النساء : ١٦٣)

﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

[صيغة الصلاة عند المسيحيين]

وصلاتنا ^(١) أحسن صلاة تقرأ ، وهي هذه :

أبانا الذى أنت فى السماء تقدر اسمك ، وليأت ^(٢) ملكك ، ولكن إرادتك فى السماء مثلها فى الأرض .

أعطنا خبزنا ، كفافنا ^(٣) ، واغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن لمن أذنب إلينا ، ولا توقعنا ^(٤) فى المحن ، وسلمنا من الشرور ^(٥) .

أى وأعطينا داوود ، كتاباً خاصاً ، مزبوراً ، فالزبور بمعنى المزبور ، كالركوب بمعنى المركوب ، وهو المكتوب ، وكل كتاب فهو مزبور ، ومنه قول المرئ القيس :

لمن طلل أبصرته فشجان كخط زبور فى عسيب يمانى

هل يعتبر الزبور الذى أنزل على داود ، هو المزامير الموجودة فى العهد القديم الذى بين أيدينا ؟ يشك باحثو الأديان فى نسبة المزامير ، إلى داود ^{الطيب} .

(أنظر سينوزا ص ٣٠٩)

النبوت : هى أخبار أنبياء بنى إسرائيل ، الملحقه بالعهد القديم .

^(١) فى ج : صلواتنا .

^(٢) فى ج : " وات " بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الألف .

^(٣) فى ج : " الماتم " بدون نقط ، وفى ت : " الملاليم " وساقطة من ع ، فوضعنا كلمة " كفافنا " الواردة فى إنجيل

" متى " .

^(٤) فى ج : " توسقنا " بدون نقطة على الحرف الواقع بعد الواو .

^(٥) جاءت صيغة الصلاة فى إنجيل " متى " على النحو التالى :

أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض

خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا . ولا تدخلنا فى تجربة . لكن نجنا من الشرير . لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد ، آمين .

(متى : ٦ : ٩ - ١٣)

وزاد فى ع : " السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة ، نعم الربك معك ، مباركة أنت فى السماء ، ومبارك هو مائة

بطنك يسوع . يا قديسة مريم ، يا والدة الله ، صلى لأجلنا نحن الخطاة ، الآن ، وفى ساعة موتنا . آمين " .

[نزول النور في بيت المقدس]

فهذه صلاتنا⁽¹⁾، [.....]⁽²⁾ وينزل الله علينا من السماء النور في كل سنة في

(1) في ج: " صلواتنا " .

(2) زاد في ع: " تفصيلاً لأركان المسيحية الخمسة ، نوجزها فيما يلي :

(أ) التغطيس ، ذلك أن في كل كنيسة حوضاً ، يملأه القسيس بالماء ، ويقرأ عليه شيئاً من الإنجيل ، ويرمى فيه ملحاً أو شيئاً من دهن البلسان . فإذا أراد أحد اعتناق النصرانية ، يقام له احتفال يحضره بعض الأعيان ، وتتلو فيه القسيس عليه مبادئ المسيحية ، ثم يسأله : هل آمنت بهذا كله ؟ فيقول : نعم ، وحينئذ يأخذ القسيس جزءاً من الماء المذكور ، ويسكبه عليه ، وهو يقول : وأنا أغطسك باسم الأب ، والإبن ، والروح القدس ، ثم يمسح الماء عنه بمنديل ، وينصرف ، وقد أصبح مسيحياً .

ويقام هذا الاحتفال لأولاد المسيحيين ، في اليوم الثامن من ولادتهم ، غير أن أبا الطفل هو الذي يجيب سؤال القسيس ، ولا يمكن أن يعتبر أحد مسيحياً ، إلا بعد أن تقام له هذه الطقوس .

(ب) الإيمان بالتثليث .

(ج) الاعتقاد بأن أقنوم الإبن قد التحم بعيسى في بطن مريم .

(د) الإيمان بالقرابان ، وهو الاعتقاد بأن فطيرة من خبز ، إذا قرأ عليها القسيس بعض كلمات ، تصير بعينها جسد المسيح ، كما أنه إذا قرأ على بعض شراب الخمر ، فإنه يصير دم عيسى ، وتجري طقوس في الكنيسة ، فبعد أن يتم صنع الفطيرة ، يأمر القسيس بضرب ناقوس الكنيسة ، فيأتي المسيحيون ، ويقفون صفوفاً ، ثم يتقدم القسيس أمام الصفوف ويستقبل المشرق ، ويقوم ببعض الطقوس ، ثم يأكلون الفطيرة ، على أنها جسد المسيح ، ويشربون الخمر على أنه دم عيسى ، وذلك كما فعل المسيح ليلة القبض عليه كما يزعمون .

(انظر متى ٢٦ : ٢٦-٣٠ ومرقس ١٤ : ٢٢-٢٦ ، ولوقا ٢٢ : ١٩ - ٢٠)

(هـ) الإقرار بجميع الذنوب للقسيس ، إذ يعتقد المسيحيون أنه لا يمكن دخول الجنة ، إلا بعد الإقرار بالذنوب

للقسيس .

هذه هي أركان شريعتنا ، ألفها ، واتفق عليها أئمتنا ، وفقهاؤنا في زمن " قسطنطين " الروماني . ثم أورد نص القرار الذي أصدره مجمع " نيقية " وختم ذلك بقوله :

" فهذه هي عقائدنا ، التي أجمعت عليها جميع فرقنا ، واتفقوا على أنه لا يتم لنا عيد ، ولا قربان ، إلا بما ، فانظر ا وتأمل إلى معانيها الشريفة وحكمها العظيمة ، عسى الله أن يهلك بأسرارها ، فتخلص مما أنتم عليه من الأباطيل " .

[مكانة المطران عند المسيحيين]

وقد جعل الله في أيدي المطارين^(٢) ما لم يجعل في يد أحد ، وذلك أن^(٣) كل ما يفعلونه في الأرض يفعل الله في السماء ، فإذا أذنبنا ، فهم الذين يقبلون التوبات^(٤) ويعفون عن السيئات ، بأيديهم صلاح الأحياء والأموات .

^(١) يعتقد المسيحيون ، أن قيام عيسى في القبر ، هو نور إلهي ، أرسله الله إلى البشرية ليهدبها إلى " الطريق المستقيم " ، لذلك يحتفلون كل عام بهذه المناسبة ، في كنيسة القيامة في القدس ، وتتضمن مراسم الاحتفال إطفاء أنوار الكنيسة ، وإشعال النار في مكان اتخذوه رمزاً ، لقبر عيسى - فهو المكان الذي دفن فيه كما يزعمون - يشعل المحتفلون الشموع من هذه النار ، ويدخلون بها إلى الكنيسة المظلمة - بعد إطفاء أنوارها - ليضيئوها " بنور المسيح " .

ويعتقد كثير من المسيحيين ، أن هذه النار نزلت عليهم من السماء . بين أبو عبيدة في رده على القسيس هذه الخدعة ، فليرجع إليها القارئ .

وكان قيصر روسيا - قبل قيام الثورة البلشفية - يرسل كل عام سفينة إلى القدس محملة شموعاً ، لإشعالها من هذه النار ، لتضاء بها كنائس روسيا .

^(٢) المطران : رئيس الكهنة ، وهو فوق الأسقف ، ودون البطريرك ، جمعها " مطارنة ومطارين ، وتدرج الألقاب الكهنوتية على النحو التالي :

١- شماس ٢- قسيس ٣- أسقف ٤- مطران
٥- بطريرك ٦- بابا

^(٣) في ج : " أنهم " وفي ت : " أن جميع " ، وفي ع : " أنهم كلما يفعلونه "

^(٤) منحت المجمع الدينية البابا ، سلطات دينية ترفعه إلى مرتبة غفران الذنوب ، فقد قرر مجمع روما المتعقد سنة ١٢١٥م أن الكنيسة البابوية ، تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء .

ومن يملك حق الغفران ، يملك بالتالي حق الحرمان !!!

[ما أورده من شبهات]

وأما دينم ، فقد ألفت كثير من أساقفتنا كتباً ، في الطعن فيه^(١) ، وذكروا صاحب شريعتكم ، وحيله ، ووصفوا أشياء .

وقد باشر رجال الدين في الكنيسة ، هذه السلطة وتوسعوا فيها ، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ، ويصدرون قرات الحرمان ، حتى لو تعلقت بالملك والعظماء .

وشاع بين المسيحيين أن الله يفر لمن يرضى عنه آباء الكنيسة ، فانتشرت صكوك الغفران وذاعت ، ومارستها كل الكنائس ، التي كانت تخضع للكنيسة البابوية ، فكان المذنب يدفع قدرًا من المال في مقابل الحصول على صك مكتوب فيه :

" ربنا يسوع المسيح يرحمك يا (يكتب اسم الذي سيفر له) ويملك باستحقاقات آلامه الكلية المقدسة ، وأنا السلطان الرسول المعطى لي ، أحلك من جميع القصاصات والأحكام ، والطائلات الكنسية ، التي استوجبتها ، وأيضاً من جميع الإفراط ، والخطايا ، والذنوب التي ارتكبتها ، مهما تكن عظيمة وفضيحة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبينا ، الأقدس البابا ، والكرسي الرسولي ، وأحر جميع أقدار الذنب ، وكل علامات الملامة ، التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات ، التي كنت تلتزم بمكابدها في المطهر ، وأردك حديثاً ، إلى الشركة في أسرار الكنيسة ، وأقرنك في شركة القديسين ، أرك ثانياً إلى الطهارة ، والبر ، الذين كانا لك عند معموديتك ، حتى أنه في ساعة الموت يفلق أمامك الباب ، الذي يدخل منه الخطأ إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب ، الذي يؤدي إلى فردوس الفرج ، وإن لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب ، والإبن ، والروح القدس " .

ويعتمد آباء الكنيسة في غفران الذنوب ، على النص الذي جاء في إنجيل يوحنا : " من غفرتم خطاياهم تغفر له ، ومن أمسكنم خطاياهم أمسكت " . (يوحنا ٢٠ : ٢٣) (انظر Stohlns. 58 FF ، وشلى ص ٨ - ٢٩)

أما الإسلام فيبين أن الله وحده ، هو الذي يفر لمن يشاء ، ولا يمكن لأى إنسان - مهما بغلت منزلته - أن يدعى هذا الحق ، بقول الله تعالى لنبيه ﷺ :

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾

(النوبة : ٨٠)

(١) في ج : " عليكم " وفي ع : " عليه "

فرأينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معنا ، ولا فائدة من شريعتكم ، لأننا نجد الأحكام الشرعية حكمين :

[الشبهة الأولى]

الأول : الحكم التوراوي ، والذي هو من لطمك فالطمه^(١)
الآخر : الإنجيلي الذي هو : من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر^(٢)
وأنت ترى فضل هذا على الأول ، ثم لا تجد لهذين الحكمين ثالثاً [إلا] كان داخلياً
فيهما^(٣).

[الشبهة الثانية]

وأى دليل يطلب على أنكم [لستم] على الحق ، أكثر من أن يكون مكتوباً في كتابكم :
﴿ فَأَلْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النَّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾^(٤)

(١) لم يرد هذا التعبير في التوراة ، وإنما ورد في سفر اللاويين :

" وإذا أحدث إنسان في قريبه عيباً ، فكما فعل كذلك يفعل به ، كسر بكسر ، وعين بعين ، وسن بسن ، كما أحدث عيباً في الإنسان كذلك يحدث فيه " .
(اللاويين ٢٤ : ١٩ - ٢٠)

(٢) جاء في الإنجيل : " سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من

لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً " .
(متى ٥ : ٣٨ - ٣٩)

(٣) جاء الرد على هذه الشبهة في الأصل فلا داعي للتكرار .

(٤) النساء : ٣ .

والله قد قال في التوراة :

" لا يتزوج الرجل إلا امرأة واحدة ، كما كان آدم وزوجته " (١)

(١) لا يوجد هذا النص في التوراة ، بل ورد فيها ما يخالف مفهومه فقد جاء في سفر التكوين : " واتخذ لأملك لنفسه امرأتين ، اسم الواحدة عادة ، واسم الأخرى صلة ... وقال لأملك لامرأته عادة وصلة : اسمها قولى يا مرأتى لأملك وأصغياً لكلامى .. " .

كذلك جمع يعقوب بين امرأتين هما : ليثة ، وراحيل .

وهذا يدل على أن التعدد كان مباحاً .

بل لم يرد نص في الإنجيل ، يدل صراحة على أن التعدد حرام ، وإنما يعتمد المسيحيون في تقيدهم الزواج بواحدة ، على نصوص يؤولونها تأويلاً بعيداً عن مفهومها ، وعن السياق التي وردت فيه ، من ذلك ما نشره أحد القساوسة في مجلة الفكر الإسلامى (العدد الثانى عشر من السنة الأولى ص ٦٠ - ٦٢) :

" إن تعدد الزوجات هو على نوعين : تعدد الزوجات في وقت واحد ، وتعدد الزوجات بالتتابع ، فتعدد الزوجات في وقت واحد ، يقوم بأن يكون الرجل مقترناً بأكثر من امرأة ويعيش معهن في آن واحد ، بينما تعدد الزوجات بالتتابع ، يقتصر على أن يكون للرجل زوجة واحدة ، ولا يقترن بأخرى ، إلا إذا توفيت الأولى ، أو حل من ارتباطه بها ، فتعدد الزوجات بالتتابع معناه إذن : أن الرجل ليس مقترناً إلا بامرأة واحدة ، والديانة المسيحية ما عرفت قط - وما أمكنها أن تعرف - تعدد الزوجات في وقت واحد ، ولكنها عرفت تعدد الزوجات بالتتابع ، وهذا لا يسمى تعدد زوجات " .

جاء في الإنجيل المقدس ، أن التلاميذ سألوا السيد المسيح :

" أيجل لأحد أن يطلق امرأته لأية علة كانت ؟ فأجاب :

" أما قرأتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى ، وقال : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلزم امرأته ،

ليصير الإثنين جسداً واحداً ، لا يفرقن الإنسان ما جمعه الله " . (إنجيل سيدنا المسيح للمقدس متى ، الفصل ١٩ العدد ٤-٧)

لم يقل السيد المسيح : " ويلزم نساءه " ، بل " امرأته " ، أى " للرجل الواحد " " امرأة واحدة " والإنسان يصيران جسداً واحداً .

والرجل الذى اقترن بامرأة قراناً صحيحاً ، لا يحق له أن يطلقها ، أو يجل الإرتباطات التي بينه وبينها ، ويتزوج امرأة

أخرى ثانية : " من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى ، ومن تزوج التي طلقها زوجها زنى " .

(إنجيل سيدنا المسيح للقدس لوقا : الفصل ١٦ العدد ١٨) .

كلنا نعلم أن لا زنا من قبل الرجل ، الذى يعيش مع امرأة ، ومع نساء عقد معها أو معهن زواجاً صحيحاً ،
فيما أن الحياة مع امرأة ثانية ، هو في الديانة المسيحية زنا ، معناه أن تعدد الزوجات في آن واحد ممنوع قطعاً هذا ما جاء
في الإنجيل ، وهذا ما تجده بحرفيته في رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ، حيث قال :
" فالمرأة المتزوجة تربطها الشريعة بالرجل ما دام حياً ، فإذا مات حلت من شريعة الزوج ، وإن صارت إلى
رجل آخر وزوجها حتى عدت زانية ، وإذا مات الزوج تحررت من الشريعة ، فلا تكون زانية وإن صارت إلى
رجل آخر "

(رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ، الفصل ٧ ، العدد ٢ - ٤ ، ورسالته الأولى إلى أهل كورنثس ، الفصل ٧ : العدد ٣٩)
ويقول القديس بولس أيضاً : " فليكن لكل رجل امرأته ، ولكل امرأة زوجها ، وليقض الزوج امرأته حقها ،
وكذلك المرأة حتى زوجها " .
(رسالة الاولى إلى أهل كورنثس الفصل ٧ : العدد ٢ - ٣)

وقد رددنا عليه في نفس العدد بما يلي :

١ - جاء في التوراة في مواضع متعددة ما يفيد تعدد الزوجات ، وقد أقر القسيس ذلك في مستهل مقاله .
قال السيد المسيح : " لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل ، فإن الحق
أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل
فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات ، وأما من عمل
وعلم ، فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات ، فإن أقول لكم : إنكم إن لم يزد بركم على الكنية والفريسيين لن
تدخلوا ملكوت السموات " .
(متى ٥ : ١٧ - ٢٠)

ما هو الناموس الذى لم يأت السيد المسيح لنقضه ، إذا لم يكن المقصود به التوراة ؟

ألا يدل قوله " لا يزول حرف واحد .. " إلخ

على أن المراد التوراة ؟

إذن فالمسيحيون ، ملزمون بأحكام التوراة - حسب رأى الأغلبية من علماء الدين - إلا إذا ورد في الإنجيل
ما ينقضها .

وقد ذكر " Stauffer " في كتابه : " Botschaft " : أن رسالة المسيح كانت أخلاقية ، ولم تكن لسن
قوانين وإصدار تشريعات ، ودل على ذلك بما جاء في إنجيل لوقا : " وقال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخي أن
يقاسمى الميراث ، فقال له : يا إنسان ! من أقامنى عليكما قاضياً أو مقسماً " .
(لوقا ١٢ : ١٣ - ١٤)

ثم - عاد - أى Stauffer - فيبين أن عيسى عليه السلام شرع " أخلاقيات جديدة " ، وصاحبها إبطال مقابلتها في التوراة ، ثم ذكر منها نقطتين ، تتعلقان بموضوعنا :

(أ) عقوبة الزاني في التوراة القتل ، كما جاء في سفر اللاويين . (إصحاح ٢٠. فقرة ١٠ - ١٣)

بخالف الإنجيل التوراة في هذا ، وترك الزانية بدون عقاب .

(ب) أباحت التوراة الطلاق (التثنية ٢٤ : ١) وحرمة الإنجيل (مرقس ١٠ - ١٢) .

ولم يذكر " Stauffer " - كما لم يذكر أحد من الباحثين في المسائل الدينية - أن الإنجيل خالف التوراة في تعدد الزوجات ، ولو كانت هناك فقرة واحدة تفيد هذا صراحة ، لملت بها صفحات وصفحات ، لبيان مسابرة المسيحية في أصولها ، للإلتجاه الأوربي في مقابل الإسلام .

أما ما أورده من فقرات الإنجيل ، فلا يدل على تحريم تعدد الزوجات ، بل على تحريم الطلاق ، فصيغة الأفراد التي وردت في إجابة عيسى عليه السلام ، جاءت لتماثل صيغة الأفراد في سؤال التلاميذ ، فلو فرض أن التلاميذ ، وضعوا سؤالهم على هذا النحو : " أيجل لأحد أن يطلق نساءه لأية علة كانت ؟ " فلربما أجابهم السيد المسيح : " .. ويلزم نساءه .. " فالأفراد كان لمطابقة مثيله في السؤال ، وظروف النص ، تبين بوضوح أنه لتحريم الطلاق ، ولا يفهم منه تحريم التعدد إلا بتأويل متعسف .

أما الفقرة الثانية : " من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى ، ومن تزوج التي طلقها زوجها زنى " .

إذا فهم تحريم التعدد من الجملة الأولى ، فلن يفهم من الثانية ، لأنه ربما يكون الرجل ، الذي تزوج المطلقة ليس معدداً ، لأنها بالنسبة له زوجة أولى ، فلم كان زانياً ؟ فهو لم يعدد ..

كان زانياً ، لأنه دخل بإمرأة ، لا زالت في عصمة آخر ، لأن الطلاق لم يعترف به ، لا لأنه عدد الزوجات .

إذن فملاهبسات النص بأكمله تصرفه إلى تحريم الطلاق .

وقول القديس بولس لا يدل على تحريم تعدد الزوجات ، إلا إذا صيغ على الوجه التالي : " فليكن لكل رجل امرأة

ولكل امرأة زوج " .

ولا يخفى الفرق بين التعبيرين .

إذا كان تحريم الكنيسة تعدد الزوجات ، لا يستند إلى نص صريح فمن أين جاء ؟

ويجد إجابة هذا السؤال فيما نقله الدكتور عبد الواحد واى في كتابه : " قصة الزواج والعزوبة في العالم " ص ٥٧

عن " Westermarck " بقوله :

[الشبهة الثالثة]

وكتب في كتابكم^(١) أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً ، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره^(٢).

" .. وقد أخذ هذا النظام (الزوجة الواحدة) كثير من المجتمعات الإنسانية قديمها وحديثها ، متحضرها ، وبدائها وساد على الأخص في العصور القديمة عند قدماء اليونان والرومان ، ويسير عليه في هذا العصر جميع الأوروبيين ، وسلاطهم بأمريكا وأستراليا وغيرها ، وقد جعلته المسيحية المثل الأعلى للزواج ، وإن لم يرد في الإنجيل نص صريح يدل على تحريم تعدد الزوجات ، وإذا كان قدامى المسيحيين قد ساروا على نظام وحدة الزوجة ، فما ذلك إلا لأن معظم الأمم الأوروبية التي انتشرت فيها المسيحية في أول الأمر كانت تقاليدهم تحرم تعدد الزوجات ، وقد سارت بعد اعتناقها المسيحية على ما وجدت عليه آباؤها من قبل ، فلم تكن وحدة الزوجة لديها نظاماً طارئاً ، جاء به الدين الجديد الذي دخلت فيه ، وإنما كان نظاماً قديماً ، جرى عليه العمل في وثيقتها الأولى " .

تلك هي سياسة الكنيسة في نشر عقائدها ، تحرم وتحلل ، لترغيب الناس في اعتناق المسيحية ، ثم يصير ما حللته ، أو حرمته - بمرور الزمن - شريعة ، تدافع عنها الأجيال اللاحقة ، كأنه منزل من السماء ، ولم يكن سوى تحريفاً لشريعة الله .

ولم تكف الكنيسة عن اتباع هذا الأسلوب إلى اليوم ، فهي تغض الطرف عن تعدد الزوجات بين المسيحيين في إفريقيا ، حتى القسيس في الكنيسة الإفريقية ، تُحَوِّز له أن يتزوج أكثر من امرأة ، بينما يحرم هذا على زميله في أوروبا ، فأيهما المسيحية ، أتحرّم التعدد على المسيحيين في أوروبا ، أم جوازهم لشركائهم في العقيدة في إفريقيا ؟ لا نجد عندهم جواباً سوى أنهم أحلوا تعدد الزوجات في إفريقيا ، ليكسبوا أتباعاً ، وإلا خسروا المعركة أمام الإسلام ، لأن عادة الإفريقيين التعدد ، والإسلام يبيحه ، فإذا هم تمسكوا بتحريمه ، فلن يعتنق أحد المسيحية في إفريقيا إلا نادراً .

(١) في ت : " وكذلك عندكم "

(٢) يشير إلى قوله تعالى :

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ

والله قد قال في التوراة:

" من طلق امرأته ، ثم أحب مراجعتها ، فهي تحل له ، ما لم يتزوجها^(١) رجل آخر^(٢) .

[الشبهة الرابعة]

وكتب في كتابكم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾^(٣)

زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

[البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠]

^(١) في ع ، ج : " بمسها " .

^(٢) نص ما جاء في التوراة هو : " إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة في عينه ، لأنه وجد فيها عيب شئ ، وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه إلى يدها ، وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر ، فإن أبغضها الرجل الأخير ، وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ، أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة ، لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها ، لتصور له زوجة بعد أن تنجست ، لأن ذلك رجس لدى الرب ، فلا تجلب خطية على الأرض التي يعطيك الرب إهلك نصيباً " .

(الشبهة ٢٤ : ١-٤)

فأى فضل في هذا على ما جاء في القرآن الكريم ؟

أليس فيه تضييقاً على المرأة ، في أن تحيا حياة طبيعية في المجتمع دون حرج ، ما دامت ملتزمة حدود الآداب ، ومتبعة لأحكام الشريعة ؟

إن من غير المعقول عقلاً ، أن يحكم على المرأة بالنجاسة ، إذا تزوجت رجلاً آخر !!!

ولماذا لم تنتجس بانصالحها بالرجل الأول ، فتحرم على الثان ؟

إن ذلك تحريف لشريعة الله !!!

^(٣) التوبة : ١١١

وقد قال الله في التوراة:

(لا يكون قتال بين بني آدم ، فإن القتال والمقتول في النار)^(١)

وليس العجب من هذا ، فإن الذي ذكرته^(٢) لك في كتابك من الأحكام ، يمكنك أن تحتج فيه بالنسخ ، الذي هو مقدمة من مقدمات أصل شريعتك .
وإنما العجب من قوله مخبراً : " وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل " ، وما في التوراة والإنجيل إلا ضد ذلك^(٣)

^(١) لم يرد هذا النص في التوراة ، بل ورد ما يفيد أن الله أمر موسى عليه السلام ، ألا يهادن الخارجين عن عبادة الله ، بل يهدم مذابحهم ، ويكسر أصنامهم :

" احفظ ما أنا موصيك اليوم ! ها أنا طارد من قدامك الأموريين ، والكنعانيين ، والحثيين ، والفرزيين ، والحويين ، واليبوسيين ، احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها ، لسلا يصيروا فخاً في وسطك ، بل تقدمون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم ، وتقطعون سواربهم " .
(خروج ٣٤ : ١١ - ١٣)

وجاء في سفر العدد ، أن الرب أمر موسى ، أن ينتقم لبني إسرائيل من المديانيين : " وكلم الرب موسى قائلاً : انتقم نعمة لبني إسرائيل من المديانيين " .
(العدد ٣١ : ١)
فاختار موسى إثني عشر ألفاً ، وأرسلهم إلى مديان ، كما أمر الرب ، فقتلوا كل ذكر ، وسبوا النساء ، والأطفال ، وأخذوا أموالهم غنيمة .
(انظر العدد ٣١ : ٣ - ٥٤)

^(٢) في ت : " الذي ذكرت "

^(٣) إنكار القسيس ورود هذا في التوراة واضح البطلان ، فقد جاء في التوراة ، التي بين أيديهم (وهي المشكوك في صحتها) ما يفيد أن الله رضى بما قام به إسرائيل في حرب العمالقة : " فقال الرب لموسى : أكتب هذا تذكراً في الكتاب ، وضعه في مسامع يشوع ، فإن سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء ، لبني موسى مذبحاً ، ودعا اسمه يهوه نسي ، وقال إن اليد على كرسي الرب ، للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور " . (خروج ١٧ : ١٤ - ١٦)
ومن برضى عنه الله ، يدخله الجنة ، جزاء ما قام به ، وهو هنا حرب العماليق .

أما الإنجيل الموجود بين أيدينا ، فقد جاء بالمتناقضات حول هذا الموضوع ، فبينما يقول : " أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضتكم " .
(متى ٥ : ٤٤)

نطالع بعد قليل قوله : " لا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً " .
(متى ١٠ : ٣٤)

[الشبهة الخامسة]

والعجب أيضاً من قوله عن مريم أم المسيح :

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتْنَا فَرْجَهَا﴾^(١)

وقال عنها في موضع آخر : ﴿يَا أُخْتَهُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ

أُمُّكَ بَقِيًّا﴾^(٢)

وليست أم المسيح بأخت هارون ، ولا بابنة عمران ، وإنما اسم أبيها يواخيم^(٣) ، فتوهتم

أنها ابنة عمران ، التي كانت أخت موسى وهارون^(٤) .

(١) التحريم : ١٢

(٢) مريم : ٢٨

(٣) في ج ، ت : " يعقيم "

لم تذكر الأناجيل اسم أبيها ، وإنما جاء في الأساطير أنه " Joachim " (يواخيم) وأمها " Anna " (أنا)

(أنظر Mensching " ص ١٩ - ٢٢) .

(٤) ورد في التوراة : " وأخذ عمران يوكابد عمته زوجة له ، فولدت له هارون وموسى " . (خروج ٦ : ٢٠)

" واسم امرأة عمران يوكابد بنت لاوى التي ولدت للاوى في مصر ، فولدت لعمران هارون وموسى ومريم

أختيهما " (عدد ٢٦ : ٥٩)

ويرجع الباحثون أن زمن وجود موسى وهارون كان ١٥٠٠ قبل الميلاد .

[آل عمران : ٣٥]

فما هو عمران المذكور في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾

لقد عرف في التاريخ رجلان بهذا الاسم :

(١) عمران والد موسى وهارون ، وهو : عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

(ب) عمران بن ماثان والد مريم ، وكان من نسل سليمان بن داود بن نسي ، وهم من نسل يهوذا بن يعقوب بن

إسحاق بن إبراهيم ~~التي~~ ، وهو المذكور في آية آل عمران المذكورة سابقاً .

إذن ، فكيف تفسر وصف القرآن الكريم لمريم بأنها أخت هارون ، وبينهما خمسة عشر قرناً تقريباً ؟

ذكر العلماء في تفسير قوله تعالى : " يا أخت هارون " أربعة أقوال :

الأول : أنه رجل صالح من بني إسرائيل ، ينسب إليه من عرف بالصلاح ، والمراد أنك كنت في الزهد كهارون ،

فكيف صرت هكذا ، وهو قول قتادة ، وكعب ، وابن زيد ، والمغيرة بن شعبة ، ويروى أن هارون الصالح هذا ، لما مات

تبع جنازته أربعون ألفاً ، كلهم يسمون هارون تركاً به وبإسمه !!

[الشبهة السادسة]

وقال أيضاً في كتابكم عن إبليس : أن الله أسقطه من السماء إلى الأرض ، لما أبى أن يسجد لآدم^(١).

وقال في التوراة : إنه أسقط إبليس من السماء ، قبل أن يخلق آدم^(٢) لأنه أراد أن يجعل نفسه نداً لله ، واعتز على الملائكة ، فقال لهم : أنا من نار ، ولا خالق ، فاجعلوا لي كرسيًا ، أكون عليه شبه العلى .

فلم يتم قوله ، حتى أسقطه الله من السماء إلى خزي الدنيا هو وجميع أصحابه الذين أضلتهم^(٣) الفكرة الرديئة^(٤).

الثاني : أنه أخو موسى عليه السلام ، وعن النبي ﷺ إنما هو هارون النبي ، إذ كانت من أعقابه ، وإنما قيل يا أخت هارون كما يقال : يا أبا همدان ، أي يا واحداً منهم .

الثالث : كان رجلاً مشهوراً بالفسق ، فنسبت إليه بمعنى التشبيه ، لا بمعنى النسبة .

الرابع : كان لها أخ يسمى هارون ، من صلحاء بني إسرائيل ، فذكرت به ، وهذا هو الأقرب لوجهين :

(أ) أن الأصل في الكلام الحقيقة : وإنما يكون ظاهر الآية محمولاً على حقيقتها ، لو كان لها أخ يسمى هارون .

(ب) أما إذا أضيفت إليه ، ووصف أبواها بالصلاح ، حينئذ يصير التوبيخ أشد ، لأن من كان حال أبويه وأخيه

هذه الحالة يكون صدور الذنب عنه أنفحش . (الرازي ج ٢١ ص ٢٠٧-٢٠٨)

^(١) يشير إلى ما جاء في الأعراف ١١-١٨ ، الحجر ٣٠-٤٣ ، وسورة ص ٧١-٨٥ .

^(٢) سقط من ت : " من السماء إلى الأرض ، لما أبى أن يسجد لآدم ، وقد قال في التوراة : إنه أسقط إبليس ..

^(٣) في ج ، ع : " داخلتم "

^(٤) لم ترد كلمة " إبليس " في العهد القديم ، وما اشتهر في قصة الخطيئة ، أنه أغوى حواء ودفعها إلى الأكل من

الشجرة ، فلم تذكره التوراة إلا في صورة حوار بين حواء والحية . (تكوين ٣ : ١-١٥)

وإذا بحثنا عن الكلمة المرادفة ، وهي " الشيطان " ، نجد أن كاتب سفر أيوب هو أول من ذكرها : " وكان ذات

يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم ، فقال الرب للشيطان : من أين جئت ؟ .

(أيوب ١ : ٦-٧)

أثر سفر أيوب على العقلية اليهودية ، فاعتقدت في وجود :

- طبيعة خيرة ، وتمثل في الملائكة الذين أطلق عليهم سفر أيوب " بنو الله " .

- طبيعة شريرة ، وتمثل في الشيطان كما جاء في نفس السفر .

- طبيعة الإنسان (وأيوب رمز لها) .

والشيطان وأعوانه ، يعملون ضد الإنسان ، بينما الملائكة تدافع عنه أمام الله وتقف في صفه ، بل تحارب الشيطان وأعوانه ، لتخلص الإنسان منه ، ولتحفظ ملك الله خالصاً له .

ويرجح علماء الأديان أن كاتب سفر أيوب ، كان واقعاً تحت تأثير المعتقدات الزرادشتية ، التي انتشرت بين اليهود

أثناء وجودهم في بابل ، إذ أن زرادشت يؤمن بالثنائية :

- قوى الخير .

- قوى الشر .

وبأن الصراع قائم بينهما (انظر " Van Glasenapp " ص ٢٩٩) نسج أحيار اليهود الأساطير ، حول الصراع بين الله

والشيطان ، وتناقلوها جيلاً بعد آخر إلى أن صاغها كاتب رؤيا يوحنا اللاهوتي ، حيث قال :

" وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسريلة بالشمس ، والقمر تحت رجلها وعلى رأسها إكليل من إثني

عشر كوكباً ، وهي حبلى تصرخ متمخضة ومتوجعة لتلد ، وظهرت آية أخرى في السماء هو ذا تينين عظيم أحمر له

سبعة رؤوس وعشرة قرون ، وعلى رؤوسه سبعة تيجان وذنبه يجر ثلث نجوم السماء ، فطرحها إلى الأرض ، والتينين

وقف أمام المرأة العتيدة أن تلد حتى يبتلع ولدها ، ومتى ولدت فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن يرعى جميع الأمم بعضا من

حديد ، واختطف ولدها إلى الله وإلى عرشه ، والمرأة هربت إلى البرية ، حيث لها موضع من الله ، لكي يعولوها هناك

ألفاً ومئتين وستين يوماً ، وحدثت حرب في السماء ميخائيل وملائكته ، حاربوا التينين وحارب التينين وملائكته ، ولم

يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء ، فطرح التينين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل

العالم كله ، طرح إلى الأرض وطرحته معه ملائكته ، وسمعت صوتاً عظيماً قائلاً في السماء : الآن صار خلاص إلهنا

وقدرته وملكه وسلطان مسيحه ، لأنه قد طرح المشتكى على إخوتنا الذي كان يشتكى عليهم أمام إلهنا فأراً وليلاً .

(رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢ : ١-١٠)

ومن هذا تبين أن القسيس اعتمد في رأيه على ما كتب في رؤيا يوحنا اللاهوتي ، التي هي تعبير عن الأسطورة التي

شاعت بين اليهود ، وقد سبق أن بينا أن نسبة الرؤيا إلى يوحنا ، إفتراء وكذب عليه ، وأن المحقق " برطشنيدي " يسرى أن

[الشبهة السابعة]

وأتم تقولون : إن في التوراة والإنجيل والزبور والنبوات خللاً^(١) كثيراً^(٢) ، وأنا قد زدنا فيها ونقصنا وهذا من كفركم ، وليس معكم على ذلك دليل ، ولا هو مكتوب أيضاً^(٣) في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتكم ، وإنما هو كلام قلمتموه أنتم^(٤).

كاتبها رجل آخر غير يوحنا الخوارى ، صنفها في ابتداء القرن الثاني الميلادي ، وذلك يجعلنا نضرب بما عرض الحائط ، فهي لا تخرج عن كونها أسطورة ، ومن شأن الأساطير لباس الحق الباطل ، فجاء القرآن الكريم - وهو الكتاب المقدس الوحيد ، الذي حفظ من عبث الرواة - مبيناً ما خلطوا ، وموضحاً ما البسوا : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [سورة ص: ٧١ - ٧٧]

(١) في ت : " فسادا " .

(٢) ورد في الإنجيل نصوص كثيرة متناقضة ، ذكر المؤلف بعضاً منها في رده على رسالة القسيس .

أما النصوص المتناقضة في التوراة ، والزبور ، والنبوات عديدة ، ويستطيع القارئ أن يطالع طائفة منها ، في كتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج ٢ ص ٣-٧ ، ص ١٣-١٩ وفي إظهار الحق ، لرحمة الله الهندي ج ١ ص ٨٧ - ١٧٢ .

(٣) في ج ، ع : " ولا أيضاً هو مكتوب " .

(٤) يرى بعض العلماء أنه لم يرد في القرآن الكريم نص صريح يفيد - على سبيل القطع - أن الكتب السماوية (التوراة ، الزبور ، الإنجيل) قد حرفت أو بدلت .

وما جاء فيه حول هذا الموضوع يمتثل أكثر من وجه ، ولهذا سنذكر هنا أوضح الآيات دلالة على التحريف ، ثم نذكر عقب كل آية ، ما قاله أئمة المفسرين في عصور الإسلام الأولى ، وسوف يقتضى هذا المنهج [سهاباً - بل وتكراراً أحياناً - اضطررنا إليه ، كي تتضح الصورة أمام القارئ .

(أ) قال الله تعالى: ﴿أَلَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَيْنِ بَعْدِ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[البقرة : ٧٥]

"إعلم أنا إن قلنا ، بأن المحرفين ، هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام ، فالمحرف هو التوراة "

وكيف؟

" روى أن قوماً من السبعين المختارين ، سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ، وما أمر به موسى ، وما لُهي عنه ثم قالوا : سمعنا الله يقول في آخره : إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء ، فافعلوا ، وإن شئتم ألا تفعلوا فلا بأس ، وأما إن قلنا : المحرفون هم الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم ، فالأقرب أن المراد تحريف أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم حرفوا نعت الرسول وصفته ، أو أنهم حرفوا آية الرجم ، وظاهر القرآن لا يدل على أنهم أى شئ حرفوا ... وعن ابن عباس : أنهم زادوا فيه ونقصوا "

(الرازي ج ١ ص ١٣٥)

أما الطبرى فيروى قولين في التحريف :

- المحرف هو التوراة ، وهو رأى السدى .

- المحرف هو ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو رأى الربيع .

- ثم يقول - أى الطبرى - وأولى التأويلين ، ما قاله الربيع بن أنس ، والذي حكاه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم ، من أن الله تعالى ذكره ، إنما عني بذلك من سمع كلامه من بني إسرائيل ، سماع موسى إياه ، ثم حرف ذلك وبدل ... فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم ، أخرى أن يجحدوا ما أتيتوهم به من الحق ، وهم لا يسمعون من الله ، وإنما يسمعون منكم .

(الطبرى ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٤٨)

(ب) قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِن فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ

[البقرة : ١٤٦]

الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(آل عمران : ٧١)

قال مجاهد : " ليكتُمون الحق وهم يعلمون " : يكتُمون محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهم يجدون له مكتوباً عندهم ،

(الطبرى ج ٣ ص ١٤٦)

في التوراة والإنجيل .

أما الرازي فيقول : ليس الحق بالباطل ، يحتمل هنا وجوها :

أحدها : تحريف التوراة ، فيخلطون المتزل بالمحرف ، وهو رأى الحسن وابن زيد .

ثانيها : أنهم تواضعوا على إظهار الإسلام أول النهار ، ثم الرجوع عنه في آخر النهار ، تشكيكاً للناس ، وهو رأى ابن عباس وقتادة .

ثالثها : أن يكون في التوراة ، ما يدل على نبوته ﷺ ، من البشارة والنعمة ، والصفة ، ويكون في التوراة أيضاً ما يوهم خلاف ذلك ، فيكون كالحكم ، والمتشابه ، فيلبسون على الضعفاء أحد الأمرين بالآخر ، كما يفعله كثير من المشبهة ، وهذا قول القاضي .

رابعها : أنهم كانوا يقولون : إن محمداً معترف بأن موسى ﷺ حق ، ثم إن التوراة دالة على أن شرع موسى ﷺ لا ينسخ ، وكل ذلك القاء للشبهات (الرازي ج ٩٨ - ٩٩) .

(ج) وقال تعالى:

﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران: ٧٨)

وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب:

عن مجاهد : يجرّفونه

وعن قتادة : هم أعداء الله اليهود ، حرقوا كتاب الله ، وابتدعوا فيه ، وزعموا أنه من عند الله .

وعن ابن عباس: هم اليهود ، وكانوا يزيدون في كتاب الله ، ما لم يترل الله . (الطبري ج ٦ ص ٥٣٦)

أما الرازي فيقول : " كيف يمكن إدخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس ؟

الجواب : لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ، ثم إنهم عرضوا ذلك المخرف على بعض العوام ، وعلى هذا التقدير ، يكون هذا التحريف ممكناً . والأصوب عندي في تفسير الآية وجه آخر ، وهو أن

الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ ، كان يحتاج فيها إلى تدقيق النظر ، وتأمل القلب ، والقوم كانوا يوردون عليها الأسئلة

المشوشة ، والإعتراضات المظلمة ، فكانت تصير تلك الدلائل مشبهة على السامعين ، واليهود كانوا يقولون : مراد الله

من هذه الآية ما ذكرناه لا ما ذكرتم ، فكان هذا هو المراد بالتحريف ، ولي الألسنة " (الرازي ج ٨ ص ١١٤)

(د) وقال تعالى:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعَيْنَا لَيًّا
بِالسِّيْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
(النساء : ٤٦)

تناول الرازي - عند تفسير هذه الآية - كيفية التحريف ، فذكر ألما تحتل ونحوها : أجدها أهم كانوا يبدلون
اللفظ بلفظ آخر ، مثل تحريفهم اسم "ربعة" عن موضعه في التوراة بوضعهم "آدم طويل" مكانه ، ونحو تحريفهم
الرحم "بوضعهم" الحد "بدله .

ونظيره قوله تعالى:

﴿قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾
(البقرة : ٧٩)

وإن قيل : كيف يمكن هذا في الكتاب ، الذي بلغت أحاد حروفه وكلماته مبلغ النواتر المشهور في الشرق
والغرب ؟

قلنا : لعله يقال : القوم كانوا قليلين ، والعلماء بالكتاب كانوا في غاية القلة فقدروا على هذا التحريف .

الثاني : أن المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة ، وتحريف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل
بوجود الحيل اللفظية ، كما يفعله أهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم وهذا هو الأصح .

الثالث : أنهم كانوا يدخلون على النبي ﷺ ، ويسألونه عن أمر فيخبرهم ليأخذوا به ، وإذا خرجوا من عنده حرقوا

كلامه .
(الرازي ج ١٠ ص ١١٧ - ١١٨)

(هـ) وقال تعالى:

﴿فِيمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾
(مائدة : ١٣)

قال أبو جعفر : يقول عز ذكره : وجعلنا قلوب هؤلاء الذين نقضوا عهدنا من بني إسرائيل قاسية ، متروعا منها
الخير ، مرفوعا منها التوفيق ، فلا يؤمنون ولا يهتدون ، فهم لترع الله ﷻ التوفيق من قلوبهم ، والإيمان ، يحرفون كلام
رهم ، الذي أنزله على نبيهم موسى ﷺ ، وهو التوراة ، فيبدلونه ، ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله ﷻ على
نبيهم ، ثم يقولون لجهال الناس : " هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه موسى ﷺ ، والتوراة التي أوحاها إليه " .

كما حدثني الثعني عن ابن عباس : " يحرفون الكلم عن مواضعه " يعني : حدود الله في التوراة ، ويقولون : إن
أمركم محمد بما أنتم عليه فاقبلوه ، وإن خالفكم فاحذروا .

(الطبري ج ٦ ص ١٣٨ - ١٢٩)

وقال الرازي ".... ثم إنه تعالى ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال: "يخرفون الكلم عن مواضعه" ، وهذا التحريف ، يحتمل التأويل الباطل ، ويحتمل تغيير اللفظ ، وقد بينا فيما تقدم ، أن الأول أولى ، لأن الكتاب المنقول بالتواتر ، لا يأتي فيه تغيير اللفظ ."

(الرازي ج ١١ ص ١٧٧)

(و) وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ
وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ
إِنْ أُرِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾

(المائدة : ٤١)

"وكان تحريفهم حكم الله تعالى ، الذي أنزله في التوراة في المحصنات والمحصنين من الزنا بالرجم ، إلى الجلد ... يقولون ليهود المدينة : " إن أوتيتهم هذا الجلد ، فخذوه ، وإن لم توتوه ، فاحذروا الرجم ."

(الطبري ج ١٠ ص ٣١٣ - ٣١٥)

وجاء في تفسير الرازي : " يخرفون الكلم من بعد مواضعه " أى من بعد أن وضعه الله مواضعه ، أى فرض فروضه وأحل حلاله ، وحرّم حرامه ، قال المفسرون : إن رجلاً وامرأة من أشرف خبير زنيا ، وكان حد الزنا في التوراة بالرجم ، فكرهت اليهود رجهما لشرفهما ، فأرسلوا قوماً إلى رسول الله ﷺ ليسألوه عن حكم الزناتين إذا أحصنا ، وقالوا : إن أمركم بالجلد فاقبلوه ، وإن أمركم بالرجم فاحذروه ، ولا تقبلوا ، فلما سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، نزل جبريل بالرجم ، فأبوا أن يأخذوا به ، فقال جبريل ﷺ : إجعل بينك وبينهم " ابن صوريا " ، فقال الرسول : هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور ، يسكن فذك ، يقال له ابن صوريا ؟ قالوا : نعم ، وهو أعلم يهودى على وجه الأرض ، فرضوا به حكماً ، فقال له رسول الله ﷺ : أنشدك الله الذي لا إله إلا هو ، الذي فلق البحر لموسى ، ورفع فوقكم الطور ، وأبناكم ، وأغرق آل فرعون ، والذي أنزل عليكم كتابه ، وحلاله وحرامه ، هل تجدون فيه الرجم على من أحصن ؟ قال ابن صوريا : نعم ، فوثبت عليه سفلة اليهود ، فقال : خفت إن كذبت أن يعزل علينا العذاب ... إذا عرفت القصة ، فنقول : قوله " يخرفون الكلم عن مواضعه " ، أى وضعوا الجلد مكان الرجم ، وقوله : " يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا " أى إن أمركم بالجلد فاقبلوه ، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا ."

(الرازي ج ١١ ص ٢٣٢ - ٢٣٣)

ونستنتج مما تقدم - ضاربين الصفع عن فحص الروايات التي وردت في التفسير ، حتى لا نظيل على القارئ أكثر من هذا - أن العلماء اختلفوا في مفهوم التحريف :

- فالحرف هو ما سمع من النبي ﷺ .

- أو المحرف هو التوراة.

ثم تشعب الإتجاه الثاني إلى آراء :

- حرف اليهود التوراة بالزيادة والنقص فيها .

- أو وضعوا لفظاً مكان آخر .

أو فهموا من النص معنى لا يستقيم مع منطوق اللفظ ، فأولوه تأويلاً باطلاً بعيداً كل بعد عما يدل عليه مفهوم النص ، ويرى الرازي أن هذا الرأي هو الأصح .

اهتم علماء الأديان ، والباحثون في علوم اللاهوت ، بدراسة الكتب المقدسة تاريخياً ومنهجياً ، ومن أهم النتائج ، التي توصل إليها بعضهم ، الشك في نسبة التوراة إلى موسى ﷺ ، إما لتأخر تدوينها عن عصره ، أو للمعلومات الخاطئة والصور الموهوزة ، التي يشتمل عليها النص ، الموجود بين أيدينا ، وكتب في ذلك كثير من علماء المسلمين (راجع : رحمة الله المهندي جـ ١ ص ٢١٧ - ٣٣٦) ، ورجال اللاهوت المسيحيين واليهود ، والمقام يحتم علينا الإستشهاد بما قاله غير المسلمين ، فهو أبلغ في الدلالة ، وأوقع في نفس السامع ، فاخترنا مقولة فليسوف يهودى ، درس علم اللاهوت ، وعلم الكلام ، بجانب دراسته الفلسفية ، ألا وهو "سينوزا" .

يرى " سينوزا " : أن الجميع - تقريباً - يعتقدون أن موسى قام بتدوين الأسفار الخمسة - أى التوراة - الموجودة بين أيدينا ، " بل إن الفريسيين أيدوا هذا الرأي بإصرار شديد ، حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين ، ولهذا السبب ، فإن ابن عزرا - (هو إبراهيم بن عزرا ولد سنة ١٠٩٢ أو سنة ١٠٩٣ وتوفى في غرناطة سنة ١١٦٧ وهو عالم وشاعر ، يبدو أنه أول شارح للتوراة ، شك في نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى) (S. Nolle S. 20) - لم يجرؤ على الإفصاح عن ذلك صراحة ، واكتفى بالإشارة إليه ، بألفاظ مبهمة ، أما أنا - أى سينوزا - فلن أخشى توضيحها ، وإظهار الحق ناصحاً . هذه هي أقوال ابن عزرا في شرحه على "التثنية" .

- فيما وراء نهر الأردن . الخ

- لو كنت تعرف سر الإثنى عشرة ...

- كتب موسى شريعته أيضاً ...

- وكان الكنعاني على الأرض ...

- سيوحى به على جبل الله ...

- ها هو ذا سريره ، سرير من حديد .

- حينئذ تعرف الحقيقة .

هذه الكلمات القليلة بيبين ، ويثبت في الوقت ذاته ، أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل إن مؤلفها شخص آخر ، عاش بعده بزمان طويل ، وأن موسى كتب سفرًا مختلفًا ، ولليبهة على ذلك يذكر :

١- أن موسى لم يكتب مقدمة التثنية ، لأنه لم يعبر لهر الأردن .

٢- نقش سفر موسى كله بوضوح تام ، على حافة مذبح واحد (انظر التثنية ، يشوع ٨ : ٣٢) ، يتكون من اثني عشر حجراً ، حسب عدد الأحبار ، وينتج عن ذلك أن سفر موسى ، كان في حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة ، وهذا ما يقصد إليه المؤلف بقوله : " سر الإثني عشرة .. " .

٣- كذلك ذكر ، أنه قد ورد في التثنية (٣١ : ٩) : " وقد كتب موسى هذه التوراة "

وبستحيل أن يكون موسى ، قد قال ذلك ، بل لابد أن يكون قائلها كاتب آخر ، يروي أقوال موسى وأعماله .

٤- يذكر هذا النص من التكوين (١٢ : ١) ، وفيه يقص الراوى رحلة إبراهيم ، في بلاد الكنعانيين ، ويضيف :

" والكنعانيون حينئذ في الأرض ."

وهذا يدل بوضوح على أن الأمر لم يعد كذلك ، عندما كان يكتب ، فلا بد أن هذه الكلمات ، قد كتبت بعد موت موسى ، وبعد أن طرد الكنعانيون ولم يعودوا يشغلون هذه المناطق .. لأن الكنعانيين في زمان موسى ، كانوا لا يزالون يملكون هذه الأرض .

٥- يذكر أنه جاء في التكوين (٢٢ : ١٤) : أن جبل موريا ، سمي جبل الله .

ولم يحمل هذا الاسم ، إلا بعد الشروع في بناء المعبد ، وهذا الاختيار متأخر عن موسى في الزمان ، والواقع أن موسى لا يشير إلى أى مكان اختاره الله ، بل إنه تنبأ ، بأن الله سيختار بعد ذلك مكاناً ، سيطلق عليه اسم الله .

٦- وأخيراً يذكر أن التثنية " الإصحاح ٣ " تدخل بعض الكلمات في الرواية الخاصة بعوج ملك باشان :

" ولقد بقى عوج ملك باشان وحده ، من بين المعالقة الآخرين ، وها هو سريره ، سرير من حديد ، هذا السرير الذى طوله ، تسعة أذرع ، الموجود في الربة عند أطفال آمون ... " إلخ .

هذه الإضافة تدل بوضوح تام ، على أن من كتب هذه الأسفار ، عاش بعد موسى بمدة طويلة ، طريقته في الحديث عن الأشياء ، طريقة مؤلف يروى قصصاً قديمة جداً ، ويذكر بعض الآثار التي ما زالت باقية من هذا الزمن البعيد ،

ليجعل كلامه موثقاً به ، وفضلاً عن ذلك فلا شك أنه لم يعثر على السرير الحديدى إلا في عصر داود الذى استولى على الربة ، كما يروى صموئيل الثانى (١٢ : ٢٩) ... وهكذا شرحنا فكر ابن عزرا ، وكذلك نصوص الأسفار الخمسة ، التى ذكرها ، لكي يثبت فكره هذا ، ولكن يبدو أنه فاته ، أن يذكر أهم الأمور ، إذ يمكن إبداء ملاحظات أخرى متعددة أكثر خطورة على الأسفار ، فمثلاً :

١- لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب ، وإنما يعطى عنه شهادات عديدة مثل :

تحدث الله مع موسى ، كان الله مع موسى وجهاً لوجه ، كان موسى رجلاً حليماً جداً ، أكثر من جميع الناس (العدد ١٢ : ٣) ، فسخط موسى على وكلاء الجيش (العدد ٣١ : ١٤) ، موسى رجل الله (التثنية ١٣ ، ١) لقد مات موسى خدام الله ، ولم يبق من بعد نبي في إسرائيل كموسى . وعلى العكس ، يتحدث موسى ، ويقص أفعاله بضمير المتكلم في التثنية ، التى كتبت فيها الشريعة ، التى شرحها موسى للشعب ، التى كتبها بنفسه ، فيقول :

كلمنى الرب (التثنية ٢ : ١ ، ١٧ إلخ) ورجوت الرب ... إلخ .

إلا في آخر السفر ، حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ، ويحكى فيه روايته ، كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة التى شرحها كتابة ، ثم أعطاهم تحذيراً أخيراً ، وبعد ذلك انتهت حياته .

كل ذلك - أعنى طريقة الكلام ، والشواهد ، وبمجموع نصوص القصة كلها - يدعو إلى الاعتقاد : بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار ، بل كتبها شخص آخر .

٢- يجب أن نذكر أيضاً ، أن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى ، ودفنه ، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين ، بل تروى أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء ، إذا قورن بالأنبياء ، الذين عاشوا بعده :

" ولم يبق من بعد نبي في إسرائيل كموسى ، الذى عرفه الرب ، وجهاً لوجه " (التثنية ٣٤ : ١٠)

هذه شهادة لم يكن من الممكن ، أن يدلى بها موسى نفسه ، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ، لا سيما أن المؤرخ قد استعمل صيغة الفعل الماضى : " ولم يبق من بعد نبي في إسرائيل " .

ويقول عن القبر : " ولم يعرف أحد قبره ، إلى يومنا هذا " . (التثنية ٣٤ : ٦)

٣- يجب أن نذكر أيضاً ، أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء ، التى عرفت بها في زمن موسى ، بل أطلقت عليها أسماء ، عرفت بعده بها بوقت طويل :

إذ يقال : إن إبراهيم تابع أعداءه حتى دان . (أنظر ، التكوين ، ١٤ : ١٤)

وهو اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة . (إنظر ، القضاة ١٨ : ٢٩)

٤- تمتد الروايات في بعض الأحيان ، إلى ما بعد موت يشوع ، فيروى في الخروج (١٦ : ٣٥) أن بني إسرائيل ، أكلوا المن أربعين يوماً ، حتى وصلوا إلى أرض مسكونة ، على حدود بلاد كنعان ، أى حتى اللحظة التي يتحدث عنها سفر يشوع .

وكذلك يخبرنا سفر التكوين (١٦ : ٣١) :

" وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم ، قبل أن يملك ملك في بني إسرائيل " .

ولا شك أن المورخ يتحدث عن الملوك ، الذين كانوا يحكمون الأدوميين ، قبل أن يخضعهم داود لحكمه ، ويضع حاميات ضدهم في أدوميا (انظر ، صموئيل الثاني ٨ : ١٤) .
من هذه الملاحظات كلها ، يبدو واضحاً وضوح النهار :

أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة ، بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة . ولكن لتبحث ، إن شئت بمزيد من الدقة في الأسفار ، التي كتبها موسى نفسه ، والمذكورة في الأسفار الخمسة .

فمن الثابت في "الخروج" (١٧ : ١٤) :

أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق ، ولا يقول لنا هذا الإصحاح نفسه ، أى سفر كتب ؟ بل ترد في "العدد" (٢١ : ١٤) إشارة إلى سفر يسمى "حروب الرب" ، يحتوي ولا شك على قصة الحرب ضد عماليق ، وعلى كل أعمال إقامة المعسكرات (التي يشهد مؤلف الأسفار الخمسة في "العدد" (٢٣ : ٢) بأن موسى قد عرضها كتابة) .

كما جاء في "الخروج" (٢١ : ١٤) : أن هناك سفرأ آخر ، يعرف باسم : " سفر العهد " : قرأه موسى أمام الإسرائيليين ، عندما عقدوا عهداً مع الله .

ولا يحتوي هذا السفر ، أو هذه الرسالة إلا على أشياء قليلة ، أى أنه لا يحتوي إلا على شرائع الله ، ووصاياہ ، الموجودة في "الخروج" في الإصحاح ٢٠ الآية ٢٢ حتى الإصحاح ٢٤ .

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الإصحاح المذكور بشئ من الفهم السليم ، ودون تحيز ، ففيه يرى أنه بمجرد أن عرف موسى رأى الشعب في العهد المبرم مع الله ، كتب على التور كلمات الله ووصاياہ ، ثم قرأ أمام الجميع العام للشعب شروط العهد في الصباح ، بعد إقامة بعض الطقوس ، وبعد هذه القراءة ، دخل الشعب في هذا العهد ، بمحض رضاه ، بعد أن عرف الناس كلهم ، بلا شك هذه الشروط .

ونظراً إلى ضيق الوقت ، الذي استغرقته كتابة العهد المبرم ، وكذلك نظراً إلى طبيعة هذا العهد ، كان حتماً ألا
يحتوى هذا السفر ، أكثر مما قلته الآن .
وأخيراً فمن الثابت:

أن موسى قد شرح جميع الشرائع ، التي سنّها في السنة الأربعين ، بعد الخروج من مصر (انظر التثنية ١ : ٥) .
وأخذ من الشعب وعداً جديداً ، بأن يظلّوا خاضعين لهذه الشرائع (انظر التثنية ٢٩ : ١٤) .
ثم كتب سراً يحتوي على هذه الشرائع ، التي تشرح هذا العهد الجديد (انظر التثنية ٣١ : ٩) وقد سمى هذا
السفر : " توراثة الله " .

وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة ، رواية العهد ، الذي قطعه الشعب على نفسه من جديد في أيامه ،
وهو ثالث عهد ، يقيمونه مع الله (انظر يشوع ٢٤ : ٢٥ - ٢٦) .

ولما لم يكن لدينا أى سفر يحتوي في الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع ، فيجب أن نعتزف ضرورة ،
بأن هذا السفر قد فقد . (سينوزا ص ٢٦٦ وما بعدها)

يتساءل المرء - بعد أن تظهر أمامه هذه الحقيقة - عن السبب في أن القرآن الكريم ، أشار إلى ذلك إشارات خفيفة!
لماذا لم يكشف الأخطاء في التوراة ، فيهاجمها بأسلوب واضح لا يحتمل التأويل ؟
والجواب : أن أسلوب القرآن الكريم ، في معالجة أخطاء التوراة ، يدل على أنه ليس من أعمال البشر ، بل هو منزل
من عند الله ، الذي يعلم دقائق الأمور ، وأسرار الطبائع البشرية ، ذلك أنه لو أعلن مهاجمته للتوراة سافرة ، لكان ذلك
أشبه بالمهاترات ، التي تنقادها الطوائف المتنازعة ، إذ يلقي كل التهمة على الآخر ، تحت تأثير العواطف النائرة ، وغالباً
ما يكون هذا الأسلوب بعيداً عن الإطار العلمي - حسب التعبير الحديث - وخارجاً عن دائرة التفكير العقلي ، ولهذا
ركز القرآن على ناحيتين هامتين :

(١) وحدانية الله ، فقد وضع هذه المسألة وضوحاً لا لبس ، ولا غموض فيه ، بل وصل به الأمر أحياناً ، إلى
التهديد الشديد ، والوعيد لمن يشرك بالله ، واستعمل في ذلك أبلغ العبارات ، وأوضحها :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
(المائدة : ١٧)

[حقيقة ما يظهر على يد رهبانهم من خوارق العادات]

فلو أنك تطالع جميع كتبنا ، وما كان لنا من الفضائل - وحتى إلى الآن ، فإن^(١) منا أقواماً صالحين ، يوعون الآيات والبراهين ، ولكنهم لا يظهرونها ، إلا في وقت الحاجة إليها ، ولو

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
(المائدة : ٧٣)

(ب) إثبات أن عمداً رسول الله ، يتلقى الوحي من السماء :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾
(النساء : ١٧٠)

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ قَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٨)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِذَا إِنَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (٤)

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾
(الفرقان : ٤ - ٦)

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء : ٨٢)

فإذا نجحت الدعوة ، في إقناع الفرد ، بأن الله واحد ، وأن محمداً رسول الله ، فاعتقد الإنسان ، أن القرآن وحى من الله ، لم يعد للتوراة - ولا لغيرها - وجود ، إذ تحمل التشريعات القرآنية مكانها ، ويتخذها الفرد منهجاً له في سلوكه ، ويقرها المجتمع قانوناً ، ينظم شئون حياته كلها ، وحينئذ تصيح قضية التوراة عديمة الأهمية ، ويستوى ثبوت التحريف ، وعدم ثبوته ، إذ هو يتعلق بشئ ، لم يعد سارى المفعول في المجتمع الذي آمن :

- بوحدانية الله .

- وبأن محمداً ﷺ ، أرسل إلى الناس جميعاً ، وبالقرآن وحياً متزلاً من الله عليه .

(١) في ع : " فإنه " .

شاهدت نزول النور الذي يأتينا في كل سنة ، في ليلة عيدنا الكبير (...)^(١) ، لرأيت أمراً عجباً وشيئاً غريباً^(٢).

(١) زاد في ع : " أو يد الله التي كانت تظهر لنا في كنيسة لنا في الأندلس " .

(٢) أظهر الله على يد عيسى عليه السلام ، معجزة إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ، والأبرص ، تأييداً له ، وبياناً لمن بعث فيهم ، بأنه رسول من عند الله ، ولم يحدنا القرآن الكريم عن رسول أحياء الموتى - مخالفاً بذلك سنن الله في خلقه - إلا عيسى عليه السلام ، فهي منحة من الله أعطاها له ، لحكمة لا ندرک کنهها ، وإن عللها علماء الأديان بعلم شئ .

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)

تلك كانت آية عيسى وحده ، دون غيره من الأنبياء ، فإذا لم يعطها الله لأحد منهم ، فأولى به ألا يعطيها لمن هم دون الأنبياء ، إذ لا فائدة فيها .

لكن يبدو أن طبيعة هذه المعجزة - أعني إحياء الموتى - أثرت على عقلية أتباع المسيح ، كما أثرت عليها ، ما قصة اليهود من المعجزات التي أبدىهم الله بها ، فقد حاولوا - أى اليهود - ، أن يبينوا بذلك ، أن الطبيعة كلها مسيرة لمصلحتهم وحدهم ، بأمر من الإله الذي يعبدونه ، وذلك حتى يقنعوا المعاصرين لهم من غير اليهود ، الذين يعبدون آلهة منظورة كالشمس والنور والأرض والماء والهواء ... الخ ، وحتى يبينوا لهم ضعف هذه الآلهة ، وتقلبها ، أى تغيرها وخضوعها لإله غير منظور ، وقد سر الناس بذلك ، إلى حد أنهم ما زالوا حتى اليوم يصطنعوا معجزات بخيالهم ، حتى يعتقد الآخرون ، أن الله قد فضلهم على الآخرين .

أثر هذه كله على رجال اللاهوت المسيحيين ، فاعتقدوا أنهم قادرون على الإتيان بخوارق العادات ، مستندين إلى ما ورد في الإنجيل : " فالحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شئ غير ممكن لديكم " .

" لأني الحق أقول لكم : إن من قال لهذا الجبل : انتقل وانطرح في البحر ، ولا يشك في قلبه ، بل يؤمن أن ما يقوله يكون ، فمهما قال يكون له " .

ثم تمادى الرهبان في الإغراق في هذه الناحية ، فزعموا أن الله فضلهم على الآخرين ، بإظهار خوارق العادات على أيديهم ، وشاع ذلك عنهم ، حتى طغى هذا الجانب على غيره ، وأصبحت هذه الظاهرة أمراً ملازماً للدين المسيحي ، وطبيعة خاصة لدى من يقومون بالطقوس الدينية .

شاع هذا بين العامة - حتى صدقتها أيضاً عدد غير قليل من المسلمين - ، لأنهم عاجزون فكرباً ، عن التفريق بين الحقيقة والإدعاء ، ويميلون - بقطرهم البدائية - إلى تصديق الخرافات .

[الشبهة الثامنة]

وأنتم تقولون : إن في الجنة أكلاً وشرباً ونكاحاً ، وجميع ذلك عندكم في الكتاب^(١) الذي جاء به صاحب شريعتكم^(٢)

لكن المحققين استطاعوا التوصل إلى ما يكمن وراء هذه الأعمال ، التي ادعى القسيسون أنها معجزات ، أظهرها الله على أيديهم ، دليلاً على صدقهم واتباعهم طريق الحق .

زعموا أن لديهم جداراً يبكي ، إذا تلى الإنجيل أمامه ، ويوهون العامة ، أنه يبكي لما يعلمه من أمر الإنجيل .
وحقيقة الأمر ، أن في جوفه جدار في غاية الدقة متصلة بزق مملوء ماء يعصره بعض الشماسة ، فيخرج الماء من الجارى ، ويتصل بالمنافذ التي رسموها على هيئة عيون ، فتسيل " دموعاً " ، فيراها الخاص العام . ومن لا يعرف سرها وعنده استعداد التصديق بمثل هذه الخوارق يعتقد أنها معجزة ، تدل على أن الأناجيل التي بأيديهم صحيحة .
وشبهه بذلك تلك الأصنام التي كانوا يصنعونها ، على هيئة امرأة يخرج اللبن من أندانها عند قراءة الإنجيل أمامها .
أما حقيقة النور ، الذي يروونه في بيت المقدس ليلة عيدهم ، فليس إلا إحدى الحيل ، التي برعوا فيها ، بينها المؤلف في رده كما بين حقيقة " يد الله " التي تمتد لهم في يوم معلوم من السنة .

(١) في ج : " وجميع ذلك عندكم هو مكتوب في الكتاب " وفي ع : " وجميع ذلك هو عندكم مكتوب في الكتاب " .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ هُمْ وَأزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَابِكِ مُتَكِينُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾

(يس : ٥٥ - ٥٧)

وقوله :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾

(جمد : ١٥)

وقوله :

﴿ فِي جَنَّاتِ التَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَئِينَ (١٣) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ (١٤) مُتَكِينِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٥) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٦) بِأَكْوَابٍ وَأَنْبَارٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٧) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ

ونحن ننكر جميع ذلك^(١) ، ولا يمكن بوجه من الوجوه [وقوعه] عندنا ، ذلك أننا^(٢) إذا حشرنا يوم القيامة ، حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ، ولكن لا نأكل [هناك] ولا نشرب^(٣)

(١٨) وَفَإِكْفَهٗٓ مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ (١٩) وَلَحْمٍ طَيِّبٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٠) وَخُورٍ عَيْنٍ (٢١) كَأَمْثَالِ اللَّوْؤِ الْمَكْنُونِ (٢٢)
(الروامة : ١٢-٢٤)

(١) استناداً إلى ما جاء في الإنجيل : " وجاء إليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة وسألوه قائلين : يا معلم ، كتب لنا موسى : إن مات لأحد أخ وترك امرأة ولم يخلف أولاداً أن يأخذ أخوه امرأته ويقوم نسله لأخيه ، فكان سبعة إخوة ، أخذ الأول امرأة ومات ولم يترك نسله ، فأخذها الثاني ومات ولم يترك نسله ، وهكذا الثالث . فأخذها السبعة ولم يتركوا نسله ، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً ، ففي القيامة متى قاموا ، لمن منهم تكون زوجة ؟ لأنها كانت زوجة للسبعة . فأجاب يسوع وقال لهم : أليس لهذا تضلون ، إذ لا تعرفون الكتب ولا قسوة الله ، لأنهم متى قاموا من الأموات لا يُزَوَّجون ، ولا يُزَوَّجون ، بل يكونون كمالحكة في السموات ."
(مرقس ١٢ : ١٨ - ٢٥)

(٢) في ج : ت : " وذلك إلا أنا " .

(٣) لم يرد في التوراة (الموجودة بين أدينا) ذكر للدار الآخرة ، فلم توعد اليهود بشئ مقابل طاعتهم ، إلا باستمرار دولتهم ، التي يسعدون بها ، وبتعمير الدنيا ، وفي مقابل ذلك فلما أنذرهم بسقوط الدولة ، وبأفدح المصائب ، لو أنهم عصوا الميثاق وتقضوه .

وكما أن غاية كل مجتمع ، وكل دولة ، هي العيش في أمن ، والحصول على مزايا معينة ، فإن الوعود ، التي نجدتها في التوراة - مقابل المحافظة على الشريعة - لم تكن سوى الأمن في الحياة ، والنعم المادية ، وعلى العكس من ذلك ، فلم يتنبأ لهم بعذاب أكيد مقابل عصيانهم سوى الهيار الدولة ، وما ينتج عن ذلك من الشرور عادة ، وكذلك بعض المصائب التي تحمل هم خاصة ، وذلك نتيجة لإهيار دولتهم .

فإذا نظرنا في العقوبات ، والمكافآت التي تحدثت عنها التوراة ، نجد أنها تتعلق بأشياء مادية ، وبنالها المرء - سواء أكانت عقوبة أو جزاء - في الحياة الدنيا ، فحين توجه الله سبحانه ، إلى الأسرة الإنسانية الأولى ، بشأن الفاكهة المحرمة ، قال : " وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلوا منه ولا تمسوا ، لتلا تموتاً " (تكوين ٣ : ٣)

وحين خاطب ولدها الأكبر قابيل ، قاتل أخيه هابيل : قال " فالآن ملعون أنت من الأرض التي لتحت باها ، لتقبل دم أخيك من يدك ، متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها " .
(تكوين ٤ : ١١ - ١٢)

وعندما فسدت الأرض بعد ذلك بحين من الدهر ، فعوقبت بالطوفان ، بارك الله نوحاً وبنيه ، فقال : " ائمسروا ،
وأكثروا ، واملأوا الأرض " .
(تكوين ٩ : ١)

وقبل إذعان إبراهيم ، للإرادة الإلهية ، حيث أطاع الله فهِمَّ بذبح ابنه ، بورك بالخيرات الأرضية ، على سبيل
الثواب : " بذاتي أقسمت يقول الرب ، إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيندك أباركك
مباركة ، أكثر نسلك كثيراً كنجوم السماء ، كالرمل الذى على شاطئ البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه " .
(تكوين ٢٢ : ١٦ - ١٧)

منذ ذلك الحين أصبحت هذه الأفكار مألوفة لدى ذرية إبراهيم ، فهى تعد صيغة السلام والمباركة ، فإن إسحاق
يبارك يعقوب بهذه الكلمات :

" فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخبز ، وليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك
قبائل " .
(تكوين ٢٧ : ٨ - ٩)

ويقول الرب أيضاً لإسرائيل (يعقوب) : " اثمر ، وأكثر ، أمة ، وجماعة أمم تكون منك ، وملوك سيخرجون من
صلبك ، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها ، ولنسلك من بعدك أعطى الأرض " .
(تكوين ٣٥ : ١١ - ١٢)

إذا وصلنا إلى موسى ، وجدناه ، يركز على تنمية نفس المدف ، ليعظ أبناء إسرائيل ، وهو ينقل إليهم الدعوة
الإلهية ، ليحملهم على الإيمان بما :

" وتعبدون الرب إلهكم ، فيبارك خبزك ، وماءك ، وأزبل المرض من بينكم لا تكون مسقطة ولا عاقر في
أرضك ، وأكمل عدد أيامك ، أرسل هيبتي أمامك ، وأزعج جميع الشعوب الذين تاتى عليهم ، وأعطيك جميع
أعدائك مدبرين ، وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحوَّيين والكنعانيين ، والحِيثِيِّين من أمامك ، لا أطردهم من
أمامك ، في سنة واحدة ، لنلا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية ، قليلاً أطردهم من أمامك إلى أن تثمر
وتغلك الأرض... " .
(خروج ٢٣ : ٢٥ - ٣٠)

ويقول الرب لهم في موضع آخر : " إذا سلكتكم في فرائضى ، وحفظتم وصاياى ، وعملتم بهم ، أعطى مطركم
في حينه ، وتعطى الأرض غلتها وتعطى أشجار الحقل أثمارها ، ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع ،
فتأكلون خبزكم للشبع ، وتسكنون في أرضكم آمنين ، وأجعل سلاماً في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم ، وأبهد
الوحوش الرديئة من الأرض ، ولا يعبر سيف في أرضكم ، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف ، يطرد
خسة منكم مئة ، ومئة منكم يطردون ربوة ، ويسقط أعداؤكم أمامكم بالسيف ، والنفتست إليكم ، وأئمسركم ،

وأكثركم وأق ميثاقى معكم فتأكلون العتيق المعتن وتخرجون العتيق من وجه الجديد ، وأجعل مسكنى فى وسطكم ، ولا تزدلكم نفسى وأسير بينكم ، وأكون لكم إلهاً ، وأنتم تكونون لى شعباً ، أنا الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر ، من كونكم لهم عبيداً ، وقطع قيود نيركم وسيركم قياماً ، لكن إن لم تسمعوا لى ولم تعلموا كل هذه الوصايا ، وإن رفضتم فرائضى ، وكرهت أنفسكم أحكامى ، فما عملتم كل وصاياى ، بل نكتمت ميثاقى ، فإن أعمل هذه بكم أسلط عليكم رعباً ، وسلاً وحى تفتى العينين ، وتلف النفس ، وتزرعون باطلاً زرعكم ، فيأكله أعداؤكم ، وأجعل وجهى ضدكم ، فتنهزمون أمام أعدائكم ، ويتسلط عليكم مبعوضكم ، وتربون وليس من يطردكم ."

(لايين ٢٦ : ٣-١٧)

ويقول فى مرضع آخر : " ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام ، وتحفظون ، وتعملونها ، يحفظ لك الرب إلهك العهد ، والإحسان اللذين أقسم لآبائك ويحك وبيارك ، ويكثرك وبيارك ثمرة بطنك ، وثمره أرضك ، قمحك ، وخرقك ، وزيتك ونتاج بقرك ، وإنات غنمك ، على الأرض التى أقسم لآبائك أنه يعطيك إياها ، مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ، ولا فى بهائمك ، ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة ، التى عرفتها ، لا يضعها عليك ، بل يجعلها على مبغضيك ، وتأكل كل الشعوب ، اللذين الرب إلهك يدفع إليك ."

(تثية ٧ : ١٢-١٦ وأنظر كذلك الإصحاح الحادى عشر : ١٣ وما بعدها)

فهى فكرة واحدة ، استولت على عقلية بنى إسرائيل :

عقاب وصورته : قحط ، هلاك ، ذلة ، عار ، استعباد الأعداء لهم ، وجزاء ، وصورته : زيادة فى غلة الأرض وثمارها ، ووفرة فى نتاج البهائم ، وزيادة فى نسلهم ، ونصر على أعدائهم .

ولا تتحدث التوراة عن ثواب أو عقاب فى الدار الآخرة ، بل لم يرد لها ذكر على الإطلاق ، والمسكن الذى ورد فى قول موسى : " ترشد برأفتك الشعب الذى قديته ، قديته بقوتك ، إلى مسكن قدسك . " (الخروج ١٥ : ١٣)

فليس المراد به جنة فى الدار الآخرة ، بل هى الأرض الموعودة وراء نهر الأردن ، وهى بلد الكنعانيين . يؤيد ذلك ما جاء فى فقرة أخرى : " بل المكان الذى يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه ، فيه سكناه ، تطلبون ، وإلى هناك تأتون ، وتقدمون إلى هناك محرقاتكم ، وذبائحكم ، وعشوركم ، ورفائع أيديكم ، ونذورك ، ونوافلكم ، وأبكار بقركم وغنمكم ."

(تثية ١٢ : ٥-٦)

وهكذا لا نصادف ، منذ آدم ، حتى موسى ، إلى آخر عهده ، أية إشارة ، فى أى مكان ، إلى حياة بعد الموت ، كأننا لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان فى أديانهم .

غير أن القرآن الكريم يحدثنا أن موسى - وكذلك إبراهيم - ذكر لهم الدار الآخرة ، وأنبأهم بالبعث بعد الموت
فإبراهيم يدعو الله قائلاً ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (الشعراء : ٨٧)

وموسى يتوسل إلى الله قائلاً : ﴿ وَارْتُكِبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ ﴾

(الأعراف : ١٥٦)

كذلك أنذرهم الله بيوم الآخرة ، حيث لا ينفع المرء إلا ما قدمت يده في هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى مخاطباً بني
اسرائيل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة : ٤٨)

لم يرد في التوراة الموجودة بين أيدينا ، ذكر لهذه المعاني ، التي تحدث بها القرآن عن لسان أنبيائهم ، لأنها ليست
توراة موسى ، بل ألفتها رجل آخر عاش في عصر متأخر عن موسى بزمن بعيد - كما سبق بيان ذلك - ، عصر كان
اليهود فيه أذلاء ، مستعبدين ، يتوقون إلى الحرية ، ويحلمون بالثروة ، ويتمنون اليوم الذي يستطيعون فيه الانتقام من
أعدائهم ، الذين يسومونهم سوء العذاب ، فعبر الكاتب عن آمالهم ، وآلامهم ، وخطيئتها بالإنكار ، والقصص الدينية ،
التي كانت تتناقلها الأفواه آنذاك ، فجاءت على هذه الحالة ، خالية من الإشارة إلى الدار الآخرة ، لأن ظروفهم
الإجتماعية ، والسياسية كانت قاسية عليهم ، فلم يكونوا يفكرون إلا في الخلاص من المآسى المحدقة بهم .

وإذا تصفحنا الأسفار التي عاش " مؤلفها " بعد فترة الأسر ، حيث اتصل اليهود بالإيرانيين ، أتباع زرادشت ، نجد
فيها إشارات إلى الحياة الأخرى ، بما فيها من ثواب وعقاب . (انظر أشعيا إصحاح ٤٠ : ٦٦ ، و حزقيال إصحاح ٤٦ : ٤٨)
ولعل أوضحها ما جاء في سفر دانيال : " وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة
الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدية " .
(دانيال ١٢ : ٢-٣)

أما العهد الجديد ، فقد اشتمل على نصوص عديدة ، تشير إلى الجزاء الأخرى ، فإذا قلبنا صفحاته ، فلسوف
نستمع إلى نغمة جديدة كل الجدة ، لم توجد في العهد القديم ، هنا يحس القارئ بأنه انتقل من طرف ، إلى أقصى طرف
مقابل له .

نجد فكرة دينية ، تدعو إلى أن صلاتنا بالعالم الراهن ، بكل ما فيها من غنى ، وعظمة سوف تنقطع ، فهي بالنسبة
إلينا قيود ، ينبغي أن نتحرر منها ، نظرانا لا تعود مثبتة على الأرض ، تنتظر الثمار ، والزرع ، بل إنها دائماً موجهة إلى
السماء قال المسيح لأحد المؤمنين الجدد : " إن أردت أن تكون كاملاً ، فاذهب ، وبع أملاكك ، واعط الفقراء فيكون
لك كثر في السماء ، وتعال اتبعني " .
(متى ١٩ : ٢١ ومرقص ١٠ : ٢٤)

وقال لتلاميذه : " فلا تطلبوا أتم ما تأكلون ، وما تشربون ، ولا تقلقوا ، فإن هذه كلها تطلبها أمم العالم ، وأما أنتم ، فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه ، بل اطلبوا ملكوت الله ، وهذه كلها تزداد لكم ، لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت ، بيعوا مالكم ، وأعطوا صدقة ، إعملوا لكم أكياساً لا تفسد ، وكراً لا ينفد في السموات ، حيث لا يقرب سارق ، ولا يبلى سوس لأنه حيث يكون كركم هناك ، يكون قلبكم أيضاً".
(لوقا ١٢ : ٢٩ - ٣٤)

هذه التعاليم دائماً ، قدمها كذلك تلاميذ المسيح في وعظهم ، وفي رسائلهم إلى الذين دعواهم إلى التمسك بالمسيحية ديناً ، كتب " بولس " في رسالته إلى " تيموثاوس " : " أوص الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ، ولا يلقوا رجاءهم على يقينية الفنى ، بل على الله الحي ، الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع ، وأن يصنعوا صلاحاً ، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع ، مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل ، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية ".
(رسالة بولس الأولى إلى " تيموثاوس " ٦ : ١٧ - ١٩)

وقال بولس : " لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التي في العالم ، إن أحب أحد العالم ، فليست فيه محبة الآب ، لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون ، وتعظيم المعيشة ليس من الآب ، بل من العالم ، والعالم يمضى وشهوته ، وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد ، أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة ... وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به الحياة الأبدية ".
(رسالة بولس الأولى ٢ : ١٥ - ٢٥)

وهكذا نجد أن الإنجيل يجعل أمل المؤمنين دائماً هو الجزاء في الآخرة ، في حياة ما بعد الموت ، على العكس من العهد القديم الذى ركز على تحقيق ما بعد المؤمنين به من ثواب وما ينذرهم من عقاب في الحياة الدنيا ، ولا نجد هذا الاتجاه في الإنجيل إلا في مواضع قليلة :

- ١- في فقرة واحدة في الإنجيل حيث وعد المسيح بمكافأة مزدوجة في الحياة المقبلة ، وفي هذه الحياة (مرقس ١٠ : ٣) ، غير أن ذكر الجزاء الدنيوى في هذه النقطة لم يأت في إنجيل متى (إنظر متى ١٩ : ٢٩) .
- ٢- في فقرات متعددة عند " بولس " ، حيث وعد الأولاد المطيعين بالأعمار الطوال في رسالته إلى أهل " أفسس " ، الإصحاح السادس فقرة رقم ثلاثة ، كذلك وعد عامة الناس ، بأن يزيدهم الله كل نعمة " مادية " ، لكي يكونوا ولهم كل اكتفاء ، كل حين في كل شئ يزدادون ، في كل عمل صالح ، فيعطوا المساكين (رسالته الثانية إلى أهل " كورنثوس " ٩ : ٨-١١) وفي رسالته الأولى إلى أهل " كورنثوس " ١١ : ٢٩ - ٣٠ ، فسر كثرة الوقيات ، والعدد الكبير من المرضى والضعفاء بالإحلال لبعض الواجب الدينى .

أما منهج التعليم القرآني ، فيبين للناس صورة مركبة مزدوجة ، تستهدف الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى معاً ، وتعلن للإنسان بأن عليه أن يتقبل في كلتا الحياتين ، الثمن الأخلاقي ، والبدني ، والروحي ، لما قدمت يدها ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ففى الصالحين يقول سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة : ٢٠١ ، ثم اقرأ الآيات : ١٤٨ آل عمران ، ١٣٤ النساء ، ٥٦ ، ٥٧ يوسف ، ٣٠ ، ٤١ ، ٩٧ ، ١٢٢ النحل ، ٢٧ العنكبوت ، و ٣١ فصلت) . ويقول سبحانه في الطالحين : ﴿ أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : ٨٥ ، ثم اقرأ الآيات : ١١٤ البقرة ، ١٢ ، ٥٦ آل عمران ، ٤١ المائدة ، و ٧٤ التوبة ، و ٧٥ الإسراء ، و ٩ ، ١١ الحج ، و ١٩ ، ١١٠ البور ، و ٢١ السجدة ، و ٤٠ الزمر ، و ١٦ فصلت ، و ٢٥ نوح)

وليس المفهوم المادى للجزاء الأخرى إسلامى النوع ، بل هو عنصر مشترك بين جميع الأخلاق الدينية ، التي تعترف للناس بحياة أخرى ، سوف يجتمع فيها البدن والروح من جديد ، بعد أن يكونا قد انفصلا مؤقتاً بالموت ، يجتمعان ليتلقيا معاً ثواباً خالداً ، أو عقاباً أبدياً .

ولما كان المسيح قد تحدث عن حياة أخرى بعد الموت - على عكس ما جاء في العهد القديم - فالنسيحيون يعتقدون ، بأن الله سيثيب الإنسان على ما قدم من عمل صالح ، ويعاقبه على ما اقترف من سيئات ، وليس يلزم أن يكون ذلك في الدنيا ، فمن لم يبل ثوابه ، وكذلك من لم يعاقب على ما ارتكب في الدنيا ، سيأخذه لا محالة ينوم الحساب : " ... فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي ، والأبرار إلى حياة أبديّة " . (متى : ٢٥ : ٤٦)

غير أن علماء العقيدة المسيحية ، اختلفوا في كيفية الحياة في الدار الآخرة : فبعض يرى أنها ستكون بلا أكل ، ولا شرب ، ولا نكاح ، مستبدلين بما ورد في إنجيل مرقس ١٢ : ١٨ - ٢٥ ، وعليه فلن يكون نبات ، ولا حيوان ، إذ خلقهما الله في الدنيا ، لسد احتياج الإنسان ، فلما انتفت الحاجة ، لزم عدم إعادة خلقهما ، ويولون ما يفيد ذلك .

ويرى جمهورهم أن الحياة الأخرى ، ستكون مثل الحياة الدنيا فيها أكل ، وشرب ، ونكاح ... إلخ وهندسة القاعدة العامة لدى الكنيسة ، إذ يعلم آباء الكنيسة وبقاؤها أتباعهم عقيدة بعث الجسد ، وعقيدة اشتراكه مع الروح في الجزاء ، وهما عقيدتان قائمتان على أساس متين من تعاليم السيد المسيح ، والدعاة ، فقد قال يسوع لحوارييه : " ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا ، بل يخافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم " . (متى : ١٠ : ٢٨)

وقال أيضاً : " يرسل ابن الإنسان ملائكته ليجمعون من ملكوته جميع المعثر ، وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم في أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " . (متى : ١٣ : ٤١ - ٤٢)

وكتيراً ما صور جهنم على أنها : " ... إلى النار التي لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت ، والنار لا تطفأ " .

(مرس ٩: ٤٣ - ٤٤ ، ٤٨)

ويصرح الفتي الحبيث ، الذى كان يلبس الأرجون ، والبز مترفهاً ، ولم يكن يتصدق على المسكين " لعازر " حتى مات جوعاً ، بصرخ وهو فى عذاب جهنم قائلاً : " يا أبى إبراهيم ارحمنى ، وأرسل " لعازر " ليبل طرف إصبعه بماء ويرد لساني ، لأني معذب فى هذا اللهب " .

(لوقا ١٦ : ٢٤)

ونقرأ فى رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى : " وأما الخائفون ، وغير المؤمنين ، والرجسون ، والقاتلون ، والزناة ، والسحرة ، وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة ، فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت " . (٢١ : ٨)

وعلى الرغم من أن الكنيسة لم تقل شيئاً عن طبيعة النار ، فلما تقرر أنها نار واقعية ، لما سماها من اللهب ، والجمر والأوار الذى لا يخبث .. إلخ

ومع أن الإشارة إلى الجنة ، كانت أقل ترديداً فى العهد الجديد من موضوع النار ، فلما تحمل كثيراً طابع السعادة الحسية ، بجانب السعادة الروحية .

ولقد رأينا آنفاً توصلات الفتي الحبيث ، يلتبس قليلاً من الماء ليبل لسانه ، ولذلك يقرر يسوع فى أكثر العبارات صراحة وعموماً : " وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى ، وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر " .

(لوقا ٢٢ : ٢٩ - ٣٠)

وقال أيضاً للذى دعاه : " إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوانك ولا أقرباءك ، ولا الجيران الأغنياء ، لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة ، بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدد ، العرج ، العمى فيكون لك الطوبى ، إذ ليس لهم حتى يكافؤك لأنك تكافأ ، فى قيامه الأبرار " .

(لوقا ١٤ : ١٢ - ١٤)

وأكثر من ذلك تحديداً أيضاً قوله فى آخر اجتماع له مع حواريه : " وأقول لكم : إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم ، حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى " .

(متى ٢٦ : ٢٩ ، ومرس ١٤ : ٢٥ ، ولوقا ٢٢ : ١٨)

بيد أن الجانب الحسى من نعيم الجنة أكثر ظهوراً فى رؤيا القديس يوحنا : " من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله " .

(٢ : ٧)

" من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاء " .

(٣ : ٥)

" لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ولا شئ من الحر " .

(٧ : ١٦)

وهذا يتبين خطأ ما ذهب إليه القسيس من أن المسيحية تنكر النعيم المادى فى الحياة الآخرة .

[الشبهة التاسعة]

ودين الصليب فشا^(١) في الأرض دون سيف ولا قهر ، ودينكم إنما ظهر بالسيف ، والقهر في الأرض^(٢) . وقاتل صاحب شريعتكم الأمم وغلِبهم ، وكان سبباً في تغيير أمرنا وتكفيرنا ، وفي

(١) في ج : " فشاء " همزة .

(٢) هذا ما يردده أعداء الإسلام ، منذ بدء فترة الدفاع المسلح عن العقيدة إلى اليوم ، إذ ما زلنا نسمع من المستشرقين ، ومن يدور في فلِكَهم من ضعاف النفوس ، أن المسيحية تنكر القتال ، بينما دعا الإسلام إلى الحرب ، وإلى الجهاد في سبيل الله ، أي إلى إكراه الناس بالسيف على الدخول في الإسلام ، وهذا هو التعصب بعينه ، وغاب عن هؤلاء الحقائق التالية :

أولاً: نص القرآن الكريم في مواضع عدة ، على أنه لا إكراه في الدين ، يقول تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ . (البقرة : ٢٥٦)

ويقول :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(البقرة : ٢٥٦)

ويقول :

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾

(الكهف : ٢٩)

ويقول :

﴿ فَذَكَرْ إِلْمَا أَنْتَ مُدَكَّرٌ ^(٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَبِرٍ ﴾

(الغاشية : ٢١ ، ٢٢)

فالإسلام لا يميز لأحد - ولو كان النبي نفسه - أن يجبر إنساناً على الدخول في الإسلام .

لانياً : يمتاز الإنسان عن الحيوان ، بالقدرة على التفكير ، ومن خصائص هذا التفكير ، ميل الإنسان إلى الحرية في التعبير عن آرائه ، وفي اعتناق ما يراه موافقاً لطبيعته ، فإذا ما منع من هذا بقوة السلاح ، فإن من الطبيعي أن يدافع عن رأيه بالرسائل ، التي يقائله بها من يريدون كبت حريته ، فإن أراد أحد أن يفن آخر عن عقيدته ، مستعملاً الدعابة والمنطق ، دون اللجوء إلى حمله على ترك عقيدته بالقوة ، لم يكن للمؤمن أن يدافع عن عقيدته ، إلا بالحجة والمنطق ، أما إذا أُجبر بقوة السلاح ، لم يكن له من سبيل إلا حمل السلاح أيضاً ، للدفاع عن عقيدته ، لأنها أئمن شيء عند من يفهمون

معنى الإنسانية ، فهي أئمن من المال والجاه ، بل أعلى من الحياة نفسها ، وقد أدرك هذا المسلمون الأولون ، فدفعوا حينهم لنا للدفاع عن عقيدتهم ، وتلك سنة الله في خلقه .

(البقرة : ٢٥١)

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ

(الحج : ٤٠)

كَبِيرًا وَلَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

ولو لم يقاتل المسلمون لحكم عليهم التاريخ بأنهم أذلوا ، وأهينوا ، فرضوا بالذل ، والمهران ، وتلك سبة تآبها الطبيعة الإنسانية ، ولما كان الإسلام موافقاً - في تعاليمه وشرائعه - لهذه الطبيعة ، لم يرض لأتباعه أن يتصفوا بهذه النقيصة ، وعليه فلم يحمل المسلمون السلاح ، لإجبار أحد على الدخول في دينهم ، بل كان للدفاع عن أئمن شئ لديهم ، ألا وهو حرية ممارسة ما علمه عليهم عقيدتهم .

الثالث : يعقد أعداء الإسلام مقارنة بين محمد وعيسى عليهما السلام ، مدعين أن عيسى لم يقاتل أحداً ، بينما قاد محمد معارك كثيرة ضد من وقفوا في سبيل دعوته ، وينسى هؤلاء أن عيسى ^{عليه السلام} استمر ثلاث سنوات فقط يدعو إلى دينه بدون قتال ، ومكث محمد ثلاث عشرة سنة يتلقى أذى قريش ، دون أن يحمل السلاح ، فأى المدتين أطول ا

أضف إلى ذلك أن عيسى قال أثناء هذه المدة القصير : " ما جئت لألقى سلاماً بل سيقاً " . (مئ ١٠ - ٣٤)

بينما لم يذكر محمد في العهد المكي - وهو ثلاث عشرة سنة - شيئاً عن القتال ، فأيهما كان - بصرف النظر عن كون ما يتلقيانه وحيماً - أشد ميلاً إلى السلم !!

كان يمكن أن تكون المقارنة صحيحة ، لو أن عيسى استمر في دعوته مدة أطول من المدة التي مكنتها محمد في مكة داعياً إلى الله ولم يقاتل ، بينما قاتل محمد ا

فإذا تركنا العهد النبوي لكل منهما ، وتصفحنا تاريخ كلتا الديانتين ، لرأينا أن المسيحية لم تعرف سلاماً إطلاقاً ، بل حمل المسيحيون الناس حملاً على إعتاقها ، فمنذ فجر المسيحية إلى يومنا هذا ، خضبت أقطار الأرض جميعها بالدماء ، باسم السيد المسيح ، خضبتها الروم ، وخضبتها أمم أوروبا كلها .

والحروب الصليبية ، إنما أذكى لهيها المسيحيون ، لا المسلمون ، ولقد ظلت الجيوش باسم الصليب تنحدر من أوروبا مئات السنين ، قاصدة أقطار الشرق الإسلامية تقاتل . وتحارب ، وترقى الدماء ، وفي كل مرة كان البابوات ، خلفاء المسيح ، يباركون هذه الجيوش الزاحفة ، للاستيلاء على بيت المقدس ، وعلى الأماكن النصرانية المقدسة ، أفكجان هؤلاء البابوات جميعاً هراقة وكان مسيحيتهم زائفة ؟

أم كانوا أذعبا جهالاً ، لا يعرفون أن المسيحية تنكر القتال على إطلاقه ؟ أم يقولون : تلك كانت العصور الوسطى ، عصور الظلام ، فلا يحتاج على المسيحية بما ؟ إن يكن ذلك بعض ما قد يقولون ، فإن هذا القرن المتم للعشرين (وكذلك القرن الواحد والعشرين الذي يدعون أنه قرن انتشار الديمقراطية ، وحرية حقوق الإنسان) الذي نعيش فيه ، والذي يسمونه عصر الحضارة الإنسانية العليا ، قد رأى ما رأت تلك العصور المظلمة ، فقد وقف اللورد اللثبي ممثل الحلفاء (إنجلترا وفرنسا ، وإيطاليا ورومانيا وأمريكا) يقول في بيت المقدس ، في سنة ١٩١٨م ، حين استيلائه عليه في آخرهات الحرب العالمية الأولى : " اليوم انتهت الحروب الصليبية ". وفي هذا القرن تقتل جيوش "الحضارة الغربية" السكان الآمنين في أفغانستان والعراق وفلسطين وغيرها من بقاع العالم الإسلامي .

وإذا كان من بين المسيحيين قديسون أنكروا القتال في مختلف العصور ، وسما بذواتهم إلى الذروة من معنى الإخاء الإنسان ، بل من معنى الإخاء بين عناصر الكون كله ، فمن بين المسلمين كذلك قديسون شمت نفوسهم هذا السمو ، واتصلوا بكل الوجود اتصال إخاء وعجة وإشراق ، ملأ منهم النفوس بوحدة الوجود ، لكن هؤلاء القديسين من التصاري والمسلمين ، وإن صوروا المثل الأعلى ، لا يمثلون حياة الإنسانية أثناء تطورها الدائم ، وفي دأب جهادها إلى الكمال ، إلى الكمال الذي نحاول تصوره ، ثم يقعد بنا العقل ويقعد بنا الخيال ، دون شئ من الدقة في إدراكه ، وإن نحن جازفنا بتصويره تمهيداً لما نحاول من جهوده في سبيله ، وهذه أربع وتسعون وثلاثمائة وألف سنة قد انقضت منذ هجرة النبي العربي من مكة إلى يثرب (مضى الآن) في الطبعة الرابعة لهذا الكتاب " على ظهور الإسلام ثمانين وعشرون وأربعمائة وألف) ، والناس في مختلف العصور يزدادون في القتال اقتتاتاً ، وفي صنع آلاته الجهنمية المدمرة دقة وإتقاناً ، وما تزال كلمات نبد الحرب ، وإلغاء التسليح ، والتحكيم لا تزيد على ألها كلمات تقال في أعقاب كل حرب فملك الأمم ، أو على ألها دعايات تلقى في جو الحياة من أناس لم يستطيعوا حتى اليوم - ومن بدرى أفلعلمهم لا يستطيعون يوماً - أن يحققوا منها شيئاً ، وأن يجلوا السلام الصحيح ، سلام الإخاء والعدل محل السلام المسلح نذير الحرب وطلبة وبلائها .

والإسلام ليس دين وهم وخيال ، ولا هو دين يقف عند دعوة الفرد وحده إلى الكمال ، وإنما الإسلام دين الفطرة التي فطر الناس جميعاً عليها. أفراداً وجماعات وهو دين الحق والحرية والنظام . وما دامت الحرب في فطرة الناس ، فتهذيب فكرهما في النفوس وحصرهما في أدق الحدود الإنسانية ، هو غاية ما تتحمل فطرة البشر ، وما يحقق للإنسانية تطورها في سبيل الخير والكمال ، وخير تهذيب لفكرة الحرب ألا تكون إلا للدفاع عن النفس ، وعن العقيدة ، وعن حرية الرأي والدعوة إليه ، وأن ترعى فيها الحرمات الإنسانية تمام الرعاية ، وهذا ما قرره الإسلام وهذا ما نزل به القرآن " . (هيكلم ص ٢٥٣ - ٢٤٥)

كتابه : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(١) .

ودخلت العرب بلادنا ، واستأصلت ديارنا ، وهتكت أستاننا [لكنه لما آمن بالله ، ودعا إلى الله ، أعانه الله ، فقاتل] جميع الأمم فغلبهم بسيفه .

وإنما جاء المسيح بن مريم مهيناً ضعيفاً ، ولم يقاتل أحداً ، فأخذ وصلب في مرضاتنا ، فهو إلهنا ، وخالقنا ، ورازقنا ، ومميتنا ، ومحيينا وهو ﷺ بفضلته يغفر ذنوبنا ويتغمدنا برحمته .

وأنا [.....]^(٢) قد بذلت لك النصيحة في هذه الرسالة [...]^(٣) لِمَا ظَهِرَ لِي مِنْ ذَكَائِكَ^(٤) ، فاعتبرها وتدبرها ، والله يجعلها نورك ، وسبب هداك . آمين آمين .

ولما وقف الصبي على هذه الرسالة زجر موصلها ، وامتنع عن^(٥) مراجعة القسيس ، تخوفاً منه ، لكونه يومئذ بين ظهرانيتهم ، وفي كنه دياتتهم^(٦) ، فألحوا عليه في الجواب ، وفي خلال ذلك حان [موعد] سفره عنهم فكتب هذا الجواب المسمى بمقامع هامات الصليان ، وروائع روضات الإيمان^(٧)

(١) المائة : ١٧

(٢) في ع : " يا صاحبي "

(٣) في ع : " محبتي لك و ... "

(٤) في ج : " سلك " وفي ت : " نباهتك "

(٥) في ج : " من " .

(٦) في ت : " لكونه مدجن بين أظهر القوم : وفي قبة دياتتهم " .

(٧) لم يتفق المورخون على عنوان هذا الكتاب فهو :

- مقامع الصليان في برنامج شيوخ الرعيي ، ونيل الابتهاج ، ومعجم المؤلفين .

- مقامع الصليان ، ومراتع رياض أهل الإيمان ، في التكملة .

- مقامع هامات الصليان ومراتع رياض الإيمان ، في الذيل والتكملة .

- مقامع الصليان ومراتع رياض أهل الإيمان ، في الأعلام .

كذلك اختلف العنوان في المخطوطات الثلاث التي اعتمدنا عليها كما ذكر سابقاً .

وتركه^(١) عندهم ومضى وهذه نسخته^(٢) .

[رسالة أبي عبيدة إلى القسيس]^(٣)

من فلان إلى فلان

بسم الله الرحمن الرحيم

إله ، فرد ، صمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد^(٤) .

ولهذا رأيت أن أختار له عنوان " بين الإسلام والمسيحية " اقتباساً من موضوعه ، ثم ذيلته بما لم يختلف فيه وهو نسبته إلى أبي عبيدة ، فجاء عنوان الكتاب هكذا : بين الإسلام والمسيحية كتاب أبي عبيدة الخزرجي المتوفى سنة ٥٨٢هـ .

(١) في ج : " وغادره " .

(٢) سقط من ع قوله : " ولما وقف الصبي .. إلى وهذه نسخته " .

(٣) صدر صاحب " الفاصل بين الحق والباطل " الرد على القسيس بأبيات شعرية ، فيها محاجة للمسيحيين ، وهي :

وإلى أي والسند نسبه
إنهم بعد قتلهم صلبوه
وصحياً فأن كان أبوه
أتراهم أرضوه أم أغضبه
فاحمدوهم لأنهم عذبوه
واعبدوهم لأنهم غلبوه

عسى للمسيح بين النصارى
أسلموه إلى اليهود وقالوا
وإذا كان ما يقولونه حقاً
حين خلى ابنه رهين الأعدى
فلئن كان راضياً بأذاهم
ولئن كان ساخطاً فاتركوه

(٤) اقتباساً من سورة الإخلاص .

سلام على المهتدين ، والحمد لله رب العالمين ، مفضلنا بالإيمان على جميع الأجناس ، وجاعلنا خير أمة أخرجت للناس^(١) ، نوحده الله بموجبات توحيده ، ونمجده سبحانه حق تمجيده ، ونؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله^(٢) ولا نشرك بعبادة ربنا أحداً^(٣).

وصلى الله على سيدنا ، ومولانا ، ونبينا محمد ، خلاصة أصفياه ، وخاتم رسله ، وأنبيائه ، سيد الأدميين ، المبعوث رسولاً في الأميين^(٤) و ﷺ ، من نبي كريم ، على خلق

(١) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

(آل عمران : ١١٠)

(٢) ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾

(البقرة : ٢٨٥)

(٣) ﴿قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ

(الجن : ١ ، ٢)

وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾

(٤) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾

(الجمعة : ٢)

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف : ١٥٨)

فما معنى الأمي ، وما المقصود بالأميين؟

ورد لفظ الأمي في القرآن الكريم مرتين فقط ، في آيتي ١٥٧ ، ١٥٨ من سورة الأعراف ، وفي كلا الإستماليين

وصف للنبي ﷺ بأنه أمي ، أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، فالعرب كانت تنسب من يجهلها إلى أمه " لأن الكتاب

كان في الرجال دون النساء ، فنسب من لا يكتب ، ولا يخط من الرجال ، إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه .

أما لفظ " الأميون " فقد ورد أربع مرات:

(البقرة : ٧٨)

(أ) ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾

(ب) ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ

(آل عمران : ٢٠)

أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

عظيم^(١) ، جاءنا على فترة من الرسل^(٢) ، موضحاً السبيل ، داعياً إلى خير الملل ، ملة
أبينا إبراهيم.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾^(٣)

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤)

(ج) ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارِ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا
دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
(آل عمران : ٧٥)

(د) ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
(الجمعة : ٢)

فالمقصود بالأميين من هم في مقابل أهل الكتاب - وهم العرب - ما عدا الآية الأولى : فالمراد بهم قوم من أهل
الكتاب ، وعليه فيحتمل أن يكون اللفظ في آيتي آل عمران ، وآية الجمعة مستعملاً مجازياً ، على إعتبار أن
العرب كانوا جاهلين برسالات السماء ، مثل من يجهل القراءة والكتابة ، لأنه لم يبعث فيهم رسول من قبل ، أو يكون
المراد حقيقة اللفظ ، لأن الأمية كانت متفشية فيهم .

ولا يرد على استعمال الأول أن وصف النبي ﷺ بالأمي في آية الأعراف ، لا يكون دليلاً قاطعاً على أنه لم يعرف
القراءة والكتابة ، لأن قول الله تعالى :

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطِلُونَ﴾
(النكبات : ٤٨)

يمنع صرف اللفظ عن حقيقته .

(القلم : ٤)

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)

(٣) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا
نَذِيرٍ لَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
(المائدة : ١٩)

(٣) البقرة : ١٣٠

(٤) آل عمران : ٦٧ .

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)

فصل : في تقديم الاعتذار ، عن التزول إلى إجابتك^(٣) ، والاعتذار عن ذلك للاعتراف بأن الالتفاف [إلى] ما لديكم يحل بعقل الإنسان ، ودينه^(٤) .

[رأى أحد ملوك الهند في المسيحية]

وكما وصف ملوك الهند - وقد ذكرت له الملل الثلاثة - فقال :

أما النصراني ، فإن كان مناصبهم من أهل الملل ، يجاهدونهم بحكم شرعي ، فلقد أرى بحكم عقلي ، وإن كنا لم نر بحكم عقولنا قتالاً^(٥) ، ولكن أستثنى هؤلاء القوم من جميع العالم ، فإنهم قصدوا مضادة العقل ، وناصبوه^(٦) العداوة ، واستحلوا^(٧) ، بيت الإستحالات مع أنهم حادوا^(٨) عن المسلك الذي انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، وقد كان لهم فيهم كفاية ، ولكنهم شذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية الصالحة ، والعقلية الواضحة ، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً فلم يعرف عنهم شيء^(٩) وبنوا من ذلك شرعاً لا يودى ألبتة ، إلى إصلاح نوع من أنواع العالم ،

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(٣) في ج ، ت : " مجاورتك " .

(٤) في ت : " للاعتراف بأن دينكم لا مجال فيه لعقل الإنسان ودينه " .

(٥) أي أن العقل لا يحكم بالقتال إلا مع هؤلاء .

(٦) في ج : " وناصبوا " وفي ت : " وناصبوا " .

(٧) في ج : " وتحلوا " .

(٨) في ج : " مع أنهم حاروا " .

(٩) أي لم يفهم منهم شيء .

إلا أنه يصير العاقل ،
إذا تشرع به أحرقاً ، أحمقاً ،
والمرشد سفيهاً ،
والمحسن مسيئاً ،

لأن من كان في أصل عقيدته ، التي نشأ عليها ^(١) الإساءة إلى الخالق ، والنيل منه بوصفه
بغير صفاته الحسنى ، فخلق به أن يستحل الإساءة إلى مخلوق .
وكذلك ما بلغنا عنهم في خلقهم ، من جهل ^(٢) ، وضعف العقل والطمع والبخل ، ومهانة
النفس ، وخساسة الهمة والقدر ، وقلة الحياة إلا قليلاً منهم .
فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التي لا تحصى وجوهه [لكفى ..] ،
وكما يجب قتل الحيوان المؤذى بطبعه [لا يلام المرء على قتل هؤلاء] ، فكيف وثم من الموجبات
ما تقدم .

فهذا ما بدا له من جهلكم ، وليس بمخاصمكم ، ولا مناوئكم ، ولا بمتهم باتباع
الهوى فيكم .

ولم أقدم هذا الفصل قاصداً تبيان ضلالتك ، لأن ذوائبها قد سارت مسرى
الشمس ^(٣) ، وبواطلها لاحت لعيون الجن والإنس ، ولكن لأتم الحججة على نفسى ، وأحيل ما
رمته أولاً من الاعتذار عن التزول إلى مجاوبتك ، وأوجب الاختلال بإنسانية من التفت إلى
مقالاتكم ، وعطل [نفسه ساعة] من نهار [بالاستغفال بـ] ^(٤) محالاتكم التي عقيدتها قدى في
عين الحق ، ومقاتلتها قرع على كبد الصبر ^(٥) .

(١) في ج : " التي جرى نشأه عليها " و ت : " التي جرى نشوه عليها " .

(٢) كان هذا حالهم قبل النهضة الأوروبية ، التي كان السبب الرئيسي فيها - كما يرى الباحثون المعتدلون - اتصال

أوروبا بالشرق الإسلامى .

(٣) في ج : " صارت تستر الشمس " .

(٤) كلمة النص غير واضحة في ت ، ج .

(٥) في ت : " ومقاتلتها قرع في عين العرف " .

[رأى رئيس سدة الهياكله بمصر]

وقال أفلاطون رئيس سدة الهياكله بمصر:

لما ظهر محمد ﷺ بتهمه ، ورأينا أمره يعلو على الأمم المجاورة له ، رأينا أن نقصد (إصطفن) البابلى^(١) لتعلم ما عنده ، نأخذ رأيه ، فلما اجتمعنا على الخروج من مصر ، رأينا أن نذهب^(٢) إلى قراطيس معلمنا لنودعه ، فلما دخلنا عليه ورأى جمعنا ، أيقن أن الهياكل قد حدث فيها شيء^(٣) ، فغشى عليه حيناً غشية ، حتى ظننا أنه فارق فيها ، فبكينا ، فأوماً إلينا أن اسكتوا فكففنا عن الصراخ ، والبكاء ، فتصيرنا جهدنا ، حتى هدأ ، وفتح عينيه ، وقال :

هذا ما كنت أهماكم عنه ، وأحذركم منه ، إنكم قوم غيرتم فغير بكم ، وأطعتم جهالاً من ملوككم ، فخلطوا عليكم في الأدعية ، فقصدتم البشر من التعظيم بما هو للخالق وحده ، فكنتم في ذلك كمن أعطى القلم مدح الكاتب ، وإنما حركة القلم بالكاتب .

قال : فقلت له :

ويحك ! هذا التعظيم إنما هو للخالق ، فاجتمعت العامة فأخرجتني من الهياكل^(٤) ، وكذلك ذكر عنه - أى أفلاطون - أيضاً أنه قال :

(١) في ج : " اصكل من البابلى " .

(٢) في ت : " نسعى " ، وفي ج : " نصر " .

(٣) في ج : " قد خلت منا " .

(٤) لم يستطيع البقاء عندما أراد أن يبين وجهة نظره في وجوب الاستماع إلى ما نزل من عند الله على محمد ﷺ ، لأن العامة - الجاهلين بإدراك مثل هذه المواقف - ثارت عليه ، ووقفت بجانب من يدعو إلى التمسك بما كان عليه الآباء ولو كان ضلالاً ، وتلك ظاهرة قابلت الأنبياء جميعاً :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوا كَانُوا آبَائُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

(المائدة : ١٠٤)

رأيت في نومي في ليلة حسن فيها إخلاصي ، كأن " أرمانبوس " الملك جالساً ، إذ دخل عليه غلمان بأطباق في أيديهم [فيها] هدايا [يقدمونها له] ، فردها في وجوههم ، ووضع خده في الأرض ، يدعو عليهم ويقول: يا سيدي ا أعطني ما يخصك ، ولا يشاركك فيه غيرك ، وعزيز - والله - عليّ أن أرى هذا المشهد العظيم ينتقل ، وانتقاله أحسن من التحريف ، وإقامة الدعوات على الاختلاط .

فكان عليّ أثر ذلك ظهور محمد ﷺ بدين الإسلام . وسيأتي في هذه الرسالة ذكر [أشياء] من ديانتكم ، وأسباب التحريف المسلم بها ، وقصدكم تعظيم رجل بما هو للخالق وحده ، جراءة علي الخالق ﷺ ، واستخفافاً بحقه ، وذكر إقامة الدعوات على اختلاط ، عليّ أني بين القصور ، لصغر السن ، وإغفال المطالعة ، وقلة العناية بذلك قبل اعتراضك إيائي^(١).

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ نَ عَالِي اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الأعراف : ٢٨)

كما يعان منها المصلحون في كل عصر وجيل ، لأن العقبة الكنود أمام برامجهم الإصلاحية ، هي سهولة إثارة العامة ضدهم ، ويكفي أن تصفح تاريخ جمال الدين الأفغان - كمثل علي ذلك - ، وتلميذه الشيخ محمد عبده ، فسترى أن من اتخذوا الوظائف العامة وسيلة للارتزاق ، وجمع الثروة ، وقفوا في سبيل هذا التيار الإصلاحى ، لا حياءً خالصاً في الدين ولا دفاعاً عنه ، وإنما خوفاً على ضياع المركز ، وذهاب موارد جمع الثروة ، إلا قليلاً منهم ، دفعه جهله للوقوف في وجه التيار الإصلاحى .

(١) سقط من ع من أول رسالة أبي عبيدة حتى هنا ، ووضع بدلاً عنها النص التالي :

" الحمد لله الذى ليس لأزليته بداية ، الأبدى الذى ما لأبديته نهاية ، خلق عيسى من غير ذكر ، وحوى من غير أنثى ، وآدم من تراب ، إن في ذلك لآية ، أحمده حمد من نزه عن الجوهر والعرض والجسد ، وأشكره شكر من قدسه عن أن يكون والد ، أو يكون له ولد ، وأشهد أنه الملك الحق الذى لا يهزم ولا يغلب ، القوى الذى يقضى كل شئ ، ولا يقتل ، ولا يصلب ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بشر به عيسى ، ونص عليه موسى صلى الله عليهم أجمعين ، إن الدين عند الله الإسلام ، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين".

[إبطال دعوى ألوهية عيسى عليه السلام وإثبات نبوته من نصوص أناجيلهم]

أما بعد :

أيها الأعجمي الألكن ، الطاعن على كتاب الله جهلاً ، ولا يعرف لخطابه فصلاً ،
والملتمس له تأويلاً ، وأنت لم تؤت من العلم كثيراً ولا قليلاً .

هلا راجعتك ^(١) بصيرتك ، وناجيت بالتحقيق سريرتك ؟ ، فعلمت أنه مترل بلغة لا

تعلمها ، وعبارة لا تفهمها .

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ^(٢)

ومن أعجب قولك ، الشاهد على جهلك ، أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله ، وترغب
مؤمناً في عيسى بن مريم رسول الله ^(٣) وكلتا الخلتين قد أحكم عندنا مضارها ^(٤) ولدينا ثبوتها
واستقرارها ، ومنا صدع ظهورها في الخليفة واستمرارها ، كواكب الإيمان بالله عندنا تتجلى ،
ونحن بالمسيح ابن مريم رسول الله أولى ، قدرناه حق قدره ، وقلنا بفضل المعلوم وفخره ،
واعتقدناه بمزلة تقبلها الأفهام ، وتليق بالعقول والأوهام ^(٥) .

﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ

عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ ^(٦) .

^(١) في ج : " عارتك " وفي ت : " أعدت "

^(٢) آل عمران : ٧

^(٣) من ع ، وفي ج : " أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله عيسى ، وتولى عيسى بن مريم رسول الله " ، وفي ت : إلى

الإيمان بالله .. عيسى بن مريم رسول الله .

^(٤) من ع ، وفي ج : " وكلتا الخلتين عند أحكم مضارها " . وفي ت : " وكلتا الخلتين عند حكم مضارها " .

^(٥) في ع : وفي ج : " واعتقدناه بمزلة ما تعد في الأفهام لائقة بالعقول والأوهام : وفي ت " واعتقدناه بمزلة سابقة

في الأفهام لائقة بالعقول والأوهام " .

^(٦) النساء : ١٧٢ .

وتبرأنا من قوم غدوا فيه على طرفي نقيض : مفتون به ضال ، وظالم بغیض ، وهما في عمى بصائرهما سيان ، ولدى حلبة الكفر فرسا رهان ، أما المفتونون به الضالون ، فقد أوقعوا أنفسهم في خطيئة [ذى شقين] يستحيل غفرانها^(١) :

[الأول] : الإشراك بعبادة الله غيره .

[الثاني] : أنهم أوردوا عيسى بغلوهم فيه مورداً يعتذر عند الله منه يوم الحشر بين يديه ، إذ يقول له ، وهو تبارك وتعالى أعلم :

﴿ أَلَيْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللّهُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(٢).

أما من أبغضه ، أو سبه ولعنه ، فإنما أوردوه بفعلهم مورداً يكون الله حسيبهم فيه ، والقائم دونه ، يأخذ حقه منهم [..]^(٣).

(١) من ع . وفي ج ، ت " أن للمفتون مزيتين في الضلال على من أبغضه وسبه ، أحدهما : الإشراك بعبادة الله غيره والأخرى : أنهم أوردوا " .

(٢) المائدة : ١١٦ ، ١١٧ .

(٣) زاد في ع : " هذا وقد اطلعت على كتابك ، وعلمت مرامك ، ويعلم الله أنك فضلاً عن جهلك لدينا - دين الإسلام - القوم ، لست على شيء من دينك السقيم ، فلذلك قد أشفقت عليك ، وحررت لك كتابي هذا ، رداً على كتابك لعلك بعد تلاوته ، ترجع عن غيك وجهلك ، وبهديك الله صراطاً مستقيماً ، فأعرن السمع والبصر ، لأشرح لك من نفس كتابيك : الإنجيل والتوراة ، فساد ما أنتم عليه من الاعتقادات المضحكة ، المخجلة التي لولم توجد النصرانية إلى وقتنا هذا ، لما أمكن التصديق بوجود طائفة تعقل بين الناس ، فتعقد أقوالكم ، أو ترضى بمخالاتكم .

ثم أبين بعد ذلك أناس ديننا ، وموافقته للمدنية ، ومساعدته لأشرف مقاصد المجتمع الإنساني ، عسى الله أن يكشف عن بصيرتك ، ويميز الحق من الباطل ، فتخرج من الظلمات إلى النور .

أخبرني أيها الجاعل إلهه المسيح من حيث هو من الله روح ! لم تظلم آدم ؟ وأنتم تقولون وتوافقون : أن الله تعالى نفخ فيه من روحه بعد أن سواه من تراب ؟

وتقولون : إن المسيح نفخة من روح الله في رجل ، سواه الله تعالى من لحمه مريم ، المتخذة من آدم ، فلحمه إذن بمزلة ترابه ، ونفخة من روح الله بمزلة نفخة من روح الله ، فلماذا أوجبت الألوهية لعيسى ، ولم توجهها لآدم ، وأنت تقر له بروح الله في حجاب من تراب^(١) .

ما أزين بك أن تقول : إن الله خلق عيسى وأمه آية للناس ، عبداً ورسولاً ، [وهي] صديقة مباركة ، [و] كانا يأكلان الطعام^(٢) ، وأكل الطعام هنا كتابة عن التغوط ، وقد كان يجب لله تعالى ، لو سبق في حكمه أن يكون إنساناً ويترل لمقابلة عبادته^(٣) - كما زعمت - أن يمتنع عن التغوط ، إذ هو دنية ، ابتلى بها آدم وبنيه ، مبينة لنقصهم واحتقارهم .

وهو تعالى المختص بالكمال ، والموصوف بالعظمة والجلال ، فلا يليق به تلك الدنية ، ولا نعلم في فرق ملتكم من يقول : إن عيسى لم يكن يتغوط ، ولا يبول ، حاشى الله أن يحقر خلقاً له بدنية ، يراها أحسن الآدميين عاراً على نفسه ، ثم يتشبه بعبده فيها ، بل كان يتركها دون غيرها من صفات الإنسانية^(٤) .

أليس من الواضح عند ذوى العقول ، أنه لما يلزم من عدم الأب والأم البشريين لآدم عليه السلام أن يكون ابناً لله تعالى ، ولما لم يبعد خلق آدم من التراب ، لم يبعد أيضاً خلق عيسى عليه السلام من الدم ، الذي كان يجتمع في رحم أمه عليهما السلام .

(١) في ج " فلحمة أذنه بمزلة ترابه ، ونفخه من روح الله ، فهي أوجبت بذلك الألوهية لعيسى ، فمالك لا توجهها لآدم وأنت تقول أنه روح من الله في فخار من تراب " .

(٢) ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَمَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾

(المائدة : ٧٥)

(٣) في ج ، ت : " مباشرة " .

(٤) سقط من ع من أول قوله : " ما أزين بك " .

فلو أنصفت وطلبت الحق ، لعلمت أن ذلك من البيان ، ما يبلغ إلى الغاية القصوى ، في
تحصيل المرام من هذه المسألة ، ولكنك قد اتخذت التقليد دليلاً على عدم النظر ، والتأمل في
الأمور مذهباً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

أخبرني أيها المسكين :

متى ادعى عيسى عليه السلام الألوهية تصریحاً ؟ أو متى ذكر الأقانيم التي تقولونها توضيحاً؟^(١)
لم تقرأ في إنجيلك الكائن بين يديك عن عيسى ، أنه قال حين خرج من السامرة ولحق
بالجليل^(٢) : أنه لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه^(٣)؟ وفي الإنجيل للوقا : أنه لم يقبل أحد من
الأنبياء في وطنه فكيف تقبلونه؟^(٤)

وحسبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة .

وفي الإنجيل لمرقس^(٥) أن رجلاً أقبل إلى المسيح ، وقال له :

[أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية^(٦) ، فقال له : لماذا تدعونني
صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد ، وهو الله^(٧) ، ولكن إن أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ

^(١) زيد في ع من قوله : " أليس من الواضح " .. "

^(٢) في ج ، ت : " بجلجان " .

^(٣) " وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل ، لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لئى كرامة في وطنه " .
(يوحنا ٤ : ٤٣ - ٤٤)

^(٤) " فقال لهم : على كل حال تقولون لي هذا المثل : أيها الطبيب ! إشف نفسك ، كم سمعنا أنه جرى في كفر
ناحوم ، فافعل ذلك هذا أيضاً في وطنك ، وقال : الحق أقول لكم : إنه ليس نبي مقبولاً في وطنه " .
(لوقا ٤ : ٢٣ - ٢٤) .

^(٥) في ج ، ت " لما ركس " .

^(٦) في ج ، ت " لأنال الحياة الدائمة " .

^(٧) في ج ، ت " لم قلت لي صالحاً إنما الصالح الله وحده " .

الوصايا ، قال له : أية وصايا ؟ فقال يسوع^(١) : لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك^(٢) .

وفي الإنجيل ليونحنًا^(٣) أن اليهود لما أرادت القبض^(٤) عليه وعلم بذلك ، رفع بصره إلى السماء ، وقال : قد دنا الوقت يا إلهي فشفرفني لديك^(٥) ، واجعل لي سيلاً إلى أن أملك كل ما ملكتني ، الحياة الباقية ، وإنما الحياة الباقية ، أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً ، وبالمسيح الذي بعثت ، وقد عظمتك على أهل الأرض ، واحتملت ما أمرتني به ، فشفرفني لديك^(٦) .

وفي الإنجيل^(٧) أن عيسى قال لتلاميذه : لا تسبوا أباكم على الأرض ، فإن أباكم الذى فى السماء وحده ، ولا تدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده^(٨) .
فقلوه : ولا تسبوا أباكم على الأرض [معناه] : لا تقولوا : إنه على الأرض ، ولكنه فى السماء .

(١) وردت العبارة فى ج ، ت هكذا .. الله وحده .. وقد عرفت الشروط وذلك ألا تسرق ، ولا تزني ، ولا تشهد بالزور ، ولا تخون ، أكرم أباك وأمك .

(٢) متى ١٩ : ١٦ - ١٩ ، أما ما جاء فى إنجيل مرقس ، كما أشار المؤلف بهذا الصدد ، فهو كما يبي : " وفيما هو خارج إلى الطريق ، ركض واحد ، وجنا له ، وسأله أيها المعلم الصالح | ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ، فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحد ، وهو الله ، أنت تعرف الوصايا ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك ."
(مرقس ١٠ : ١٧ - ١٩)

(٣) فى ج : " ليونحنى " .

(٤) فى ج ، وفى ت : " التقبض " .

(٥) فى ج : " لذلك " .

(٦) قارن يوحنا : " الإصحاح السابع عشر .

(٧) فى ج : " وفى الإنجيل لما أن عيسى ..

(٨) ورد النص فى إنجيل متى هكذا : " ولا تدعوا لكم أباً على الأرض ، لأن أباكم واحد الذى فى السموات ، ولا

(متى ٢٣ : ٩ - ١٠)

تدعوا معلمين ، لأن معلمكم واحد المسيح ."

ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى وقال : ولا تدعوا معلمين ، فإن معلمكم المسيح وحده .
 فيها هو [ذا] قد سمى نفسه معلماً في الأرض لهم ، وشهد أن إلههم في السماء واحد .
 وفي الإنجيل للوقا أن عيسى أحيأ الميت بباب مدينة (نائين)^(١) .
 عندما^(٢) أشفق لأمه ، لشدة حزنهما عليه فقالوا : إن هذا النبي لعظيم^(٣) ، وإن الله قد تفقد
 أمته^(٤) .

وفي الإنجيل ليوحنا^(٥) أن عيسى قال لليهود :
 لست أقدر [أن] أفعل من ذاتي شيئاً لكنني أحكم بما أسمع ، لأنني لست أنفذ إرادتي ، بل
 إرادة الذي بعثني^(٦) .

وفي الإنجيل ليوحنا^(٧) أيضاً أنه أعلن صوته في البيت ، وقال لليهود : قد عرفتموني في
 موضعي ، ولم آت من ذاتي ، ولكن بعثني الحق ، وأنتم تجهلون^(٨) ، فيها هو [ذا] قد جعل
 نفسه ، وموضعه معلومين عند اليهود ، وجعل الله عندهم مجهولاً ، وقال :
 إنه لم يأت من ذاته ، ولكن الله قد بعثه ، فما زاد في دعواه شيئاً على ما ادعاه غيره من
 الأنبياء عليهم السلام .

(١) في ج ، ت : " نام " .

(٢) في ج ، ت : " حين " .

(٣) في ج ، " العظيم " .

(٤) " .. فأخذ الجميع خوف ، ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبي عظيم وتفقد الله شعبه " . (لوقا ٧ : ١٦)

(٥) في ج : " ليحنا " .

(٦) ونص إنجيل يوحنا : " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً ، كما أسمع أدين ، ودينونتي عادلة ، لأنني لا أطلب
 مشيئتي ، بل مشيئة الأب الذي أرسلني " . (يوحنا ٥ : ٣٠)

(٧) في ج : " ليحنا " .

(٨) يشير إلى قول إنجيل يوحنا : " فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً : تعرفوني ، وتعرفون من أين أنا ،
 ومن نفسي لم آت ، بل الذي أرسلني هو حق الذي أنتم تعرفونه " . (يوحنا ٧ : ٢٨)

وفي الإنجيل أنه قال لليهود - بعد حوار طويل ، [وكلام] كثير مذكور بينه وبينهم في ذلك المجلس - حين قالوا له : إنما أبونا إبراهيم .

قال: إن كنتم بنى إبراهيم ، فاقفوا أثره ، ولا تريدوا قتلى ، على أبى رجل أديت إليكم الحق الذى سمعته من الله ، غير أنكم تقفون أثر آبائكم .
فقالوا : لسنا أولاد زنا ، إنما نحن أبناء الله ، وأحباؤه .

فقال : لو كان أباكم لحفظتموني ، لأنى رسول منه [أى من الله] ^(١) ، خرجت مقبلاً ، ولم أقبل من ذاتى ، ولكن هو بعثنى ، ولكنكم لا تقبلون وصيى ، وتعجزون عن سماع كلامى ، إنما أنتم أبناء الشيطان ، وتريدون إتمام شهواته ، إلى كلام كثير ذكر فى الإنجيل الذى بأيدكم ، [عما] ^(٢) كان بينه وبين اليهود فى ذلك ^(٣) .

وفي الإنجيل أيضاً : أنه كان يمشى يوماً فى أسطوان سليمان ، فأحاطت به اليهود وقالت له : إلى متى تخفى أمرك ^(٤) ؟ إن كنت المسيح الذى نتظره ، فأعلمنا بذلك ^(٥) .
ولم يقولوا : إن كنت الله ، لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك ^(٦) ، ولا اختلاف عند اليهود أن الذى انتظروه [هو] إنسان نبى ، ليس بإنسان إله كما تزعمون .

^(١) زدنا ما بين القوسين لأن النص يقول : " لأنى خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنى لم آت من نفسى بل ذاكَ أرسلنى " .
(يوحنا ٨ : ٤٢)

^(٢) فى ج : " إذا " وفى ت : " لأنه " .

^(٣) قارن يوحنا الإصحاح الثامن .

^(٤) نص إنجيل يوحنا : " إلى متى تعلق أنفسنا " (يوحنا ١٠ : ٢٤)

^(٥) يوحنا (١٠ : ٢٥)

^(٦) لم يوفق أبو عبيدة فى الاستدلال بهذا النص ، على أن الإنجيل الموجود بين أيدينا ينكر ألوهية عيسى ، كما أخطاه الصواب فى الاعتماد عليه - أى النص المشار إليه - بأن اليهود لم تعلم من دعواه أنه ادعى الألوهية ، ذلك أننا نقرأ بعد فقرات قليلة ، أن الحوار تطور بينه وبينهم : " فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه ، أجابهم يسوع : أعمالاً

وفي الإنجيل أيضاً عنه : أن اليهود أرادوا القبض^(١) عليه ، فبعثوا لذلك الأعوان ، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم .
 فقالوا : لِمَ لَمْ تأخذوه ؟
 فقالوا : ما رأينا آدمياً أنصف منه ا
 فقالت^(٢) اليهود : وأنتم أيضاً مخدوعون^(٣) ا
 أترون أنه آمن به أحد من القواد ، أو من رؤساء أهل الكتاب ؟
 إنما آمن به من الجماعات ، من يجهل الكتاب .
 فقال لهم [نيقوديموس] - وهو من كبار القسس^(٤) :
 أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه؟
 فقالوا له : إكشف الكتاب ا ترى أنه لا يجيء من الجليل نبي^(٥) .
 فما قالت اليهود ذلك إلا [لأنه]^(٦) أنزل لهم نفسه منزلة نبي فقط ، ولو علمت من دعواه [إدعاء] الأولوية لقاتله يومئذ [تقيحاً له ، وتحريضاً على قتله] .

كثيرة حسنة أريتكم من عند أبي ، بسبب أي عمل منها ترجونني ؟ أجابه اليهود قائلين : لسا نرجحك لأجل عمل حسن ، بل لأجل تجديف ، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً^{*} .
 (يوحنا ١٠ : ٣١ - ٣٣)
 فإذا سلمنا بصفة هذا النص - وذلك بعيد - لا يسعنا إلا التصديق بأن اليهود الذين اشتركوا في هذه المناقشة ، علموا أن عيسى ادعى الألوهية .
 (١) في ج ، ت " التقبض " .
 (٢) في ج : " قالت " .
 (٣) في ج " مخدعون " .
 (٤) في ج : " قعود من القس " وفي ت . " نقود من القس " .
 (٥) قارن يوحنا ٧ : ٤٥ - ٥٢ .
 (٦) في ت : " إلا وقد أنزل لهم نفسه " وفي ج : " إلا وقد أنزل الله نفسه "

وكثير من هذا في الإنجيل ، يطول ذكره ، ولا محالة أنك إن سمحت نفسك بالانقياد إلى الحق ، وخلعت الهوى ، علمت أن ذلك كذلك .

وفي الذي اتخذتموه دليلاً على صلبه من كلام عاموص النبي ، أن الله قال على لسانه :
ثلاثة ذنوب أقبل لبني إسرائيل [و] الرابعة لا أقبلها ، [وهى] بيعهم الرجل الصالح .
[حجة عليكم لا لكم ، لأنه] لم يقل : بيعهم إياى ، ولا قال : بيعهم إلهاً متساوياً معى ،
ويجربى تأويل قوله [هنا] على وجهين :

١- إما أن يكون عنى بالمبيع عيسى كما تزعمون ، فقالوا [حيثئذ] :

إنه الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، كما قال عاموص ، وليس بالإله المعبود .

٢- وإما أن يريد بالمبيع غيره ، وهو الذى شبه لليهود فابتاعوه ، وصلبوه ^(١) ، ويلزمكم

[وقتئذ] إنكار صلوبة عيسى عليه السلام .

ثم جعلت حجة على إجلال مترلة عيسى عن آدم ، والاعتلال به إلى مترلة الألوهية أنه
أحيا ميتاً ، ولم ترد أن يكون الله تعالى [قد جعل] ^(٢) له ذلك برهاناً على نبوته ، ودلالة على
صدق رسالته ، ثم لم تلبث أن أو جبت ما نفيت ، وأقررت بما أنكرت ، وكنت كالقائم القاعد
فى الحال الواحد [وذلك حين] قلت : إن عيسى فى حال الألوهية التى تصفونه بها ، قد أيد نقرأ
من الحوارين بإحياء الموتى - بزعمكم - ، وجعلهم رسلاً ^(٣) إلى الأجناس ، فأحيوا الموتى
بزعمك .

فما الذى أوجب أن يكون المسيح فى حال الألوهية ، قد أيد بذلك بشرأ ^(٤) ، وجعله
رسولاً إلى الأجناس ، ومنع أن يكون الله ﷻ يؤيد بشرأ ، ويجعله رسولاً إلى الناس ؟

(١) يساق هذا دليلاً على عدم صلب المسيح عليه السلام .

(٢) فى ح : " أن يجعل " .

(٣) فى ج ، ت : " وجعل لهم أرسلاً " .

(٤) فى ج : " كثيراً " .

فإن كان المسيح من أجل إحياء ميت^(١) هو الله ، فكل من أحيا ميتاً بزعمك فهو الله!
 و بإجماع من جميع الملل الثلاثة ، أن إلياس النبي أحيا الموتى ، وكذلك اليسع^(٢) ' قَلِمَ
 تظلمون بعضاً دون بعض ؟ ثم قلت : إن الله ﷻ لما كلم العالم على السنة أنبيائه ، الذين جعلهم
 رسله ، ووسائطه إلى خلقه ، ليعلموهم الإقرار بربوبيته ، وشرعوا لهم ترك أوثانهم ، وأصنامهم
 الفاشية ضلالتها في جميع الأرض [لم يدعنوا] ، فترل هو تعالى بعد ذلك من السماء ، ليكلم

(١) ن ج : " فإن المسيح فمن أحى ميتاً "

(٢) تحدث القرآن الكريم عن إلياس مرتين :

(أ) ﴿ وَرَكَّبْنَا وَيْحَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلِّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (الأنعام : ٨٥)

(ب) ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
 الْعَالَمِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ لِإِلَهُهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
 الْمُخْلِصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
 (١٣١) إِلَهٌ مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصفوات : ١٢٣ - ١٣٢)

وليس فيهما ما يدل على أنه أحيا الموتى ، كذلك لم يذكر مؤلفو قصص الأنبياء شيئاً من ذلك ، باستثناء الثعالبي
 الذي ذكر أن إلياس أحيا ميتاً بعد موته بأربعة عشر يوماً (انظر : ابن كثير ج ٢ ، ص ٢٤١ - ٢٤٧ ، الثعالبي ص ٢٢٨ ، وهو من
 الإسرائيليات التي نقلها الثعالبي من سفر الملوك الأول إصحاح ١٧)

أما اليسع فقد ذكره القرآن في موضعين :

(أ) ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأُولَآئِهُمَا عَلَىٰ الْغَالِبِينَ ﴾ (الأنعام : ٨٦)

(ب) ﴿ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (سورة ص : ٤٨)

دون أن يبين أن الله أظهر على يديه معجزة إحياء الموتى ، كذلك لم أعر في قصص الأنبياء على ما يوجد رأى أبي
 عبيدة ، إلا أن العهد القديم ذكر أن اليسع أحيا صبياً مات بعد إصابته بدوار في رأسه (الملوك الثان ٤ : ١٦ - ٣٧) ، ويبدو
 أن أبا عبيدة تأثر بذلك - وهي ظاهرة ابتلى بها كثير من علماء المسلمين - فسلم بأن إلياس واليسع أعادا الحياة للموتى ،
 ونسى أن القرآن الكريم لم يخبر أن الله أبد نبياً غير عيسى ﷺ . معجزة إحياء الموتى ، وعليه فيكون قوله : " و بإجماع من
 جميع الملل .. إلخ " قولاً خاطئاً .

الخلق بذاته ، لئلا تكون لهم حجة عليه ، فتنقطع حججهم بأن كلمهم بذاته ، لا بواسطة ،
فارتفعت المعاذير عن ضيع عهده بعد أن كلمه بذاته .

أخبرني أيها المغرور!

ما الذى أوجب ذلك ؟ هل كان علمه^(١) لم يحط بما فعل أنبيأؤه ، حتى هبط ليطلع

على فعلهم ؟

أو هل كانت أنبيأؤه متهمة عنده لمخالفة أمره ؟

أو هل كانت الأنبياء لم تقو على بيان^(٢) ما جاءت به من الإيمان بالله ، وعجزت عن
إظهاره فى العالم ، وضعفت عن إظهار المعجزات العجيبة الدالة على صدقهم ، حتى هبط هو ،
ففعل ما لم يفعله [من أرسل] من قبله ؟ فلقد قصصتم فى الإنجيل الذى بأيديكم :

أن اليهود كانت تطالبه^(٣) بمثل معجزات موسى بن عمران ، فلا يجيبهم بشئ ، وسأذكر
ذلك ، وبعض مواضعه من الإنجيل إن شاء [الله] رَبِّكَ .

أخبرني أيها المخدوع !

ما الذى أظهره دليلاً على أنه هو الله حتى تنقطع حجة العالم به دون غيره ، كما زعمت ؟
وما الذى رأوه من العظمة التى لم يكونوا رأوها حتى ترتفع المعاذير ؟ ألاجل أن رأوا يديه
ورجليه مكتوفة ! - كما تظن من غير يقين - مصفوعاً على قفاه ، مبصوقاً فى وجهه ، بتاج من
الشوك على رأسه^(٤) ، مصلوباً على جذع^(٥) ، مسمرة يده ورجلاه فيه .

وعجباً لتمويهكم أيضاً ، باختلافكم فى خشبة صلبه ، فمن قائل : كانت من السرو .

ومن قائل : كانت من الأرز ،

ومن قائل : كانت أطروشاً من قنبيط !!

(١) فى ج : " هل كان معلمك " .

(٢) فى ج : " هل كانت الأنبياء لم تقوا فيما بان " .

(٣) فى ج ، ت : " تطلبه " .

(٤) قارن انجيل يوحنا ١٩ : ١ - ٥ .

(٥) فى ج ، ت : " على أطروش قليب " .

وقلتم : إن الخشبة قطعت ، وحملت على عنق الله تبارك وتعالى إذلالاً له ، أو تبكيتاً ، وصلب عليها .

تشنعون بذلك خطيئة اليهود ، لتضرموا قلوب عوامكم ضغناً عليهم .

ولقد وجب [وحق الإنسانية] تنقيص تلك الألوهية بما لا يخفى على أحد [ولو كان صبياً] .

لا جرم أنه لو سبق في حكم الله ، أن يياشر خلقه ، مثل المباشرة التي ذكرتها ، لأنبات بذلك التوراة ، والأنبياء تصریحاً ، لا كتابة وألغازاً ، ولجل ذلك عن الأفكار ، ولعظم في الأوهام ، وانتظرته الأمم بأشد أسباب الإنتظار .

ولقد^(١) تأولتم في التوراة ، وفي بعض النبوات [لإثبات التثليث] بما يخرج عن منهج الحق ، ويعد عن الصدق^(٢) ، ويوجد تأويل من قبلكم لها ، [وهو] أهدى سبيلاً ، وأقوم قبلاً ، وأوضح دليلاً ، [مثلاً] ، كما تأولتم في الملائكة الثلاثة الذين أتوا بالبشارة [إلى] إبراهيم تحت العفصة ، فقام إليهم ، وبجلهم ، وخاطبهم خطاب رجل واحد على ما ذكر في توراة اليهود^(٣) . جعلتم [ذلك] دليلكم على التثليث ، إلى غير ذلك من التأويلات التي هي رمد في عين الإيمان ، وشجى^(٤) في صدر كل ناطق إنسان .

ثم احتال بعضهم^(٥) لذلك الكفر البشيع ، والجهل الشنيع في وجوه من العذر [التي] هي أقبح من الذنب ، كالشمس ثلاثة أشياء : جرم ، ونور ، وحرارة ، تشبيهاً بالتثليث . وكالحديد يحميها الحداد ، ثم يمدّها ، فليمدّها ما شاء ، فإنه ليس يمد النار ، وإنما يمد جسم الحديد ، تشبيهاً بالله ﷻ ، حين صلب بظنكم ، إلى غير ذلك من الهذيانات .

(١) في ج ، ت : " أما أنكم ."

(٢) في ج ، ت : " ويترج عن ميين الصدق "

(٣) انظر سفر التكوين ١٨ : ١ - ٢٢ .

(٤) في ج : " سحى ."

(٥) في ج : " بعضهم ."

وإنما استدركنتم العذر بهذه الأقوال الوخيمة ، لتوهوا جهلاءكم^(١) ، أن لتلك البشائع التي تعتقدونها ، وتنطق بها ألسنتكم^(٢) ، أسراراً وأصولاً ثابتة في الحقائق ، حين ينظرون إلى من سواهم من أهل الملل ، يعبدون الله وحده ، ولا يشركون به شيئاً ، وإن اختلفوا فيما سوى ذلك . وقد دعا سيد المرسلين محمد ﷺ أربابكم^(٣) إلى المباهلة ، حين أنزل الله عليه :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَأَلْفُسَكُمْ وَأَلْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٤)

فجزعوا لذلك ، وأبوا عليه ، فأوعدهم عليه الصلاة والسلام لو باهلو باضطرام ذلك الوادى ناراً عليهم ، فتخوفوا نعمة الله تعالى ، حين يظهر^(٥) كرامته عليهم وجاهه لديه ، وإلا فلم لهم يجيبوه^(٦) حينئذ ويتباهلوا ، ولا يحترقون كما أوعدهم ، فيكون في ذلك عليه ما لا يخفى^(٧) :

[وإذا تأملتم بعين الإنصاف] الإنجيل الذي بأيديكم ، فإنكم تجدون فيه نصاً على ما قدمت من الدلائل على براءة عيسى مما نسبتموه إليه من ادعاء الألفية لنفسه :

﴿ مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٨)

(١) في ج ، ت : " سفهاءكم "

(٢) في ج : " ألسنتهم "

(٣) في ج ، ت : " وقد كان سيد النبيين محمداً ﷺ دعى أربابكم "

(٤) آل عمران : ٥٩ : ٦١ .

(٥) في ج " سعوا " ، وفي ن : " شنوا " .

(٦) في ج ، ت : " ييكتوه "

(٧) انظر البخارى ج ٥ ص ٢١٧ وابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١٠٠ - ١٠٨ .

(٨) آل عمران : ٧٩

غير أن من ضل بعده إلى مدة من نحو ثلثمائة سنة كانوا (مهرة) في استدراك الأكاذيب ،
وتقوية الإنجيل بما ، فادعوا^(١) أنه^(٢) يكلمهم في سحب السماء ، وفي أضغاث الأحلام ، وشدوا
أزر^(٣) ذلك بأن نصوا في الإنجيل :

أن الإيمان بعيسى لم يتم إلا بعده ، ليجعلوا ما جاءوا به من الكذب تماماً لإيمانهم .
وأصل هذا النص أن عيسى قال لأصحابه:

إن الإيمان به لا يتم إلا بالذى بعده ، وأكد ذلك في مواضع كثيرة صرح فيها بسيد النبيين
والمرسلين سيدنا ومولانا محمد ﷺ . سأذكر ما أتى لي ذكره في هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.
ولما هموا بالتحريف^(٤) بعد مدة من وفاة^(٥) الحوارين رضى الله عنهم ، وكرهوا ما ندبهم إليه
عيسى ، وأمرهم به ، فانحرفوا عنه بتأويلات وخيمة اخترعوها ، وإلى شرائع مضلات شرعوها .

[بيان اضطراب الأناجيل وتناقضها]

[وهو الجزء الأول من الرد على الشبهة السابعة]

وفي الإنجيل الذبي بأيديكم [كثير من المتناقضات]^(٦).

(١) في ج ، ت : " يدعون "

(٢) في ج : " أنهم . "

(٣) في ج : " وشدوا أن رد ذلك "

(٤) في ج : " بالتحريف . "

(٥) في ج ، ت : " هلاك "

(٦) ذكر صاحب كتاب " الفاصل بن الحق والباطل " متناقضات أخرى ، أردنا إثباتها هنا بتصحيح

نصوص الإنجيل التي أخطأ في نقلها :

أخبرني أيها المفرور !

أى ضمان عندكم على صدق رواية دينكم ؟

وأى شهادة لكم على صدق أقوال موسى مذهبكم ؟

أنتم تعلمون علم اليقين ، وتقرون مع الناس أجمعين ، أن عيسى عليه السلام لم يأخذ القلم بنفسه مطلقاً ، ولم يترك مسطوراً من أقواله ، ولم يكلف أحداً بجمع مقالاته ، ولا أملى إنساناً شريعته ، وإنما أحاديثه ومواعظه كانت كلها شفاهاً لم تحصرها الدفاتر ، ولا سطرهما الأقلام في زمن المسيح عليه السلام ، ولا في زمن متقارب منه ، لأن دينكم فشا في الناصرة بين جماعة من صيادى الأسماك .. قليلى العدد. واختلاطهم باليهود ، واستيلاء الجهل عليهم ، لم يقدرُوا على كتابة شئ من أقوال المسيح عليه السلام ، ثم اشتغلتم بعد ذلك بالمنازعات ، والمدافعات عن النصرانية .. فلم تفكروا في تقرير شئ من أصل دينكم ، وبقي هذا الدين .. في الأذهان تلعب به أيدي الأغراض ، وهو يتقلب بين ما يحوه النسيان ، وبين ما يشته ويزيد فيه حوادث الأيام ، حتى آل الأمر إلى اختلاف مذاهبكم ، وتعدد شرائعكم ، فصار عندكم أزيد من الخمسين إنجيلاً ، اتفقتم بعد الجليل السادس على خمسة أناجيل ، اخترعتموها تعرفون منها أربعة مشهورة .. وها أنا أسرد عليك عدة من تناقضها ، لتعلم تغييرها وتبديلها ، وعدم الوثوق بشئ منها :

١- قال " لوقا " : " وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله .. فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم ، لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً ، وتسمينه يسوع وملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون للملكه نهاية " (لوقا ١ : ٢٦ - ٣٠)

ثم يذكر بعد ذلك - أى لوقا- أن يسوع حمل إلى بيلاطس مذلولاً مهيناً : " وسأله (أى سأل بيلاطس يسوع) بكلام كثير فلم يجبه بشئ ، ووقف رؤساء الكهنة والكعبة يشكون عليه باشتداد " . (لوقا ٢٣ : ٩ - ١٠)

وهذا تناقض ، لأن أحد النصين يجعل يسوع عليه السلام ملكاً عظيماً .

والآخر يصفه بالذل والمهانة ، ثم إن هذا الملك الذى بشر به ، لم يتحقق مطلقاً ، أما على رأيكم فقد صلب ، وأما على رأينا فقد رفعه الله تعالى من غير ملك ، ولا مهانة .

وقولكم في هذا لا أصل له ، ثم إن محاررة تجرى بين عيسى عليه السلام والأخبار ، أتحمتم في الإنجيل إقحاماً ، فأى شئ أدخلها في الإنجيل المتزل من السماء ؟

فالأولى بك أن تقطع أن هذا غير متزل .

٢- ذكر إنجيل " لوقا " أنه لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ، ظهر له ملاك السماء ليقويه (انظر لوقا ٢٢ : ٤٢)

لم يذكر ذلك " متى " ، ولا " مرقس " ، ولا " يوحنا " ا

فإن كانوا قد تركوا ذلك ، لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام .

وإن كان الترك صحيحاً فتكون الزيادة كذباً في النسخة الأخرى ا وليس هذا سوى التحريف والتبديل ، مع أن نقل " لوقا" يقتضى رفع المسيح ^{الصلب} إلى السماء ، لأن الملك لا تقتله اليهود ، وما أنزل إلا للعصمة من الإذى .

وهذا ظاهر وهو مبطل لمعتقدكم في الصلب ، ثم تقوية الملك إن كان للاهوت المتحد بالناسوت فمحال ، لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره ، وإن كان للناسوت ، فحينئذ أين هو اللاهوت ؟ فما حصل الاتحاد الذى تقولونه .

٣- قال " يوحنا " : إن أول آية أظهرها المسيح ^{الصلب} هى تحويل الماء حمراً (يوحنا " ٢ : ١ - ١١) ، ولم يذكرها الثلاثة الأخر ، وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين ، وإن كانت غير صحيحة عندهم ، فكيف ينقل الدين عن شخص واحد هو يوحنا ، وشرط ثبوت أصل الأدب التواتر .

٤- قال " يوحنا " : إن المسيح غسل أقدام تلاميذه ، ومسحها بمنديل كان في وسطه (إنظر يوحنا ١٣ : ٤-١١) وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع ولم يذكر ذلك الثلاثة الأخر ، فإن كان كذباً دخل الخلل ، وإن كان صدقاً ، فَلِمَ أغفلوه ؟ فدخل الخلل أيضاً .

٥- قال " متى " : " حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ، إلى يوحنا ليعتمد منه ، ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى ."

وفي موضع آخر يقول : " أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح ، أرسل اثنين من تلاميذه ، وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ."

وقال يوحنا : " وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل .. فهذا هو الذى يعتمد بالروح القدس " .

ولم يشارك أحد من أصحاب الأناجيل " يوحنا " في الإشارة إلى عيسى بأنه حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، كذلك اضطرب " متى " ، فمرة يحكى عن احتياج " يوحنا " لعيسى ، وأخرى يبين لنا جهل " يوحنا " - وهو النبى بحقيقة عيسى .

٦- يحكى يوحنا أن مريم المجدلية جاءت لزيارة قبره ومعها امرأة أخرى ، وإذا ملك نزل من السماء وقال لهما : لا تخافا فليس يسوع هنا ، فقد قام بين الأموات .

بينما يحكى " يوحنا " : ألما جاءت وحدها فرأت أن الصخرة قد رفعت عن القبر ، فأسرعت إلى " بطرس " وتلميذ آخر ، فأخبرتهما أن المسيح ^{الصلب} قد أخذ من تلك المقبرة ، فخرج " بطرس " وصاحبه ، فأبصرا الأكفان موضوعة في ناحية القبر ، وبينما هى واقفة تبكى .. قال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين ؟ من تظلين .. إلخ .

(انظر يوحنا ٢٠ : ١١ - ١٨)

[فمثلاً^(١)] استشهداكم بكلام الأنبياء عليهم السلام واتخاذكم أقوالهم حجة^(٢) بينكم وبين

اليهود ، ثم أثبتم في نص الإنجيل أن عيسى قال :

أنا الباب ، فمن دخل عليّ سلّم ، ويجد مرعى أبداً ، ثم عرض بمن قبله من الأنبياء ، فجعلهم لصوصاً وسراقاً ، فقال آمين ، أقول لكم : إني أنا باب الضأن ، والقادمون عليكم كانوا لصوصاً وسراقاً ، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئاً ، ويقتل ، وأنا قدمت لتحيوا ، وتزدادوا خيراً^(٣) ولقد رأيت مفسركم " أوجستين " ^(٤) ، قد اعتذر عن هذا بهذيان لا يلتفت إليه .

وفي الإنجيل الذى بأيديكم عنه قال :

إن كنت أشهد لنفسى ، فشهادتى غير مقبولة^(٥) ، وغيرى يشهد لى .

ثم فى موضع آخر من الإنجيل أنه قال :

إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين أتيت^(٦) ، وإلى أين أذهب .

أخبرنى ! كيف تكون شهادته حقاً وباطلاً ، ومقبولة وغير مقبولة ؟

وكيف يجمع بين هذين فى كتاب منسوب إلى الله تعالى ؟

وفي الإنجيل الذى بأيديكم عنه : أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه - بظنكم - قال :

فأى الروايتين أصح؟

٧- لِمَ أغفل " متى " صعود المسيح عليه السلام ، وذكره " يوحنا " بتعبير غامض (٢٠ : ١٨) ، وهما من الحوارين الإثنى عشر ، بينما ذكره " لوقا " ، و " مرقس " وهما ليسا من الحوارين . (قارن : الفاصل بين الحق والباطل ص ٤٢ - ٤٩)

^(١) فى ج ، ت : " ملو من القول ونقيضه ، ولقد رأيت فيه من التضاد والتناقض ما فيه عجيب كاستشهاد " .

^(٢) فى ج ، ت : " جنة " .

^(٣) قارن إنجيل يوحنا ١ : ٨ - ١٨ .

^(٤) فى ج ، ت : " لطيفكم أغشيش " وفى ع : " أغشتين " .

^(٥) فى الإنجيل : " فشهادتى ليست حقاً " (يوحنا ٥ : ٣١) .

^(٦) فى الإنجيل : " من أين جئت " (يوحنا ٨ : ١٤) .

[الآن] قد جزعت نفسي ، فماذا أقول يا أبتاه ؟ ، فسلمني من هذا الوقت^(١) ، وأنه حين رفع في الخشبة صاح صيحا عظيماً ، وقال :

إيلي ، إيلي ! لم شبقنتي^(٢) ، وترجمته : إلهي ، إلهي لم أسلمتني^(٣) ؟ ثم في موضع آخر من الإنجيل أنه قال قبل ذلك :

من أحب أن يقفو أثرى فليوهب نفسه^(٤) .

فحرص على إتلاف النفوس ، فكيف يجزع [هو] مما عرض عليه قبل ؟ ، أم كيف يكون إلهاً وتجزع نفسه ؟

أم كيف يكون ابناً لله يدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت فلم يستجب له ؟ ، وفي الإنجيل الذي بأيديكم عن [متى] الحواري ، حين ذكر نسب عيسى عليه السلام :

قال هو ابن^(٥) يوسف بن يعقوب بن قتان بن أليعازر بن أليود ابن أخيم^(٦) " وهكذا إلى أن " عد إلى إبراهيم الخليل عليه السلام أربعين أباً^(٧) .

وفي إنجيل [لوقا] الحواري يقول في نسب عيسى :

إنه ابن يوسف بن هالي^(٨) . وهكذا عد إلى إبراهيم خمساً وخمسين أباً^(٩) .

(١) نص الأجيل : " فقال لهم : نفسي حزينة جداً حتى الموت .. يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها فلنكن مشيتك " .

(متى ٢٦ : ٣٨ - ٤٢)

(٢) في ج : " لم عرب " ، وفي ت : " لم عذبتني " .

(٣) قارن ا " متى " ٢٧ : ٤٦ .

(٤) نص الإنجيل : " من أراد أن يأتي ورائي ، فليترك نفسه ، ويحمل صليبه ، ويتبعني ، فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ويهلك نفسه من أجلى ، ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها " .

(مرقس ٨ : ٣٤ : ٣٥)

(٥) في ج : " من يوسف " .

(٦) متى ١ : ١٧ - ١٧ .

(٧) في ج ، ت : " تسعاً وثلاثين أباً " .

(٨) في ج ، ت : " يوسف بن متان بن لابي بن ملحاً بن متان " .

(٩) في ج ، ت : " تسعاً وخمسين " وهو خطأ ، أنظر لوقا ٣ : ٢٣ - ٢٤ .

فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله تعالى ؟ حتى إن^(١) أحد ملوك العجم غير المنتصرة اطلع [في]^(٢) أناجيلكم على هذا التناقض في نسب عيسى فعابه عليكم^(٣) ، وشافه أربابكم فيه ، فلم يكن فيهم من يعتذر عن ذلك وسقط ما بأيديهم . ثم إن أحد الأساقفة سمع ذلك على بعد ، فخطب الملك بعذر تخيل فيه^(٤) ، وهو أن النسبين المتناقضين :
أحدهما : نسب طبيعي ، نسب التناسل^(٥) والتوليد .
والآخر : نسب شرعي ، نسب الولاء والكفالة .
فاستحسن جمهوركم هذا العذر وعمل عليه .
وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه أنه كان يوماً قد فهمهم عن التجارة في بيت المقدس ، وأن اليهود قالت حينئذ : أى علامة تُظهِر لنا ؟
فقال : قدّمون هذا البيت وأبنية لكم في ثلاثة أيام .
فقلت اليهود : بيت بنى في خمس وأربعين سنة ، تبنيه أنت في ثلاثة أيام؟^(٦)
ثم في موضع آخر عنه [يقول : إنه] لما ظفرت به اليهود - بظنكم - وحمل إلى بلاط عامل [ال] قيصر ، واستدعيت عليه بينة ، أن شاهدى زور جاءا إليه ، وقالوا : سمعنا هذا يقول : أنا قادر على بنيان هذا البيت في ثلاثة أيام^(٧) .
أخبرني كيف استجزتم أن تسموهما شاهدى زور ، وقد شهد نص كتابكم أنه قال ذلك ؟

(١) في ج ، ت " وقد كان " .

(٢) في ج ، ت : " من " .

(٣) في ج : " فكانت عليكم " .

(٤) في ج : " بعد أن تجبل فيه " .

(٥) في ج ، ت : " التنسيل " .

(٦) نص الإنجيل : " أية آية ترين ؟ .. في ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل " (يوحنا ٢ : ١٨ - ٢٠)

(٧) قارن ! متى ٢٦ : ٦٠ - ٦١

فإن قلت : إن اليهود ظنوا بهذا القول غير ما عني عيسى ، فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل ، إنما شهدا على لفظه ، وما نطق به لسانه ، وما هو في كتابكم منصوص^(١) .
 وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود ، من أن البيت المعنى في كلامه ،
 [هو] بيت المقدس ؟

[فقلتم إنما أراد جسمه ، وإنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام ، وإن الخمس والأربعين هو عدد أرقام اسم آدم بحساب الجُمَّل ، وهكذا من الهذيان التي لم تعرف اليهود منها شيئاً ، ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى عليه السلام هذا المجلس ، ولا سوى ذلك مما تصفون من خرافات كتبكم]^(٢) .

وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه أن يجيى قال فيه : إنه يجب أن يكبر ولا ينقص^(٣) .
 أخبرني أيها المغرور ا عمن كان إلهاً تاماً كما تصفون ، كيف تلحقه الزيادة ويدركه النقصان ، أو تأخذ الآفات ؟

وقد اعتذر عن سفاف هذه المقالة مفسركم " أوجستين " ^(٤) ، وأراد تأويله بنوع [من] الهذيان ، ثم استحي .

وفي الإنجيل " للوقا " أن عيسى قال لرجلين من تلامذته :

^(١) في ج ، ت : " وما هو في كتابكم نص " .

^(٢) في ج ، وت : " فقلتم في معنى ذلك أن التربة التي صنعت منها الخمسة والأربعون من أقطار الأرض ، وأن الأحرف التي في ابتداء السطر إذا حصلت وجد آدم ، وأكدم التصديق ، فهذا الهذيان الذي لا يؤدي إلى معنى بإخراج المعدود من اسم آدم ، حين نزل حروفه بحساب أبي جاد على خمسة وأربعين من العدد ، فأنتم تأولتم قول اليهود بهذا الهذيان ، وأنتم أقرتم أنها لم ترد شيئاً من ذلك ، وإنما أرادت المدة التي يبني فيها بيت المقدس ، ومن أعجب الأشياء أن اليهود لا تعرف شيئاً من هذا ، ولا سمعت أن أسلافها جرى بينهم وبين عيسى هذا المجلس ، ولا سوى ذلك مما تصفون من مزخرفات أصل مزخرفات كتبكم " .

(يوحنا ٣ : ٢٠)

^(٣) نص الإنجيل : " ينبغي أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص " .

^(٤) في ج ، وت : " مفسركم ولطيفكم أعسس " .

إذها إلى الحصن الذي يقابلكما ، فإذا دخلتما ، فستجدان جحشاً^(١) مربوطاً لم يركبه أحد ، فحلاه وأقبلا به إلى^(٢) .

وفي الإنجيل " لمتى " يصف هذا الخبر بعينه ، ويذكر [أنه كان معه أتانة]^(٣) ، فحسبك [هنا] من خلل ووقوع تشكيك .

وفي الإنجيل " للوقا " يخبر عن المرأة التي صببت الطيب على رجلى المسيح ، و [أنكرو ذلك]^(٤) التلاميذ ، وقالوا : هلا تصدقت به^(٥) .

وفي الإنجيل " لمتى " يصف هذا الخبر بعينه [ويذكر] أنها إنما صببت الطيب على رأس المسيح^(٦) .

فما أبعد اليقين عن خبر فيه هذا الاختلاف ؟

وفي الإنجيل أن أم ابني [زبدي]^(٧) جاءت إلى عيسى ، ومعها ابناها ، فقال : ما تريدان ؟

فقلت : أريد أن يجلس ولدىّ : أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ، إذا جلست في ملكك .

فقال : تجهلين السؤال . أيصبران على الكأس الذي أشرب ؟

فقالا : نصر

(١) في ج ، ت : " فلوا " .

(٢) نص الإنجيل : " إذها إلى القرية التي أمامكما وحين تدخلا تجدان جحشاً مربوطاً ، لم يجلس عليه أحد من

(لوقا : ١٩ : ٣٠)

الناس قط ، فحلاه وأتيا به " .

(٣) في ج ، ت : " أنها إنما كانت حمارة متبعة " . قارن متى ٢١ : ١ - ٢ .

(٤) في ج ، وت : " شق على " .

(٥) قارن لوقا ٧ : ٢٦ - ٥٠ .

(٦) متى ٢٦ : ٧ .

(٧) في ج : " سداى " ، وفي ت : " أن أم سداى " .

فقال: سيشر بان بكأس ، وليس تجلسكما عن يميني ، ولا عن شمالي إلا إلى من وهب ذلك إلي^(١).

فها هو ذا عيسى قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء^(٢).

ومن أعجب الأشياء ، إلتماس بعضهم تأويلاً لهذه المقالات الشيعية^(٣).

[فتنقلون من الفلسفة تارة ، ومن العلوم الروحانية أخرى]^(٤) ، حين [لا تجدون لنصوصكم مخرجاً شرعياً]^(٥) .

وأيم الله ! ما يعلم في معمر الأَرْض ديانة يتشرع بها إنسان^(٦) ، تضاد الفلسفات والعقليات التي ادعيتكم تجويز محالاتكم عليها مثل ملتكم^(٧).

ولعمري^(٨) إن العرب ، عبدة الأوثان - الذين بعث الله فيهم سيد النبيين ، والمرسلين ، محمداً ﷺ - كانوا أشد الكفار^(٩) عبادة [للأوثان] ، وأشنعهم إلحاداً [ورغم هذا] فلقد اتقوا من مثل ما أنتم عليه ، حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم :

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾^(١٠)

(١) قارن متى ٢٠ : ٢٠ - ٢٣ .

(٢) ليس هذا النص دليلاً على التناقض في الإنجيل ، وإنما يساق دليلاً على عدم ألوهية عيسى ، لأنه فوض الأمر لله العلى القدير .

(٣) في ج : " البشعة" .

(٤) في ج ، ت : " من فلسفة ، وروحانية " .

(٥) في ج : " يهديكم المقبولات الشرعية " ، وفي ت : " حتى نبذتم المعقولات الشرعية " .

(٦) في ج : " يسرع بها إنساناً " .

(٧) في ج : " من ملتكم " .

(٨) في ج ، وت : " ولقد تعلم " .

(٩) في ج ، وت : " كانوا شر الكفار " .

(١٠) الزمر : ٣

فكأنهم نزهوا الله تعالى ، [إلا أنهم] جعلوا واسطة بينهم وبينه جهلاً منهم .
 ما أين فضل^(١) هؤلاء على من اعتقد أن الله تبارك [وتعالى] ، نزل من السماء عن
 كرسى عظمته ، ودخل في امرأة ، وقام يتخبط تسعة أشهر في بحر^(٢) بين بول ، ودم ، وطمث ،
 ثم خرج بعد ذلك إلى لطم اليهود خديه ، وصفعهم في قفاه ، وبصقهم في وجهه ، ووضعهم
 تاجاً من الشوك على رأسه وقصبة يده استخفافاً به ، وتسميرهم يديه ورجليه في خشبة ،
 وصلبهم إياه عليها^(٣) ، وإيجابه تبارك وتعالى على نفسه اللعنة بذلك ، لأنه تعالى قال في التوراة :
 " ملعون ، ملعون من تعلق بالصليب " ^(٤) .

ولقد جعلتموه سفيهاً حين وصفتموه بهذا وهو قادر ، وأوجبتم شكر اليهود على أنفسهم ،
 فإن فعلهم به أرشد من فعله بنفسه ، حيث أعادوه إلى سمائه ، وصرفوه إلى كرسى عظمته .
 وقد كان سفيهاً بأن أهان نفسه ، وأنزلها في غير نصابها .

نستعيد بالله من شر هذا الإلحاد الذى شرعتموه ، ونستهديه أوضح سبل الرشاد الذى
 حرمتوه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ومما فى الإنجيل عنه من التناقض أنه قال : لا تحسبوا أنى قدمت لأصلح بين أهل الأرض ،
 لم آت لأصلحهم ، لكن لألقى المحاربة بينهم . إنما قدمت لأفرق بين المرء وابنه ، وبين الابنة
 وأمها ، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته^(٥) .

وفى الإنجيل أيضاً عنه أنه قال : إنما قدمت لتحيوا وتردادوا خيراً ، وأصلح بين الناس^(٦) .

(١) فى ج : " ما من فصل " .

(٢) فى ج : " من بحر " .

(٣) قارن ا " متى " ٢٧ : ٢٨ - ٣١ ، " مرقس " ١٥ : ١٦ - ٢٠ ، " لوقا " ٢٢ : ٦٣ - ٦٥ ، " يوحنا "

١٩ : ٥ .

(٤) نص التوراة : " وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل ، وعلقته على خشبة ، فلا تبت جنته على
 الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله " .
 (سفر التثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣)

(٥) قارن متى ١٠ : ٣٤ - ٣٦ .

(٦) هذا النص ترجمة لما تحتويه مرعظة الجليل ، انظر متى : الإصحاح الخامس والسادس والسابع .

ففى الأول جعل المسيح نفسه نعمة على العالم ، وفى الثانى رحمة عليهم ، وهذا كلام نيرى
الحواريين منه .

وأنه قال : من لطمك على خدك الأيمن^(١) فانصب الأيسر^(٢) .

وفى الإنجيل عنه أنه قال : لم آت لأنقض شريعة من قبلى ، إنما جئت لأتمم^(٣) .

وما أشبه هذا ، ثم فيه بعد أحرف قليلة كلام آخر ينقض فيه شريعة التوراة حرفاً حرفاً فى قوله :

أما علمتم أنه قيل للقديس : لا تقتلوا ، ومن قتل فقد استوجب القتل .

وأنا أقول : كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة .

ومن قذف أخاه ، فقد استوجب النفى من الجماعة ، ومن رماه بالحرق ، فقد

استوجب جهنم .

أما علمتم أنه قيل للقديس : من فارق امرأته ، فليكتب لها كتاب الطلاق ؟

وأنا أقول : من فارق امرأته منكم ، فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنا^(٤) ، ومن تزوج مطلقة

فهو فاسق .

وقوله : أما بلغكم أنه قيل للقديس : العين بالعين والسن بالسن ؟

وأنا أقول لكم : لا تكافئوا أحداً بسيئة ، ولكن من لطم خدك اليمنى ، فانصب له خدك

اليسرى ، ومن أراد مغالبتك ، وانتزاعك قميصك ، فزده أيضاً رداءك ، ومن سألك شيئاً فاغظه

ومن استسلفك فأسلفه^(٥) .

أخبرنى أيها المغرور عن هذا الخلاف ! أتعدته تميمياً ، أو نقضاً لشريعة من سبقه ؟

وفى الإنجيل " لمتى " عن المسيح أنه قال " لبطرس " :

(١) فى ج : " بخديك " .

(٢) قارن أ " متى " ٥ : ٣٩ .

(٣) قارن أ " متى " ٥ : ١٧ .

(٤) فى ج : " الزواج " .

(٥) قارن " متى " ٥ : ٢١ - ٤٤ .

طوبى لك يا شعون بن الحمام ، وأنا أقول لك : إنك الحجر ، وعلى هذا الحجر أبني بيتي ، فكل ما حلته على الأرض يكون مخلولاً في السماء ، وما عقده على الأرض يكون معقوداً في السماء^(١) .

ثم فيه بعد أحرف يسيرة يقول له - أي " لبطرس " :

إذهب [عنى] يا شيطان ، ولا تعارضنى ، فإنك جاهل^(٢) .

فكيف يكون شيطاناً جاهلاً ويطيعه صاحب السماء ؟

وفي الإنجيل أيضاً نص [يفيد] أنه لم تلد النساء مثل يحيى ، هذا ما جاء في إنجيل

[متى]^(٣) .

ثم في إنجيل يوحنا: أن يحيى بعثت إليه اليهود من يكشفون لهم عن أمره ، فسألوه من هو :

أهو المسيح؟

قال: لا

قالوا: أحررنا من أنت ؟

قال: أنا صوت صارخ في البرية^(٤) .

إلى كلام كثير ينفى [فيه] عن نفسه ، كونه المسياً ، أو كونه نبياً^(٥) ولا يجوز لئنى أن

ينكر نبوته .

وقال في هذا الكلام [حين]^(٦) ذكر عيسى : أنه لا يصلح أن يحل شركاء نعله^(٧) ، وسماه

(١) قارن " متى " ١٦ : ١٧ - ١٩ .

(٢) قارن " متى " ١٦ : ٢٣ .

(٣) قارن " متى " ١١ : ١١ .

(٤) في ج ، وت : " أنا صوت مناد في المفاز " .

(٥) قارن " يوحنا " ١ : ١٩ - ٢٧ .

(٦) في ج ، وت : " وقد " .

(٧) في ج : " شركاء عينيه " .

حمل الله^(١) ، وأنتم تقولون : هو الله .

وكذلك تنالون من الإنجيل الذى بأيديكم [حين تدعون] أنه لا نبي بعده ، [أى بعد عيسى ، ثم تثبتون] فيه أيضاً : أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء منهم " برنابا" ، و " سمعان " ، " ولو كيوس " ، و " مناين " ^(٢) .

وكذلك فى كتبكم : أنه قام أنبياء الله من البيت المقدس ، وقام آخرهم - وكان يتيماً [اسمه] " أغبانوش " - فتنبأ [بقحط شامل وجماعة عامة] ^(٣) .

وفىها [أى الكتب] : أن " جرجس " [جاء] بعده ، وبعث إلى مالك الموطى وهو من أهل فلسطين ، وكان قد أدرك بعض الحواريين .

فأنتم القائلون أن لا نبي بعد المسيح ، وأنتم المصدقون بنبوة هؤلاء كلهم ، ولم يكن لهم من الذكر فى الكتب ، ولا [فى أخبار الأنبياء] مثل ما للذى كفرتم .

وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم ، وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل .

ومن طالع كتبكم ، وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضى له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أهل سبأ ، وأنكم لا تلتزمون مذهباً ، [وليس هذا بغريب] فأناجيلكم [ما هى إلا] حكايات ، وتواريخ ، وكلام كهنة ، وتلاميذ وغيرهم حتى أني أحلف بالذى لا إله إلا هو ، أن تاريخ الطبرى عندنا أصح نقلاً من الإنجيل ، ويعتمد عليه العاقل أكثر ، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن يبنى عليه شئ من أمر الدين ، وإنما هو فكاهات فى المجالس .
وتقولون مع ذلك : إن الإنجيل كتاب الله ، أنزله إلينا ، وأمر المسيح باتباعه .

^(١) فى ج ، ت : " حروف " بإهمال الأول ، لكن فى الإنجيل (حمل) انظر يوحنا ١ : ٣٦ .

^(٢) فى ج : " فأربه (بدون نقط) وشمعون ، ولو موسى (بدون نقط) وما ثلل ، وهذا خطأ ، إذ جاء فى أعمال الرسل الإصحاح الثالث عشر : " وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون : " برنابا " ، " سمعان " الذى يدعى " نيجر " ، " ولو كيوس " القيراوانى ، " مناين " الذى تربى مع " هيرودوس " رئيس الربيع ، و " شارل " .

(أعمال الرسل ١٣ : ١)

^(٣) فى ج : " فتنبأ وقال : إنه يكون فى بلاد جماعة ، وقحط شديد " .

فليت شعرى ! أين هذا الإنجيل المترل من عند الله ! وأين كلماته من بين هذه الكلمات [إن] الذى تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظاً - وهو قليل - لا يلزم أن يكون مترلاً من عند الله ، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ، ومن مقتضى الطباع البشرية ، وغير ذلك ، فهذا كله ليس من عند الله ، فنحن لا نقول : إن كل ما تكلم به محمد عليه السلام قرآن ، وقد نقل عنه القرآن - الموحى به من ربه لفظاً - نقلاً متواتراً ، يقطع بصحته الخلف والسلف أما أنتم فلا يتعين لكم شئ مما أنزل الله أبداً ، فضلاً عن نقله بعد تعيينه .

[إبطال دعوى صلب المسيح من الإنجيل]

ثم قلت : إنه لا ينكر صلبه [أى عيسى] إلا كافر ، وما ذلك إلا ضلالات ابتدعتها ، ومحالات على رعاى الأعاجم أجزئوها ، وأتم الله ! إنكم لفي شك منه ، ما لكم به من علم ! اتباع الظن^(١).

والأفحبرنى أيها المغرور ! ما معنى قول "يهودا الأسخريوطى"^(٢) [وهو من الحوارين ، تلاميذ المسيح ، ارتد عنكم بزعمكم] ودل عليه بظنكم ، حين خرج مع اليهود إلى طلبه ، قال لهم : إني لأسحتى منه ، [ولذا فسوف] أجعل الأمانة عليه - حيث أنكم لا تعرفونه بعينه - أن أقبله ، فإذا فعلت فأنتم وذاك^(٣).

فهذا يشهد أن اليهود لم تكن تعرفه ، وهذا منصوص فى إنجيلكم^(٤) ، ومن نصوصكم

(١) ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الْآلِيْنَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (النساء : ١٥٧)

(٢) فى ج ، ت : " اليهود الإشكوريوت " .

(٣) نص الإنجيل : " والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلاً هو الذى أقبله أمسكوه " . (متى : ٢٦ : ٤٨)

(٤) فى ج : " هذا فى إنجيلكم أيضاً " ، وفى ت : " وهذا فى أناجيلكم ، وفى نصوصكم أيضاً " .

أيضاً أنهم حين أحاطوا بعيسى ومن معه ، خرج بنفسه إليهم وقال : من تطلبون ؟
قالوا : يسوع الناصرى^(١) .

قال : أنا هو

فنظروا إلى يهوذا [نظرة تساؤل عن الإشارة التي اتفقوا معه عليها ، ففعلها]^(٢)
فقبضوا^(٣) عليه بظنكم^(٤) .

أخبرني ا

كيف أمنتهم [والحال كما رويتهم] أن يكون قد عمدت إلى سواه - [حيث] كانت لا تعرفه -
ورفعه الله ، كما رفع أحنوخ النبى^(٥) .

(١) في ج : " باشر القازرى " .

(٢) في ج : " فنظروا إلى أن أظهر يهوذا الأمانة " .

(٣) في ج : " فقبضوا " .

(٤) اتفقت الأناجيل الثلاثة - " متى " ، ومرقس " ، و " لوقا " - في رواية القبض على عيسى عليه السلام - كما يزعمون - ، إذ نصت على أن " يهوذا الإسخريوطى " قبّل عيسى ، عرفه الجند ، فقبضوا عليه ، وعالفهم في ذلك " يوحنا " فقد جاء في إنجيله :

" فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفرسيسين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصاييح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى ، قال لهم يسوع : أنا هو ، وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم ، فلما قال لهم : إني أنا هو ، رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضاً : من تطلبون ، فقالوا : يسوع الناصرى ، أجاب يسوع : قد قلت لكم إني أنا هو ، فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون ، ليتم القول الذى قاله : إن الذى أعطيتنى لم أهلك منهم أحداً .. ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به " .
(يوحنا ١٨ : ٣ - ١٢)

(٥) في ج : " حنوخ " ، فاسمه في التوراة العبرية : " حنوخ " وفي الترجمة العربية " أحنوخ " من هو " أحنوخ " هذا ؟
جاء ذكره في الكتاب المقدس خمس مرات :

(أ) أحنوخ بن يارد بن مهليل بن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم عليه السلام (التكوين ٥ : ١ - ٢٠) ، ثم أخبر أن الله أخذه : " وسار " أحنوخ " مع الله ، ولم يوجد ، لأن الله أخذه " .
(التكوين ٥ : ٢٤)

(ب) ذكر كاتب " أخبار الأيام الأول نسبة ، وهو مطابق لما ورد في سفر التكوين " (١ - ١)

(ج) كذلك أوردته " لوقا " في إنجيله ، عندما تحدث عن نسب المسيح ، فاتفق مع سابقه في سلسلة نسبه - أى

أخنوخ - (حتى آدم عليه السلام) . (لوقا ٣ : ٣٧)

(د) جاء في الرسالة إلى العبرانيين : " بالإيمان نقل " أخنوخ " لكي لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله " .

(١١ - ٥)

" اتفق هذا النص مع نص سفر التكوين ، وإن اختلفت الألفاظ ، ففى سفر التكوين : " .. أخذه .. " ، وهنا : " .. الله نقله " ، فاليهود والمسيحيون يفسرون كلا التعبيرين بأن الله رفعه إلى السماء .

(هـ) أما ما حكى في " رسالة يهوذا " فلم يخرج عن كونه إخباراً بأن : " أخنوخ " هو النبي السابع بعد آدم ، بلغ

رسالة ربه إلى الناس ، مبنياً لهم أنه سوف يعاقب الفجار على ما اقترفت أيديهم .. إلخ " .

(قارن " رسالة يهوذا " ١٤ - ١٦)

يتضح من هذه النصوص اتفاق الكتاب المقدس بقسميه : العهد القديم ، والعهد الجديد - على :

- سلسلة نسب " أخنوخ " .

- وأن الله رفعه حياً .

ماذا تقول المصادر الإسلامية عنه ؟

لم يذكر القرآن الكريم هذا الإسم إطلاقاً ، إلا أن المؤرخين عندما تحدثوا عن إدريس عليه السلام ، قالوا إنه ابن يارد ابن

مهليليل بن قينان بن أنوش ابن شيث بن آدم عليه السلام ، واسمه في التوراة " أخنوخ " .

ثم رووا قصة عن كعب ، تفيد أن الله رفعه إلى السماء ، رداً على سؤال لابن عباس عن تفسير قوله تعالى :

(مرم ٥٧)

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

(أنظر: ابن كثير: قصص الأنبياء - ج ١ ص ٧١ - ٧٥ ، والثعالى ص ٤٢ - ٤٣ ، والطبرى : جامع البيان في تفسير القرآن: ج ١٦ ص ٧٢)

ولا يخفى أن هذا كله إسرائيليّات ، إذ تدل الآية القرآنية على أن الله رفع قدره ، لا على أنه رفعه إلى السماء ،

فتوجيهها إلى المعنى الذى روى عن كعب متأثر بتيار انتشار الإسرائيليات في المجتمع الإسلامى .

كذلك اعتمد المؤرخون في نسب " إدريس " عليه السلام على ما جاء في الكتاب المقدس بشأن " أخنوخ " ، ويبدو لى

أن ولوعهم بذكر نسب كل نبي ورد اسمه في القرآن ، دفعهم إلى القول بأن " إدريس " هو " أخنوخ " ، إذ عندما تصدوا

لكتابه قصص الأنبياء ، وجدوا أن القرآن الكريم أشار إلى بعضهم إشارات عابرة - لأنه ليس كتاب قصص في المقام

ولعلكم صدقتم [يهوداً] الإسخريوطي^(١) في دلالة عليه، [و] في نص إنجيلكم، أنه مرتد كافر، ملعون، فشهادته إذن غير جائزة، أو لعله عندما عاينه، وأدركته الندامة، جعل الأمانة على غيره من التلاميذ، وسارع التلميذ إلى وقايته بنفسه.

والدليل على قيام هذا الاحتمال أنه في نص الإنجيل الذي بأيديكم، أن "يهوداً الإسخريوطي" أدركته الندامة حينئذ، و[أعاد] ^(٢) لهم الثلاثين درهما التي كان باعه بها، إذ أعلمهم أنه ليس [هو] ذلك [المقبوض عليه].
فقال له اليهود: وما علينا^(٣)!

فأنت ترى هذه الندامة، وهذا القول لليهود (وتقرأها في) أناجيلكم^(٤) وقلتم: إنه

الأول، بل هو تشريع -، لذا بحثوا عما سكت عنه في الكتاب المقدس، فكان عملهم هذا غير علمي - في محيط المجتمع الإسلامي - إذ المصدر الذي يعتمد عليه في البحث العلمي، يشترط فيه أن يكون صحيحاً، وخاصة ما يتعلق بشرح ما جاء في القرآن الكريم، وعليه فقول المؤرخين المسلمين: إن "إدريس" هو "أخنوخ"، يفتقر إلى دليل صحيح من مصادر التشريع الإسلامي.

^(١) في ج، و ت: "الإشكريوث".

^(٢) في ج: "حرف".

^(٣) قارن متى ٢٧: ٣ - ٤.

^(٤) تلخص ملاحظات أبي عبيدة التي استنتجها من الإنجيل للتدليل على أن الشخص الذي صلبته اليهود لم يكن عيسى فيما يلي:

(أ) لم يكن عيسى بشخصه معروفاً لدى رجال الشرطة، التي أمرت بالقبض عليه، ولذا أخذوا معهم "يهوداً الإسخريوطي" ليعينه لهم.

(ب) ثبت أن يهوذا ندم على استعداده لمعاونة الشرطة، في تعيين شخص عيسى من بين التلاميذ، وورد لهم المبلغ الذي أخذه منهم.

(جـ) - يحتفل بناء على هاتين الملاحظتين - وهما مذكورتان في الإنجيل نصاً - أن يهوذا أدركته الندامة قبل وصوله مع رجاله الشرطة إلى المكان الذي فيه عيسى مع تلاميذه ، فعين لهم أحد التلاميذ على أنه عيسى ، ولم ينكر التلميذ رغبة في إنقاذ معلمه فأخذ وصلب .

ولا يرفع هذا الاحتمال ذهاب مريم المجدلية إلى القبر ، وإخبارها بقيام عيسى الصلب ، لأنها لم تكن مع التلاميذ ، حين ذهبت الشرطة للقبض عليه ، ولم يخبروها بأن المقبوض عليه ليس عيسى ، حتى لا يتشر الخبز ، فتعاود السلطات البحث عن عيسى ، كذلك لم يكذبوها حين روت أنه قام من قبره ، لأن في ذلك رفعاً لشأنه ، وعاملاً قوياً لحمل الناس نفسياً على الإيمان بالمسيحية .

اعتقدت مريم بأن المصلوب هو عيسى ، فصدمت نفسياً ، ولم تصدق الواقع ، فأمنت - تحت تأثير الصدمة - بإمكان رجعت بعد موته ، وتلك ظاهرة معروفة في كل الجماعات الدينية ، فإننا " إذا تتبعنا تطور الجماعات الدينية في مجتمعاتنا ، وجدنا أن عقيدة الرجعة لإنسان معين تتم عن تقدير المعتقد لهذا الإنسان المعين ، وعن حبه له ، بل عن شدة الوله به ، وعن هذا الحب الشديد ، والرغبة المتزايدة في الحرص على بقائه ، ومعادته ، بنشأ شك الحب في قتل من يحبه أو موته ، لو سمع بأنه قتل ، أو مات . فإذا اصطدم بالحقيقة الواقعة ، وهى أنه لم يعد يراه يقظة ، ولم يعد يتحدث إليه مشافهة بعد فوات وقت طويل على ذلك ، لم يصدق بموته أو قتله ، وإزاء هذا يؤمن بغيبته فحسب . ثم بناء على ذلك بأوبته ورجعته يوماً ما ، طالت فترة الغيبة أم قصرت ، لأن الحب القوي يخلق أملاً قوياً قد يتعارض مع واقع الأمر ، والنفس موزعة بين الأمل القوي ، والواقع الذي لامراء فيه ، لا تركز إلى طرف منهما ، وهذه حال الشك ، ولكن عيشة النفس في الأمل أهدأ وأرغد ، لأن متعتها فيه أطول ، ولأنه ملجؤها عند فراها من الواقع ، ولهذا تُرَجَّح البقاء فيه عن الغزل إلى عالم الحقيقة ، وهذا هو ترجيح أحد طرفي الشك ، وهو هنا ترجيح غيبة المحبوب ، دون الاعتقاد بقتله ، أو موته الذي يمثل الواقع ، ثم يصبح هذا الترجيح عقيدة بالغيبة .

فإذا اطمأنت النفس عندئذ إلى غيبة المحبوب ، تحول هذا الإطمئنان إلى أمل قوي في عودته ، لأنها شديدة الحرص من قبل على رؤيته يقظة ، ومشافهته في الحديث ، ثم يتحول هذا الأمل بعد مرور فترة أو فترات عليه إلى عقيدة برجعته .

(البهي : الجانب الأملى - ص ٩٢ - ٩٣)

اشتد هذا الأمل عند مريم ، فتخيلته واقعاً ، فأخبرت بأنها رأت عيسى الصلب ، وكلمها ولم يكن ذلك سرى هوأحس النفس ، التي لا تدعن للواقع من شدة ما ألم بها من الحزن .

خنتق^(١) نفسه^(٢) وتأويل المفسرين منكم في خنتق نفسه : أنه^(٣) أراد الإسراع عاجلاً إلى جهنم ، قبل نزول عيسى إليها ، ليخرج^(٤) من فيها حين فداهم بدمه من عذابها ، فأراد يهوذا أن يكون من جملة المخرجين .

وقلتم : إن عيسى أبي إلا أن يكون (أى يهوذا) فيها من المخلدين^(٥) .

فأما^(٦) اليهود فإنما قتلت رجلاً لم تعينه - بإقرار كتابكم - ، ولم تعرفه^(٧) إلا بشهادة يهوذا الإسخريوطى ، أنه ذلك المطلوب ، وأما أنتم فلا كتاب عندكم صادق بتحقيق ذلك ، ولا خبر قاطع للحجة .

كيف لا ، ونصوص الإنجيل ، والكتب النصرانية ، متضافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام ووقوع الشبه على غيره ، وذلك من وجهين :

أحدهما : جاء في الإنجيل أن المصلوب قد استسقى اليهود ، فأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ، فذاقه ولم يشربه ، فنادى : إلهى ! إلهى ! لم خذلتنى ؟ والأناجيل كلها مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوماً وليلة ، ويقول للتلاميذ : إن لى طعاماً لستم تعرفونه ، ومن يصير على العطش والجوع أربعين يوماً وأربعين ليلة ، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد ! هذا لا يفعله أدنى الناس ، فكيف بخواص الأنبياء ؟ أو كيف بالرب تعالى ، على ما تدعونه ؟ فيكون حينئذ المدعى للعطش غيره ، وهو الذى شبه لكم .

(١) في ج : " خلق " .

(٢) متى ٢٧ : ٥٠ .

(٣) في ج : " إذا " .

(٤) في ج : " فيخرج " .

(٥) يشير بذلك إلى ما ورد في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام : " .. ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان ، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد " .

(مرقس ١٤ : ٢١)

(٦) في ج : " وأما " .

(٧) في ج : " لا تعينه ولا " .

ثانيهما: إلهى ! إلهى ! لم خذلتني ؟ هو كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى ، وعيسى عليه السلام متره عن ذلك فيكون المصلوب غيره ، ولا سيما وأنتم تقولون : إن المسيح عليه السلام نزل ليؤثر العالم على نفسه ، ويخلصه من الشيطان ورجسه ، فكيف تروون عنه ما يؤدى إلى خلاف ذلك ؟ مع روايتكم فى توارتكم أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت ، كانوا مستبشرين بقاء ربحم ، فلم يجزعوا من الموت ولم يهابوا مذاقه ، ولم يعيبوه ، مع أنهم عبيد الله ، والمسيح - بزعمكم - ولد [الله] ، ورب ، فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم ، ولما لم يكن ذلك دل على أن المصلوب غيره .

ولعلك تقول : إن القول بإلقاء الشبه على عيسى عليه السلام يفضى إلى السفسطة والشك فى الحقائق ، والدخول حينئذ فى الجهالات ، وما لا يليق بالعقلاء ، لأننا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره ، فإن الإنسان إذا رأى ولده لم يثق بأنه ولده ، ولعله غيره ألقى عليه شبه ولده ، وكذلك القول فى امرأته وسائر معارفه لا يثق الإنسان بأحد منهم ولا يسكن إليه .

ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه ، وأن كل واحد من معارفه هو من غير شك ولا ريبه ، بل القول بالشبه يمنع الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله ، ولعله مكان آخر ، ألقى عليه الشبه ، فلا وثوق بوطنه ، ولا بسكنه ، ولا بإلفه ، ولا بشئ مما يعرفه . بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه ، ثم فتحها فى الحال ، ينبغى له أن لا يقطع أنه صديقه ، لجواز أن يلقى شبهه على غيره .

لكن جميع ذلك خلاف الضرورة ، فيكون القول بالشبه محال ، كالقول : إن الواحد نصف العشرة ، والمثلث هو عين المربع .

ويكون قصدك من ذلك كله أن يكون المصلوب هو عين عيسى عليه السلام ، فإن قلت ذلك ، أجبك بما يلى :

إن قولك هذا تمويل ليس عليه تعويل ، لأن البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله خلق الإنسان وجملة أجزاء العالم ، وأن حكم الشئ حكم مثله ، فما من شئ خلقه الله تعالى فى العالم إلا وهو قادر على خلق مثله ، إذ لو تعذر خلق مثله ، لتعذر خلقه فى نفسه ، فليزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلاً ، بل جملة العالم ، وهو محال بالضرورة .

وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شئ في العالم ، فجميع صفات جسد عيسى عليه السلام لها أمثال في حيز الإمكان في العدم ، يمكن خلقها في محل آخر غير جسد عيسى عليه السلام ، فيحصل الشبه قطعاً .

والقول بالشبه قول بأمر ممكن ، لا بما هو خلاف الضرورة ، ويؤيد ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية في عصاة موسى عليه السلام ، وهو أعظم من الشبه ، فإن جعل حيوان يشبه حيواناً أقرب من جعل نبات يشبه حيواناً ، وقلب العصا حية تسعى مما أجمع عليه اليهود والنصارى ، كما أجمعوا على جعل النار لإبراهيم عليه السلام برداً وسلاماً ، وعلى قلب الماء حمراً ، فإذا جوزتم مثل هذا ، جوزتم أيضاً إلقاء الشبه من غير استحالة^(١) .

ثم إن الإنجيل عندكم ناطق بأن عيسى عليه السلام نشأ بين ظهور اليهود في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم ، يعظّمهم ويعلمهم ، وينظرهم ، ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله ، حتى كانوا هم يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ أليست أمه مريم ؟ أليس أخواه عندنا ؟ فمن أين له هذه الحكمة ؟

وإذا كان كذلك في غاية الشهرة والمعرفة عندهم ، فلم نص الإنجيل على أنهم وقت ما أرادوا القبض عليه لم يحققوه ، حتى دفعوا لأحد تلاميذه - وهو يهوذا - ثلاثين درهماً ليدهم عليه ، فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان ، ومعه جماعة من اليهود ، ومعهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة ، وقال لهم التلميذ المذكور : الذي أُقبِله هو المطلوبكم فامسكوه .

فلما جاء قال : السلام عليك ، ثم قَبَله ، فقال له يسوع : لماذا جئت يا صاحب ؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه ، وتركه التلاميذ كلهم وهربوا ، وتبعه (بطرس) من بعيد ، فقال له رئيس الكهنة : أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا ، هل أنت المسيح ؟ فقال له المسيح : أنت قلت ذلك ،

(١) راجع تفسير آخر لكيفية إلقاء الشبه في ص ١٥٣ ، مہموشة رقم ٤ .

ورأى أقول لكم : إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان ، حتى تروه جالساً عن يمين القوة ، آتياً في سحاب السماء^(١).

فلا شك أن هذا الالتباس العظيم مع تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاث سنين في المحاورات العظيمة ، والمجادلات البلغية ، كلها تدل على وقوع الشبه قطعاً ، خصوصاً أن في الإنجيل ، أنه أخذ في حندس من ليل مظلم من بستان ، فشوّهت صورته ، وغيّرت محاسنة بالضرب والسحب وأنواع النكال ، ومثل هذه الحالة توجب الالتباس بين الشيء وخلافه ، فكيف بين الشيء وشبهه ، فمن أين لكم ، أو لليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى عليه السلام دون شبهة ؟ بل إنما حصل الظن والتخمين ، كما قال الله تعالى :

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ﴾^(٢).

ثم في الإنجيل أيضاً : أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان ، فجاء اليهود في طلبه ، فخرج إليهم عليه السلام ، وقال لهم : من تريدون ؟ قالوا : يسوع ، وقد خفى شخصه عنهم ، ففعل ذلك مرتين (يوحنا ١٨ : ٤ - ٨) وهم ينكرون صورته ، وما ذلك إلا دليل الشبه ، ورفع عيسى عليه السلام ، لا سيما وقد حكى بعض منكم ، أن المسيح أعطى قوة التحول من صورة إلى صورة .

قال متى في إنجيله (متى ٢٦ : ٣١ - ٣٤) : بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع عليه السلام قال : كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة ، فإنه مكتوب أني أضرب الراعي فتفترق الغنم . فقال (بطرس) : فلو شك جميعهم ما أشك أنا .

فقال يسوع : ألحق أقول لك : إنك في هذه الليلة تنكرني قبل أن يصيح الديك . فقد شهد عليهم بالشك ، بل على خيارهم ، " بطرس " ، فإنه خليفته عليهم ، فقد انخرم حينئذ الوثوق بأقوالكم ، وحزم بإلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام .

(١) قارن متى ٢٦ : ٦٣ - ٦٤ .

(٢) النساء : ١٥٧ - ١٥٨ .

وصح قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾^(١).

ومثل هذا كثير.

ومن هنا نعلم أن هذه الأناجيل ليست قاطعة في صلبه ، بل فيها اختلافات وشكوك كثيرة ، كما قدمت لك ، وإن أردت أن أزيدك توضيحاً ، تذكر ما فعله [يهوذا] ، ويحتمل أن يكون قد كذب في قوله لليهود ، ويدل على وقوع ذلك منه ، ظهور منه الندم بعد ذلك .

وقول المسيح عليه السلام : يا صديق ويا صاحب ! لم أقبلت ؟ ولو كان مصراً على الفساد ما سماه صديقاً .

ثم لا تنسى أن الإنجيل شهد أن المسيح عليه السلام ، شهد للتلاميذ الإثني عشر بالسعادة (متى ١٩ : ٢٨) ، وشهادته حق ، ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم ، إذا شرع فيه ، ويهوذا أحد الإثني عشر فيلزم :

إما أن يكون يهوذا لم يدل عليه .

أو يكون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق .

أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل .

فاختاروا لكم واحدة من هذه الثلاث .

ثم لنا قول آخر هو : يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب في الجماعة الذين أطلقهم الأعوان ، وكان المتكلم معهم غيره ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام .

وهكذا ليس يبعد في أتباع الأنبياء عليهم السلام ، فكيف أتباع الإله على زعمكم ؟ ويمكن أن الأعوان قد اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه ، كما أخذوا رداء الشاب الذي كان يجرى وراءه عند القبض وأطلقوه أيضاً .

ثم إذا نقلتم أن يهوذا الحوارى مع جلالته قبل الرشوة ، على أن يعين على أخذه ، فقبول الأعوان الرشوة لإطلاقه أقرب .

(١) النساء ١٥٧ .

ثم هل يستحيل أن يكون الله تعالى قد صور لهم شيطاناً أو غيره بصورته فصلبوه ، ورفع المسيح ^(١) ؟ . يدل على ذلك أنهم سألوه ، فسكت .

وفي تلك السكنة تتعين النكته ، وهذا ممكن ، والله تعالى على كل شيء قدير ، وإذا كان ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه ، كما بينا لكم وجوه احتمالات ما نقلتموه ، واليهود ليسوا قاطعين بذلك ، لأنهم اعتمدوا على قول " يهوذا " ، فأى ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب على زعمكم ؟ إن هذا لمن عجب العجاب !^(١)

[إبطال دعوى الصلب بدليل تاريخي]

وإنما قيل لكم بعد نحو^(٢) مائتين وثلاثين من السنين :
إنه قد كان في سالف الدهر رجل من أمره كذا ، وبأضغاث أحلام من امرأة اسمها [مرم المجدلية]^(٣) ، ادعت أنها رأت في منامها هذيانات ، فقبلتم بأقوالها ، وشرعتم بها من غير يقين^(٤) ، ولا تواتر متصل ، وسمع ذلك القيصر ابن " هيلانة " ^(٥) ، حين كثر عدوه وكاد ملكه يذهب ، لاختلاف^(٦) رعاياه وأنصاره من الروم عليه ، فأراد أن يجعلهم على شريعة ، ينظم بها سلوكهم ، ويؤلف متفرقهم ، فاستشار من لديه من أهل النظر ، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم ، ليكون ذلك أقوى ، لارتباطهم معه ، وأكد يجدهم في نصرته ، فوجد اليهود

(١) زيد في ع من : " كيف لا ونصوص الإنجيل .. (إلى) عجب العجاب " .

(٢) في ج ، وت : " زمان " .

(٣) في ج ، وت : " اسمها إلا أنه .. " .

(٤) في ج : " من غير نفس " .

(٥) في ج ، وت : " غير أن " قسطنطين " قيصر الملك بن هلاق " .

(٦) في ج : بإختلال "

يزعمون أن في بعض تواريخهم خبراً عن رجل ، كان منهم ، همّ بنسخ حكم التوراة والانفراد^(١) بالتأويل فيها ، فطلبوه^(٢) وهو في نفر [يسير]^(٣) ، وظفروا بواحد اعتقدوا أنه المطلوب^(٤) فصلبوه ، وما عندهم تحقيق بكونه ذلك المطلوب بعينه ، إلا فقدهم إياه من حينئذ^(٥) ، فعمد " قسطنطين " إلى من وجد من أمة عيسى ، [فوجدهم] قد اختلفت آراؤهم^(٦) بعد المسيح بأربعين سنة ، والتفت إليهم غير محسوسين في الأرض لا يظفر بواحد منهم إلا قتل ، ومثّل به ، فاستخرج " قسطنطين " ما بقى من رسم الشريعة بأيديهم ، وجمع عليه وزراءه ، فأثبت ما شاء ، وما رآه موافقاً لاختياره :

كالقول بالصلوية ، ليتعبد قومه بطلب الدم .

والقول بترك الختان ، لأنه شأن قومه .

ثم [أكد ذلك بـ] خلق منامه ، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر ، فجمع أنصاره ورعاياه من الروم ، وذلك على رأس سبع سنين من ملكه^(٧) .

فلما اجتمع إليه أنصاره ورعاياه ذكر لهم ، أنه كان يرى في منامه آتيا أتاه ، فيقول له : بهذا الرسم تغلب ، ويعرض عليه هيئة الصليب ، فأعظمت ذلك العامة ، ثم بعث إلى [امرأة كانت] كاهنة في ذلك الزمان ، وكانت ذات جأش وقوة ، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى ، فقوى تصديق العامة لذلك .

(١) في ج ، ت : " وينفرد " .

(٢) في ج : " تعهدوا " ، وفي ت : " فعمدوا إليه " .

(٣) من ع .

(٤) في ج ، ت : " أنه ذلك المطلوب " .

(٥) في ع : " ولم يحققوا أنه هو إلا بكونه لم يوجد بعد ذلك " .

(٦) في ج ، ت : " دعاويها " .

(٧) قسطنطين (٢٧٤ - ٣٢٧ م) امبرطور رومان تولى الحكم في عام ٣٠٦ ، ولم يعمد إلا على سرير الموت .

وفي هذا كله لا يعلمون لذلك الرسم تأويلاً ، و [لم يكن] " قسطنطين " [قد] كشف لهم شيئاً من أمره وخرج بهم إلى عدوه ، ووعظهم ، وهَوَّل عليهم أمر الرسم ، فحصل له كل ما أراد من جد القوم ، واجتهادهم معه .

فلما عادوا إلى أوطانهم سألوهم عن تأويل ذلك الرسم ، وألحوا عليه فيه ، فقال : " أوحى إليّ في نومي أنه كان الله تعالى هبط من السماء إلى الأرض فصلبته اليهود "

فهاهم ذلك كثيراً مع ما [تقدم] عندهم من تصديقه ، وعظم عليهم الخطب فيه ، فانقادوا إلى " قسطنطين " انقياداً حسناً ، وضح له منهم ما أراد ، وشرَّع لهم هذه الشرائع [التي بأيديهم إلى اليوم أو أكثرها] ^(١) .

وقد ظهر لجماعة من أهل العلم غير أولى الشرائع في ذلك الزمان ، أن هذا الشخص الذي تعظمه النصارى ، وتصفه بالالوهية ، لم يكن و [ولا وُجد] ^(٢) في العالم ، ولكن " قسطنطين " ابتدع ذلك كله ، واتفق مع نفر من أجباز اليهود ، وعلمائها على [أن يعطى لهم ما يطلبونه] ^(٣) من متاع الدنيا ، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود فصلبته ، وأن تضع الأجباز ذلك مسطوراً عند اليهود ، ففعلت وألقت من أخباره شيئاً ، وشهدت أن ذلك القول ، جمع بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل ، فبقيت النصارى على ذلك ، والأحداث في شريعتهم مع إفتراءات بمنامات تدعيها النساء ، ومن لا يوثق به ^(٤) ، فيدون ذلك ، ويتشرع به زائداً على ^(٥) ما كان بأيديهم .

فلما ^(٦) بعث الله رسولاً كريماً ، وأنزل عليه كتاباً حكيماً ، وأيده بالآيات ، وأنجده

^(١) في ج ، ت : " على بعض ما هي عليه " .

^(٢) في ج ، ت : " لم يكن وجوده في العالم " .

^(٣) في ج ، ت : " على أن يبذل لهم ما شاءوا " .

^(٤) في ج : " ومن لا يؤثر " .

^(٥) في ج ، ت : " إلى " .

^(٦) في ج : " فلما أن " .

بالمعجزات ، فصدع بالحق المبين ، وقطع الشك باليقين ، نكصتم على أعقابكم ، ومن
نكص على عقبيه فلن يضر الله شيئاً .

وأما قولك :

" فأخذوه ، وصلبوه ، وغار دمه في إصبغه ، لأنه لو وقع منه شيء في الأرض ليست ، إلا
شيء وقع فيها فنبت في موضعه النوار" .

فهذا من أعجب ما قيل ، ولا احتياج إلى مجاوبتك ، ولعمري لو أن شيطاناً يتقول على
لسانك ، وهو يريد الإضحاك بك ، ما بلغ منك ما بلغت من نفسك بهذا القول .

[إبطال دعوى صلب المسيح بالأدلة العقلية]

ثم قلت : " إنه لم يمكن أن ينتقم الله من عبده العاصي آدم الذي كلمه ، واستهان بقدره
لاعتلاء جلالة السيد ، وسقوط منزلة العبد ، أراد أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله ،
فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح (عليه السلام) " .

أخبرني أيها المخدوع أولاً عن هذه المماثلة كيف وجبت لعيسى بالله تعالى ؟ [ثم] إذا
كان الله لم يرد الانتقام من آدم لاعتلاء قدر السيد ، وسقوط منزلة العبد ، فالأولى أن يعفو عن
الذنب ، ويتوب على المذنب .

وإن الأبعد عنه ﷺ أن يعاقب أحداً بذنب غيره ، [إن هذا] لغاية الظلم
[ونهاية الجور] .

أبيت التسوية^(١) احتيالاً للصلوبية وإثباتها ، ونسبت إلى الله [تعالى] ما ينسب إلى الأشرار
الآدميين من الحقد ، والغائلة ، ونفيت عنه ما يليق به ﷺ من العفو والصفح ، وقلبت : إنه

(١) في ج : " فأتيت من الظلم الثواب " بدون نقط على الكلمة الأخيرة.

انتصف من الإنسان الذى هو إله مثله .

وفى [اعتقادكم وفى] الإنجيل الذى بأيديكم أن الصلب لحق جسم عيسى المتخذ من آدم ، وأن النصف اللاهوتى لم يلحقه الصلب ، ومخالفة ذلك عندكم كفر .

فإذا كان هذا ، فإلى الآن لم ينتقم الله ، ولا انتصف من إله مثله كما قلت ، إنما انتصف ، وانتقم من إنسان من نسل آدم ، فكيف ينبغي لله أن يظلم إنساناً فيعاقبه بذنب جده ؟ وكيف أجزت^(١) [لنفسك] أن تقول : انتصف من إله مثله ؟ ما أبين خلل هذه المقالات ، و[أوضح]^(٢) ضلالها!

أخبرنى أيها المغرور عن رجل أخطأ عبده [فى حقه]^(٣) ، فبقى بعده مدة غاضباً عليه ، [ساكناً] على معاقبته، حتى ولد لنفسه ولداً ، فعمد إلى قتله^(٤) بذنب العبد الذى كان أذنب له! ألسنت ترى ذلك من قتله ولده [أنه أراد أن] يشفى نفسه على ذلك العبد ، [فأصبح]^(٥) ذلك زائداً فى كربه ، وداعياً إلى دوام حزنه ؟

وهل يحدث هذا على نفسه^(٦) عاقل أو من لا عقل له ؟

إن الذى دعاكم إلى القول بصلب عيسى ، ما أقرتم به من الفداء حين قلتم : إن آدم وجميع ولده إلى زمان عيسى كانوا كلهم ثاوين فى الجحيم بخطيئة أبيهم آدم ، حتى فداهم عيسى بإهراق دمه عنهم فى خشبة الصلب ، ثم نزل [فى ذلك الوقت]^(٧) إلى الجحيم ، وأخرج منها جميعهم إلا " يهوذا الإسخريوطى " .

(١) فى ج ، ت : " استجزت " .

(٢) فى ج ، ت : " أبدى " .

(٣) فى ج ، ت : " عليه " .

(٤) فى ج ، ت : " فقتله " .

(٥) فى ج ، ت : " ف يكون " .

(٦) فى ج زيادة هى : " بعد على ذلك العبد أن يكون زائداً فى كربه بكره " بدون نقط على الكلمة الأخيرة .

(٧) فى ج ، ت : " لحيته " .

أخبرني أيها المغرور عن موسى بن عمران ! كيف تفهم أن الله تعالى أدخله الجحيم وخلده فيها^(١) بعد أن كلمه ، واصطفاه وفضله ، وبعثه إلى عباده نبياً ، وهادياً ، ولم يكفر بعد [ذلك] ؟

وكذلك إبراهيم الذي كان قد اتخذ خليلاً واصطفاه ، وفضله بهدايته ونبوته ، وأظهر على يديه توحيده ؟

ولا جرم أنه لو كان ذنب آدم بقي في أعناق أولاده ، حتى أُنقذوا منه بدم إله ، لنطقست به التوراة ، ولصرحت به الأنبياء ! لأنه أمر شنيع ، ومصاب للعالم بشيع ا فقى أى موضع ممن التوراة ذكر ؟ أو في أى صحيفة من صحف الأنبياء سطر ؟

أما أنكم أتيتم على ذلك بشواهد من التوراة وكتب الأنبياء ، [فـ] تأويلكم فيها لا يخفى على العواجز^(٢) ضعفه ، ولا يستر على [عقول] صغار الولدان سخفه^(٣) .

فمن أوضح دليل [لكم] على ذلك ، قوله في التوراة عن يعقوب بن اسحاق عليهما السلام ، أن ابنه يوسف جاء [هـ] بابنيه [منسى] و [أفرام] ، ليبارك له عليهما ، فجعل يوسف ابنه [منسى] - وهو الكبير من ولديه - عن يساره ، كى يكون عن يمين يعقوب ، إذا وقف به أمامه ، وجعل [أفرام] عن يمينه ، كى يكون عن يسار يعقوب ، ثم قرهما إليه ، فخالف يعقوب بذراعيه ، وجعل يده اليمنى على رأس الأصغر واليسرى على رأس الأكبر ، ثم بارك على يوسف ، وعلى ولديه ، فشق ذلك على يوسف ، فأخذ بيد أبيه ، ورام رفعها عن رأس الصغير إلى رأس الكبير ، وقال : لا يحسن هذا يا أبتاه ، لأن هذا أكبر ولدى ، فاجعل يمينك على رأسه ، فكره ذلك الشيخ ، وقال : قد علمت ذلك يا بنى ، وستكثر ذرية هذا ، ولكن أخاه الأصغر يكون أكثر ذرية ونسلاً^(٤) .

(١) في ج ، ت : " كيف استجار الله أن يخلده في الجحيم بعد أن كلمه " .

(٢) في ج ، ت : " العجايز " .

(٣) في ج ، ت : " الولدان نوله وسخفه " .

(٤) قارن سفر التكوين ٤٨ : ١٣ - ٢٠ .

فتأولتم ذلك [بأن] مخالفته بيديه بإعلام بالصلب ا

[فما أغرب هذا الأمر ، وكيف رضيتم بتأويل ذلك بهذا الهذيان]^(١).

وفي نص التوراة سبب مخالفته بيديه من فضل [أفرام] على [منسى] ، فإن كان لابد

من تأويل مستدرك^(٢) على نص التوراة ، فهلم إلى تأويل أحسن موقفاً في النفوس من تأويلك .

وذلك أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة بإعلام [ب] أن الله سيخالف بهذه البركة عن

ولد إسحاق ، إذا أسخطوه بالعصيان ، ويصيرها في ولد إسماعيل ، وذلك ما فعل الله بولد

إسماعيل عليه السلام ، إذ بعث منهم سيد النبيين والمرسلين محمداً عليه السلام .

وكذلك تأولتم في قول داود : أعطوني في مطعمي المرار^(٣) ، وسقوني الخيل^(٤) ، أن الله

تكلم بذلك على لسانه مخبراً عن الصلب : وقتلتم : إن الله تبارك وتعالى حين ربط على الخشبة

استسقى ماء من^(٥) اليهود فسقوه خلاً. تأولتم في كلام داود ما لم يرد ، لتثبتوا من صلب المسيح

ما لم يكن .

وتأويل كلام داود معلوم ، ومن كثير مما يجري بين الناس مفهوم . [فإذا] أسخطك

المسخط بفعله ، تقول [له] أطعمتني المر ، أو جرعتني^(٦) السم والخنظل ، وما أشبه ذلك على

طريق المثل . [وقد] قال داود ذلك حين أسخطته [اليهود] بعصيان الله ، والحيد عن الهدى^(٧)

ومخالفته فيما أمر به من المعروف ، ونهى عن المنكر .

أخبرني أيها المغرور!

(١) من ع ، أما في ج ، ت " وما تحتاج إلى تأويل ذلك بهذا الهذيان " .

(٢) في ج : " مشترك " .

(٣) في ج : " أطعمتني في مطعم المران " .

(٤) وأصل النص : " ويجعلون في طعامي علقماً ، وفي عطشي سقوني خلاً " (مزاسر ٦٩ : ٢١) .

(٥) في ج : " استسقى ما عند " .

(٦) في ج : " أجرعتني " . وفي ت : " سقيتني " .

(٧) في ج : " الهوى " .

من كان المسك للسماوات والأرض ، إذ كان الله [كما تزعمون] مربوطاً في خشبة الصليب ؟

هل بقيا [ساكتين] ؟ أم كان استخلف عليهما غيره ، وهبط هو لربط نفسه في خشبة الصليب ؟ .. ولوجب اللعنة على نفسه بما قال في التوراة : ملعون ملعون من تعلق بالصليب !!^(١)

عجبا له !! إنه المنتقم والمنتقم منه ، والحقود والحقود عليه ، وإنه الظالم ، يأخذ نفساً بذنب غيرها ، وهو المظلوم ، لأنه صُلب بذنب غيره .

وعجبا لتفاوت غائلته ، وحقده !! كيف يمتنع عن المعايب^(٢) - وليس هو عندكم غير [من اتصف بهذه المعايب] - ، حتى سمرت يده ، ورجلاه ؟

ولا قنع من آدم صاحب الذنب [بالتوبة] ، حتى غرست الخشبة في ظهره ، [تكفيراً] لما [ارتكبه آدم] في الجنة^(٣).

أحبرني !

ما الذي أوجب لآدم عليه السلام أن يكون موصوفاً لديكم بهذه الشتائم ، وهو أبو البشر ، والله قد تاب عليه واجتبه ؟

أستغفر الله من شر ما جئتم به ، وهو الغفور الرحيم .

ثم وصفتكم فيما جئتم به من كذب [حادثة] الصليب ، وأحاديثها الفاسدة^(٤) ، إذ قلت : قام بعد ثلاثة أيام من القبر .

(١) أصل النص في التوراة : " وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت ، فقتل وعلقته على خشبة ، فلا تبس

جنته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله " (تثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣)

(٢) في ج : " كيف لم يقنع من المعايب " ، وفي ت : " حيث لم يقنع من المعايب " .

(٣) في ج : " لما كان قد سلخ في الجنة " ، وفي ت : " لما كان قد سلم في الجنة " .

(٤) في ج ، ت : " الفاجرة " .

وتحدثتم عن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب أنهما اشتريتا حنوطاً وأقبلتا إلى القبر ، وقالتا :
 من يترع لنا الصخرة من على فم القبر ، فزال الصخرة من ذاتها ، فنظرنا إلى فتى قاعد في
 الجانب الأيمن [من القبر] مغطى بثوب ، وذلك في يوم الأحد قبل طلوع الشمس^(١) .
 عجباً لتوقحكم على الله ، وتحديدكم الجانب الأيمن من القبر ، وقبل طلوع الشمس من
 اليوم ، لتحققوا كذبكم على رعاغ الأعاجم ، فقال لهما ذلك المغطى بالثوب : [ولم يكن غير
 تراب]^(٢) المصلوب قام ، ومضى إلى الجليل ، قولاً لتلاميذه ، ينهضون إليه [وكهذا جملة من
 الهذيان . قصصتم عليها في ذلك]^(٣) .

[إبطال دعوى ألوهية عيسى المسيح بدليل عقلي]

ثم كتبتم في الإنجيل الذي بأيديكم : أن الرب صعد ، فصار على يمين الرب في إثر
 الصليب^(٤)

أخبرني أيها [المخدوع]^(٥) عن هذين الربين :

من خلق منهما صاحبه ؟ فالمخلوق منهما ضعيف عاجز ، ليس بإله ، وإذا أراد أمراً ، لمن
 الحكم منهما ؟ فإن كان أحدهما مضطراً إلى مشاوره الآخر ، ومساعدته ، كان المضطر عاجزاً
 مقهوراً ، ولم يكن إلهاً قادراً ، وإن كان قادراً على مخالفته ، ومدافعته ، فهو إذن إله مداهن ،
 ويكون الآخر ضعيفاً ، عاجزاً مقدوراً عليه .

(١) أنظر ا مرقس ١٦ : ١-٨ .

(٢) في ج : " المغطى بالثوب تراباً المصلوب " .

(٣) من ع ، وفي ج : " ثم أن نحنا سمع صوتاً من السماء هذا ما يقول الأول والآخر الإله الذي كان مبتأ فحسبى ،
 مع جملة من الهذيان ركضتم في ذلك " ، وفي ت : " باشر القزوري " .

(٤) أنظر ا مرقس ١٦ : ١٩ .

(٥) في ع ، وفي ج ، وت : " بالمغرور " .

أما [تعلم] أيها المغرور أنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١)
﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدَّ هَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٢).

ومن عجيب تناقضكم إتفاقكم^(٣) على أن التثليث أب ، وابن ، وروح قدس ، وأن كل واحد من هذه الثلاثة لا يبصر ، ولا يلحقه ما يلحق الخليقة^(٤) ، وأن عيسى كان يبصر ، ويجوع ، ويشبع ، ويأكل ، وغير ذلك من صفات الخليقة^(٥) ، ثم جعلتموه الإبن من تلك الثلاثة ، ويلحقه ما ليس يلحقها !

فإن قلتم : إن نصفه هو إله تام ، والنصف الآخر ليس بإله ، فيلزمكم - إذا دعوتهم -
[أن تقولوا] : يا نصف المسيح إرحمنا !

وإذا قيل لكم : من إلهكم ؟ فقولوا : هو نصف المسيح !
وكيف يكون نصفه خالقاً ، ونصفه معبوداً لنصفه ، وليس بإله تام ؟
على أنكم لم تفعلوا شيئاً من ذلك ! وكفى دليلاً على ذلك قولك في رسالتك :
" لما لم يمكن أن ينتقم الله من عبده آدم لسقوط مترلة العبد ، انتصف من الإنسان الذي هو إله مثله ، وأن الانتصاف إنما كان من الجسم ، فهو المماثل " .
فإذا جعلتموه كله [إلهاً] فأنتم تعبدون غير الله ، [ولا فرق عندكم بين الله وبين] مخلوقاته
وقلتم :

" إن الإبن إله تام ، وإن الأب يستحق من الألوهية والقدم ، ما لا يستحقه الإبن " .
فإذا كان ذلك ، فالإبن إذن إله غير تام ، [حيث]^(٦) لا يستحق من الألوهية مثل ما

(١) الأنبياء : ٢٢ .

(٢) المؤمنون : ٩١ .

(٣) في ج ، ت : " واتفاقكم " .

(٤) في ج : " وإن كان واحد من الثلاثة لنصر ، ولا يلحق الخليقة " .

(٥) في ج : " ويتحوز غير ذلك من " .

(٦) في ج : " حين لا يستحق " .

يستحقه الأب. وهذا من مكابرتكم العقول .

وقالت اليعقوبية^(١) - [وهى] من فرق ملتكم - : إن الله نزل فدخل فى بطن مريم ، واتخذ من لحمها جسداً ، فصار الله مع الجسد نفساً واحدة .

وقالت النسطورية^(٢) : ليست النفس هى الله ، وإنما هى بعضه .

ومن كلام اليعقوبية : أن الله أخذ ذلك اللحم ، والدم فوردهما فى نفسه فصار ذلك اللحم

الله .

[ثم] اتفقتم أن أقانيم الأب ، والإبن ، والروح القدس غير مختلفة ، بل هى [أقنوم] واحد .

فإذا كان هذا ، الأب هو الإبن ، وهما روح القدس ، الكل شئ واحد ، وهذا توحيد ،

فلم خصصتم المسيح بالإبن [؟] ، ولم تقولون : إنه الأب [؟] . وقد قلت : إن الأب ، والإبن ،

والروح القدس شئ واحد ؟

(١) هم أتباع يعقوب اليرازعى ، توفى عام ٥٧٨ م .

(٢) أتباع نسطور الحكيم المتوفى عام ٤٥٨ م .

وقد أخطأ الشهر ستان فى تحديد زمن حياة نسطور (جـ ١ ص ٢٢٤) حيث قال : النسطورية : هم أصحاب

نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون .

" قالوا : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة ، ولا هى

هو ، وقد دفعهم تأثرهم بالفلسفة الإغريقية فى شرحهم النصوص الدينية دفعهم إلى أن يؤولوا التثليث تأويلاً عقلياً ، فأروا

أن التصديق بالثلاث عبارات ليس قولاً بالتثليث فى الواقع ، لأن مدلولاتها ترجع فى الحقيقة إلى شئ واحد ، هو

" الوجود " . فالوجود هو الجوهر ، وهو الذات الواحدة فى الواقع . و " العلم " ، و " الحياة " صفتان ، أو اعتباران له ،

وبهذا لا يوجد كثرة حقيقية فيه . وعلى هذا : فالله ، وكلمة الله ، والروح القدس ، تلك العبارات التى وردت فى النص

المسيحى لا تدل على ذوات ثلاث فى واقع الأمر ، بل الله هو الذات الواحدة ، وهو وحده أصل العالم ، وكلمته على

معنى علمه ، والروح القدس على معنى القوة المدبرة ، حالان أو اعتباران لذاته .

" والنساطرة بهذا التأويل عدوا من أصحاب مذهب " الوحدة " أو يمكن أن يعدوا من أصحابها ، ولذلك

اعتبرتهم الكنيسة البيزنطية ، وهى كنيسة الشرق الأدنى خارجين عن الجماعة المسيحية المؤمنة ، كما اعتبرتهم زنادقة هذه

الجماعة ، وهم من أهل ذلك يستحقون فى نظرها لعنة الرب والمسيح " (البهى : الجانب الإلهى جـ ١ ص ١٢٠ -

١٢١) وذلك فى مؤتمر خلقيدون الذى انعقد فى عام ٤٥٠ م .

ثم جعلتم جوهر البدن شيئاً معبوداً ليس من الثلاثة ، فهؤلاء إذن أربعة ، وقد بطل التثليث ، وصار^(١) تريبياً ، فإن أبيتم إلا ثلاثاً فقد جعلتم نفى العبد وإثباته سواء ، وكبارتم العقول .

[الرد على الشبهة الأولى]

وأما قولك : إنك ترى الأحكام الشرعية حكيمين : حكماً تورائياً ، [وهو] من لطمك فالطمه .

وآخر إنجيلياً ، وهو :

من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر^(٢) .

ولا ثالث لهما !

فأخبرني أولاً عن تفضيلك الحكم الإنجيلي على الحكم التورائوي في قولك لي : أنت ترى

فضل هذا على الآخر !!

كيف [أجزت]^(٣) ذلك ، وأنت قد نسبت إلى الله ﷻ أنه أبي أن يغفر ذنب آدم حين

عصاه [بالأكل]^(٤) من الشجرة التي نماء عنها ؟

وقلت : إن الله لم يزل غاضباً عليه زماناً حتى انتصف منه بصلب المسيح ! فلو كان العفو

بحكم شريعتك أفضل ، ما سبق الخالق إليه .

(١) في ج : " وجاز " .

(٢) في ج ، ت : " من ... اليمنى ... اليسرى " .

(٣) في ج ، ت : " استجزت " .

(٤) في ج ، ت : " بأكل " .

فلتعلم ما جئت به من التناقض في تفضيلك حكماً نسبت ضده إلى الخالق سبحانه
[وتعالى] .

ولا جرم ! أن العفو أفضل ، إنما جادلتك بتناقض عقيدتك .
ثم أقول :

إن ذنك الحكمين اللذين أعدمت ثالثهما ناقصان . لم يتم فيهما رحمة الله على عباده ،
ليكون فضل التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الإسماعيلية المعظمة ، كما شهدت له العجوز
القبطية .

وبيان نقص ذنك الحكمين ، أن الناس قد يتزل بهم الخطب الذي لا يصلح فيه الاقتصاص
والانتقام ، فإن يكن الداعي لهم [ومرشدهم] ^(١) حينئذ يأخذهم بحكم التوراة ، لم يكن ذلك
صالحاً .

وربما نزل بهم الخطب الذي يصلح فيه الاقتصاص والانتقام ، فإن يكن [قائدهم] ^(٢)
حينئذ يأخذهم بالحكم الإنجيلي جرأهم ذلك على اقرار ^(٣) ذنب آخر ، وهذا كله واضح .
فإن يكن الراعي مع أحد الخطبين يأخذ بما يخالفه التماساً للتدين ، فقد أفسد نظام
السياسة ، وما فضل شريعة لا تصلح نظام أهلها ؟

وإن هو أخذ بما يوافق السياسة ، وخالف الشريعة ، كان من ذلك ما لا يخفى ، وما فائدة
شريعة لا يستطيع امتثالها ؟

فهذان حكمان ناقصان عما فيه صلاح العالم ، إلى أن جاءت الآية الكبرى . المعلمة بنور
البشرى ، الواردة بغير الدارين : الأولى والأخرى [وهى] القرآن [الكريم] الذى تكملت على

(١) من ع .

(٢) من ع .

(٣) فى ج ، ت : " احترام " .

الناس فيه النعمة ، وتمت لهم بأحكامه الرحمة ، فنطق وهو أصدق القائلين ، وحكم وهو أعدل الحاكمين فقال :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)
 وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾^(١)
 ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾^(٢)

فكل حكم أخذ به الراعى مما يراه صالحاً لتمامه ، كان فيه موافقاً للشرعية .

[الرد على مطاعن الأساقفة]

ثم قلت :

" وأما دينكم ، فقد ألف كثير من أساقفتنا كتباً فى الطعن عليه ، وذكروا صاحب شريعتكم ، ووصفوا أشياء : فرأينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معنا " .
فاحتججت فى تعييبك ديني بما اقترفه أساقفتكم ، وقلت : " وصفوا أشياء " ، ولم تذكر شيئاً من تلك الأشياء ، فأنا سأذكرها إن شاء الله ، وأقيم البرهان على كذب أساقفتكم الطاعنين المفتريين .

فأما قولك :

" فرأينا أنكم لستم على الحق ، وإنما الحق معنا " ، فلا أحتاج إلى مجاوبتك على هذا الكلام ، وحسبى ما فيه من الرعونة والسخافة .

(١) النحل : ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) البقرة : ٢٣٧ .

وأما طعنكم في ملة الإسلام ، وتجروكم إلى خلق الأكاذيب [عليها] ، والنيل منها ،
فغير بعيد على من كانت عقيدته وديانته ما تقدم من [إذلال الخالق]^(١) ، والتحقير لعظمته ،
ووصفه تعالى بغير صفاته الحسنی .

وخلق بمن دان بمثل هذا كله ، أن يجرى على سنن مثله من الطعن أيضاً في دين الله ،
وكتابه الحكيم ، ورسوله الكريم .

ومع هذا فإن من الأسباب التي دعتمكم إلى ذلك ، أن الله تبارك وتعالى لما بعث سيد النبيين
والمرسلين محمداً ﷺ ، رحمة للعالمين ، [ومنقذاً]^(٢) مما كانوا فيه من الضلال المبين ، كانوا ما بين
عابد وثن ، [وضال]^(٣) مثلكم ، وقد [غفل]^(٤) لِمَا سبق في الحكمة الأزلية أن يكون فضل
التمام للشريعة الفرقانية ، والأمة الإسماعيلية المعظمة ، كما شهدت لها العجوز القبطية .

قال الله تعالى في المصحف الأول^(٥) لهاجر أم إسماعيل الَّتِي : إني أجعله في أمة عظيمة .

ولإبراهيم حين دعا فيه : سمعت في إسماعيل ها أنا^(٦) قد باركته ، وكثرته جداً جداً^(٧) .

والمراد بهذا كله محمد ﷺ ، ولكنه كفى عنه بجده إسماعيل [الَّتِي] .

ومما يبين هذا قوله أيضاً في إسماعيل : ويقابل جميع الناس ، ويقابلونه ، ويضع فسطاطه في
بلاد إخوته^(٨) .

(١) في ج : " اذامة الحق " .

(٢) في ج ، ت : " ومستقراً " .

(٣) في ج ، ت : " وغاو " .

(٤) في ج : " نبي " بدون نقط ، وفي ت : " فن " .

(٥) لعله يقصد الصحف التي نزلت على إبراهيم الَّتِي

(٦) في ج ، ت : " هذا وذا " .

(٧) ونص ما جاء في التوراة : " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه و أكثره جداً اثني عشر

(تكوين ١٧ : ٢٠)

رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة "

(٨) نص ما جاء في التوراة - وهو جزء من الحوار الذي دار بين هاجر وبين " ملاك الرب " حين ظهر لما على

العين التي في طريق شور :

ولا محالة أن هذه صفة محمد ﷺ ، لا صفة جده إسماعيل ، ومثل هذه الكناية بالجد عن الحفيد في الكتب كثيرة ، من ذلك في الزبور الذي بأيديكم قوله :
سبحوا للربّ تسبيحاً جديداً ، سبحوا الذي يسبحه^(١) الصالحون ليفرح إسرائيل بمخالقه^(٢).

وكيف يفرح إسرائيل وكان قبل الزبور بزهاء خمسمائة سنة ؟
وإنما أراد ليفرح بنو إسرائيل .
ومثل هذه الكناية قوله :

أقسم الله بفخر^(٣) يعقوب ، أن لا نضع عنهم أعمارهم إلى الانقراض^(٤) وإنما أراد بفخر بنى يعقوب .

ولما بعث الله نبيه محمداً ﷺ إلى كافة خلقه شاهداً ، ومبشراً ، ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صدع^(٥) بما جاء به من عند الله ، ودعا العالم إلى الله وحده ، ولم يشرك بعبادته أحداً ، وهداهم [إلى الديانة] الحنفية^(٦) ، دين إبراهيم ، التي هي دين الله ، ودين أوليائه .

" ها أنت جبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمدنك . وأنه يكون إنساناً وحشياً ، يده على كل واحد ، يد كل واحد عليه ، وأمام جميع إخوته يسكن " (١)
تكوين ١٦ : ١١ - ١٢)
في ج ، ت : " هيكله " .

(٢) نص ما جاء في الزبور : " هللوا . غنوا للرب تريمة جديدة ، تسبيحة في جماعة الأتقياء . ليفرح إسرائيل بمخالقه " (٣)
مزامير ١٤٩ : ١ - ٢)
في ج ، ت : " لسفاهه " .

(٤) لعله يشير بذلك إلى ما جاء في العهد القديم : " قد أقسم الرب بفخر يعقوب ، إنى لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم " (٥)
عاموس ٨ : ٧)

(٥) في ج ، ت : " فصدع " .
(٦) في ج : " وهداهم الحنيفية " .

وَيَبِّنْ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ بِمَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ كِتَابِهِ الْمُبِينِ ، الَّذِي هُوَ آيَةُ الْكُبْرَى ، الْمَعْلَمَةُ بِنُورِ الْبَشَرِيَّةِ ، الْوَارِدَةُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ الْأُولَى ، وَالْآخَرَى .

وَكَمَلَتْ بِنُبُوَّتِهِ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الرَّحْمَةَ ، وَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَظَهَرَ دِينَهُ النَّعْمَةَ ، ، وَأَنْجَزَ لَهُمْ بِهِ مَا قَدَّ وَعَدَّهُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ وَرَسَلِهِ الْأَكْرَمِينَ .

وَكَانَ مِنْ اتَّقَى اللَّهَ مِنْ زَعَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِينَ ، لَمَّا سَمِعُوا بِأَمْرِهِ ، سَارُوا إِلَيْهِ بِأَحْتِنٍ عَلَيْهِ ، وَعَلَى دِينِهِ ، فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ بِسَاطِعِ بَرَاهَانِهِ ، وَأَذْهَبَ كُفْرَهُمْ بِإِيمَانِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا حِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، أَنْ آمَنُوا بِهِ ، وَاتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ .

وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿ (١)﴾

وَلَا مَحَالَةَ أَنْ الْبُكَاءَ دَالٌ عَلَى صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ ، وَثَبَاتِ الْيَقِينِ ، وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ ، وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ .
وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿ (٢)﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿ (٣)﴾

وَقَوْلُهُ تَعَالَى :

(١) الأَسْرَاءُ : ١٠٧ - ١١٠ .

(٢) الْقَصَصُ : ٥٢ .

(٣) الرَّعْدُ : ٤٣ .

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ .

وكثير مثل هذا .

فعند ذلك تزلزلت النصرانية ، وسقط ما بأيديهم من المحلات ، وانتقضت عرى ديانتها ، وهدت قواعدها ، ودخلوا في دين الله أفواجاً .

[وقد أثار هذا]^(١) حسد نفر من مضلي زعمائهم ، وأهل الذكر فيهم ، فلفقوا^(٢) ما

بأيديهم ، وقفوه بأشياء كثيرة ، استدركوها على استدراك " قسطنطين " .

ثم لم تزل لهم محافل يستدركون فيها على ما قدموا ، وينشئون الكتب ، ويصنفون

الدواوين في خلق الأكاذيب على سيد النبيين والمرسلين محمد ﷺ ، وشتم عرضه على نحو ما

فعلوا بالخالق ﷺ عن قولهم علواً كبيراً .

فمن تلك الأكاذيب قولهم :

إن محمداً كان يقول لقومه : لسبت أموت ، ولكن أرفع إلى السماء ، فلما مات تركوه

يومين حتى تن ، ثم دفنوه .

وكنفيهم معجزاته ، ولم يذكروا منها^(٤) شيئاً إلا خبر أم معبد^(٥) ،

(١) المائدة : ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) في ج : " لرست حسد " بدون قطط ، وفي ع : " فرتب حينئذ " ، وفي ت : " فوثب حينئذ نفر .. "

(٣) في ج : ت : " ولفقوا " .

(٤) في ج : " مثلها : . "

(٥) ورد عليها رسول الله ﷺ - وهو في طريق الهجرة من مكة إلى المدينة - ومعه أبو بكر ، ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط الديلي ، فسألها : هل عندها لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئاً ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى . وكانوا محملين ، فنظروا إلى شاة في كسر خيمتها ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت : خلفها الجهد . فقال : أتأذنين أن أحلبها ؟ فقالت : إن كان مما حلب فاحلبها . فدعا بالشاة ، فمسحها ، وذكر

وخير الذئب^(١).

وقولهم : إننا رأينا لمسلمة صاحب اليمامة كتاباً تحدى به ، لو رآته العرب ، وسائر المسلمين لارتدوا عن الإسلام إعجاباً بنظمه .

وكدفعهم في حسن نظم القرآن ، وإعجازه الذي لا يشك فيه إنسان .

وكجحدهم ما فيه من الأخبار عن المعجزات ، وعن الغيوب ، وكجحدهم بشارته^(٢)

الكتب والأنبياء من قبل محمد رسول الله ﷺ .

إلى غير ذلك من الأكاذيب التي لم يخلوا^(٣) منها ، توقحاً منهم على الله تبارك وتعالى ،

وجرأة عليه ، كما وصفهم [عوبديا]^(٤) الذي تنبأ فيكم عند بني إسرائيل ، فذكر وقاحة

قلوبكم ، وتمادى على وصف طلب طباعكم^(٥) .

وأنا أذكر الآن ما يوضح لك كذبهم على سيد الأولين والآخرين ، وأكتفى بذكر القليل

عن التطويل .

وإنما أريد أن تتحقق [ويبدو أمامك] خلاف ما قالوه ، ويتبين كذبهم عليه توقحاً

منهم :

اسم الله ، فذكر الحديث في حليه منها ما كفاهم أجمعين ، ثم حليها ، وترك عندها إناعها ملامى ، وكان يروى الرهط .

(ابن كثير : شمائل الرسول ص ٤٥)

(١) حدثنا يزيد ، حدثنا القاسم بن الفضل الحمداني ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : عدا الذئب على

شاه فأخذها ، فطلبه الراعي ، فانزعها منه . فأقمت الذئب على ذنبه ، فقال : ألا تتقى الله ؟ .. ترع مني رزقاً ساقه الله

إلى ؟ فقال : يا عجبى .. ذئب يقمى على ذنبه يكلمني كلام الإنسا فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟

محمد ﷺ يثرب بخير الناس بأتباء ما قد سبق ... (ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٢٧٣)

(٢) في ج : " بيشار " .

(٣) في ج ، ت : " يستحيوا " .

(٤) في ج : " عفويدنا " بنقط النون فقط ، وفي ت : " عوزرياء " .

(٥) إقرأ رؤيا عوبديا في العهد القديم .

قالوا عنه ، إنه قال : لا أموت .

وفي القرآن مكتوب .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾^(١)

وفيه أيضاً

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾^(٢)

وفيه ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾^(٣)

وقال : " بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة " ^(٤)

وقال : " اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ^(٥)

ينهى بذلك قومه أن يتخذوا قبره مسجداً ، حتى لا يؤدي ^(٦) بهم ذلك إلى الفتنة به ، فيعبد

من دون الله ، كما فعلت النصارى في عبادة عيسى بن مريم .

وكان عليه السلام يستعيذ بالله من عذاب القبر ^(٧) .

وإجماع من أمته ، أنه فاح لهم منه رائحة المسك حين مات ، وكان على بن أبي طالب ،

وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما يقولان :

" بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً " ^(٨)

(١) الزمر : ٣٠ .

(٢) آل عمران : ١٤٤ .

(٣) الأنبياء : ٣٤ .

(٤) البخاري جـ ٣ ص ٢٩ .

(٥) قارن البخاري جـ ٦ ص ١٣ .

(٦) في ج : " حتى يحرق هم .. بإهمال الياء ، وفي ت : " خشية أن يحرق هم بذلك إلى الفتنة " .

(٧) قارن البخاري جـ ٢ ص ٢٣ .

(٨) ابن كثير : السيرة جـ ٤ ص ٥١٨ .

فهذا بعض ما هو منصوص في الكتب ، ونقلته عنه ثقات أمته الذين عنوا بأخباره ،
وتقلدوها ديناً ، ورأوا ، وعابنوا إعلاناً وسراً ، وكثير مثل هذا يستغنى عن ذكره .

فمن نقل إليكم - معشر الغاوين - أنه قال :

لا يموت ويرفع ؟

وإن كان الذي رفع من الأنبياء إلى السماء أفضل من الذي في الأرض ، فلم تفضلون
موسى بن عمران على إدريس ، وأحدهما مرفوع [كما جاء في توارتكم] ^(١) والأفضل مقبور ؟
وأما قولكم ، إنكم رأيتم لمسيلمة صاحب اليمامة كتاباً تحدى به ، لو رآته العرب
لارتدت عن دينها إعجاباً بنظمه ، فهذه مجاهرة عظيمة بالباطل ، وإسراف بالتوقح على الله
[تعالى] .

أخبرني :

كيف عرفتم أحوال مسيلمة ، وجهلها العرب ؟

وكيف قرأتم كتابه على بعدكم ^(٢) ، وعميت عنه العرب ؟

وإننا لنراكم جاهلين بأحوال المسيح و أمه ، الذين ادعيتهم الانفراد بولائهما .

[لقد] ^(٣) ذهبت في ذلك إلى التمويه على أعدائكم بحسب ما جرت به عوائدكم .

وإن كان اتصل بكم شيء من كلام مسيلمة ، [فليس إلا] من أيدي المسلمين ، ومما

كتبوه في تواريتهم ^(٤) ، إذ لم يغادروا من حوادثهم صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها لعلو همهم ،
وشرف نفوسهم .

فليت شعري !

ما الذي استحسنتم من كلام مسيلمة المتقول على الله ﷻ ؟

(١) كما بينا سابقاً في ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٢) في ج : " بعدكم " .

(٣) في ج : " أما أنكم " ، وفي ت : " إلا أنكم ذهبت " .

(٤) في ج : " كتبوا يمينه " .

أقوله : " يا ضفدع نقى ما تنقين ، أعلاك فى السماء ، وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين^(١) ، ولا الماء تكدرين " (٢) .

أم قوله : " والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، فالثاردات ثرداً ، فاللاقعات لقمماً وسمناً ، لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، رفيقكم فأمتموه^(٣) والمعتر فأوروه ، والباغى فناوئوه^(٤) " .

أم قوله : " تفكروا فى نعمة الله عليكم ، إذ جعل لكم الشمس سراجاً ، وجعل لكم فى الأرض أثماراً ودجاجاً ، وكباشاً ، ونعاجاً ، وفضة ، وزجاجاً ، وذهباً ، ودياجاً ، وأخرج لكم من الأرض رماناً ، وعنباً ، ورطباً ، وتمرأ ، وأبأ " .

أم قوله : " لقد من الله على الجبلى ، إذا أخرج منها نسمة تسعى . ما بين فرث وحشا^(٥) ، فمنهم من يموت ويلس فى الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى إلى أصل ومنتهى ، والله يعلم السر وأخفى ، ولا تخفى عليه الآخرة والأولى " ؟

أم قوله : " والشمس وضحاها ، فى ضوئها ومتجلاها ، والليل إذا عداها ، يطلبها ليغشاها ، فأدر كها حتى أتاها ، فأطفأ نورها ومحأها " ؟ .

فهذه [بُئذ] من كلام مسيلمة ، كذاب اليمامة ، وأجدر بكم - معشر النصارى - أن لا يقع استحسانكم إلى على مثل هذا الكلام .

فمن كان قد ارتضى إلهه صليياً ، [فهو خليق] بأن يرضى بمسيلمة رسولا ، وبكلامه هذا فرقاناً .

(١) فى ج : " المتعين " .

(٢) الطبرى : تاريخ ج - ٣ ص ٢٨٤ .

(٣) من ع ، وى ج : " زيفكم فامتموه " ، وى الطبرى : تاريخ : ريفكم فامتموه .

(٤) من الطبرى : تاريخ ... وى ج : " فباوه " وى ع : " فاووه " أنظر الطبرى تاريخ ج - ٣ ص ٢٨٣ ، وابن

كثير : السيرة النبوية ج - ٤ ص ٩٩ .

(٥) قارن ابن كثير : السيرة النبوية ، ج - ٤ ، ص ٥٦ - ١٠٠ ، ابن هشام ، ج - ٢ ، ص ٥٧٧ .

[الكلام فى إعجاز القرآن الكريم]

ومن أعجب الأشياء دفع مضليكم فصاحة القرآن الذى هو حاضر إلى الآن ، يظهر فيه كذبهم ، ويوجب عند كل متكلم خزيهم ، وقد كان فصحاء العرب ، وشعراؤها ، وأئمة البيان فيها ، ورؤساؤها تمشى إلى استماعه سرا وجهراً ، ولا تدفع فيه ، وهم أعداؤه يومئذ ، وخصماؤه ، والمستهلكون أنفسهم فى رده. وهو ومن اتبعه مستضعفون فى الأرض يومئذ ، مبالغ فى أذاهم ، وكان يقرأ عليهم :

﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(١)

ثم قال ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾^(٢)

ثم رجع إلى سورة واحدة فقال : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾^(٣)

ثم قال : ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾^(٤)

فما أجابوه بحرف إذعاناً إلى إعجازه ، وإلقاء بأيديهم لديه ، وإلا فما منعهم حين سمعوه قد قرأ عليهم ذلك [أن يعارضوه به] أن يقولوا :

هذا الرجل قد تخطى رقابنا - معشر العرب - على ما فينا من خطيب بليغ ، وشاعر

هميم ، وذوى عقل ، وحكم ، وعلم ، وتجربة ، ونظر فى العواقب ؟

وقالوا :

إنكم متى عارضتموه بسورة واحدة مثل كتابه فهو كاذب .

(١) الإسراء : ٨٨ .

(٢) هود : ١٣ .

(٣) هود : يونس : ٣٨ ، وفى البقرة : ٢٣ ﴿ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ .

(٤) البقرة : ٢٤ .

كيف يجوز هذا على مثلنا ، وهو وحده ، ونحن كثير ، والكلام كلامنا ؟
 قد علمت جميع الأمم أنه فاض بياننا ، وجاشت بالبلاغة صدورنا ، فهلموا إلى شيء يغنيننا
 عن استهلاك أنفسنا في محاربة هذا الرجل ، ومكابדתه إلى ما هو أيسر علينا ، وذلك أن نؤلف
 كلاماً في سورة واحدة مثل كتابه ، فيكون كاذباً ، كما حكم على نفسه إذا فعلتم ؟
 إعتبر أيها المغرور من نفارهم^(١) عن ذلك ، ولم يفعلوا شيئاً منه ، وفي قوله لهم :
 " ولن تفعلوا " فيحتمل هذا وجهين ، ولا محيص عنهما :

إما أن يكون القوم قد ميزوا عجزهم ، فستروا أنفسهم عن معارضته .
 وأما أن يكونوا قدروا على ذلك فمنعهم الله ، كما لو قال لهم :
 إن أحدكم لا يقدر أن ينطق باسم أبيه ، فيعتري ألسنتهم ما يمنعهم عن ذلك ، وهذا لا
 يقدر عليه إلا الخالق ﷻ .

وقد كانت العرب بالغت في إيذائه بأقوالها ، وأفعالها ، فما دفع أحدهم قط في إعجاز
 كتابه ، بل كان منهم من نسبه إلى السحر ، وأين السحر من القرآن ؟ وإنما السحر بخيالات ،
 وحيل ، ثم يضمحل ويزول باطله ، والقرآن هو اليوم كما كان يومئذ .
 وقد كتبت أمته جميع ما أودى [به] من سب ، وهجر ، ونفى ، وضرب ، وجرح ،
 وحصر في الشعاب ، وغير ذلك من أنواع الإيذاء ، فما روى أن أحدهم عارضه بسورة قط ،
 ولا يجوز أن يكون ذلك فيخفى ، لما في سجية الخلق من اللهج بنقل الأخبار^(٢) .
 وإن كان عليهم فيه شيء .

وأيضاً فقد كتبوا هجوه ، ورددوه ، وهو أبلغ في الإثم .
 وأيضاً قد قرأ عليهم في ذلك " ولن تفعلوا " .
 فلو فعلوا لكان سبياً في تفوق قومه وتكذيبه ، حيث قال : " لن تفعلوا " ففعلوا .

(١) إحدى مصادر الفعل الثلاثي : نفر ، وله مصدران آخران : نفورا ، ونفيراً ، ومعنى الفعل في هذا المقام : تباعد .

(٢) في ج : " من اللهوج مثل الأخبار " وفي ت : " من اللهوج بنقل "

وقد كانوا قالوا الوليد بن مغيرة المخزومي : اختر لنا ما تقول لجماعة العرب إذا قدموا
الكعبة [في] الموسم ا

ففكر وقال : ماذا تقولون أنتم ؟

قالوا : نقول : هو شاعر .

قال : إذن يكذبوكم ، لقد رأينا الشعر كله ، هزجه ، ورجزه ، وقريضه ، ومبسوطه ،
فما قوله بالشعر .

قالوا : هو ساحر .

قال : إذن يكذبوكم ، لقد رأينا السحرة ، وسحرهم ، فما هو بعقد السحر ، ولا نفثه .

قالوا : فهو مجنون .

قال : إذن يكذبوكم ؟ لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ، ولا بخالجه ، ولا وسوسته .

قالوا : فما تقول أنت ؟

فأطال فكرته ، ثم دخل منزله ، وأغلق [الباب] دونهم ، فصاحوا به ، وهما برجمه ،
فتطلع عليهم ، فقال بعد فكرة طويلة :

هو ساحر جاء بسحر^(١) يلقي إليه من نحو بابل ، يفرق بين المرء وقلبه ، وما أنتم بعالمين
من هذا شيئا إلا علم أنه باطل^(٢) .

وفي الوليد يقول الله عز وجل :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١)
ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلًا سِحْرٌ يُؤْتِرُ ﴿٣﴾

(١) في ج : " بسحره " .

(٢) راجع الطبرى ، جامع البيان ، جـ ٢٩ ، ص ٩٩ ط بولاق (١٣٢٩هـ) ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، جـ ١

ص ٤٩٩ - ٥٠٥ .

(٣) المدثر : ١٨ - ٢٤ .

وكفى بحالمهم [هذا] شاهداً على عجزهم ا
كانوا إذا جاءهم محمد ﷺ .معجزة ، قالوا : هذا سحر ، ونحن لا نعلم السحر ، فلما
جاءهم بالقرآن قيل لهم :

كيف عجزكم بهذا ؟ لعلكم تقولون : إنا لا نعلم البلاغة ، والخطابة ، ولا يمكنكم التوقح
بذلك^(١) ، فأراد الله خزيهم كيفما انقلبوا .

وقد كانوا يعلمون أن محمداً ﷺ لم يتعلم قط إلا ما تعلموا ، ولا صاحب إلا من صحبوا ،
ولا فارقهم بمكة قط إلا بسفرة واحدة إلى الشام ، مشى معهم قدماً بقدم ، ولم يقم فيها إلا ما
يقيم البائع لبضاعته ، مثل ما يفعل المسافرون بالتجارة من بلد إلى بلد .

فقد استبان أن العرب لم تدفع قط في إعجاز كتابه ، فكيف^(٢) يلتفت إلى مقال العجم
الجهلاء^(٣) الجاعلين مع الله إلهاً آخر ؟

ومن أعجب توقح أساقفتكم على الله نفيهم معجزات رسوله ﷺ ، ولم يثبتوا شيئاً منها إلا
خير أم معبد ، وخير الذئب^(٤) .

ثم قالوا :

لو نقل قومه غير هاتين لنقلناه أيضاً .

وهذا نوع من الوقاحة ، وباب [من] السفسطة ، كمثل ما روى عن [رجل من]
المشعوذين ، [أنه] نام ليلة في نور القمر^(٥) ، فتصدع رأسه ، فقام ورفع عينيه نحو القمر ، وقال
له :

يا مصدع الرؤوس ، ويا مكرب النفوس ، ويا مقرب الآجال . ويا قاطع الآمال ، أية

(١) في ج : " ولا يمكنهم التوسخ بذلك " .

(٢) ج : " وكيف " .

(٣) في ج : " مثال العجم الدعى " .

(٤) في ج ، ت : " ولم يثبتوا شيئاً منها وثم اثبتوا خير أم معبد " .

(٥) في ج : " قام ليلة الضوء القمر " ، وفي ت : " ليلة نور القمر " .

منفعة فيك ؟ ولأى شئ تصلح ؟ تالله لا تصلح إلا لإصلاح القتا [ء] واليقطين ، فلا كان القتا [ء] ، ولا اليقطين^(١) .

فأراد هذا المشعوذ - حين أوجع القمر رأسه - [أن] ييجد منافعه المعلومة في هذا العالم ، ثم أوجب له منها أضعف ما وجد ، ليوهم الجاهل أنه لو علم له فضيلة سوى ذلك لذكرها .

وإلى هذا النوع من التوقع والشعوذة ذهب مزلوكم ، حيث أوجع محمد ﷺ رؤوسهم بمقامع الحق ، وقد علموا أنه^(٢) لم يعط الله نبياً آية إلا أعطى محمداً ﷺ أعجب منها ، أو مثلها . ولا محالة ، إن آية واحدة خارقة للعادة تدل على صدق نبوة من جاءت على يديه ، إذا دعا إلى الله [تعالى] ، إذ وقع الاتفاق على أن الله لا يؤيد بها كاذباً عليه .
ثم أسترسل مزلوكم في التوقيح بأن قالوا : لم تذكر في القرآن آية له ، ولا إخبار عن الغيب .

[بعض ما فى القرآن من المعجزات]

وأنا أذكر لك الآن بعض ما نص فيه ، ليتحقق كذبهم ، وتوقعهم على الله تعالى ، ولو لم أذكر من ذلك غير واحدة لكنت [مؤيدة]^(٣) لكذبهم .

(١) القتا ، الواحدة قتاة : نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار. اليقطين الواحدة يقطينة ، وهو ما لا ساق له من

النبات كالتقاء ، وغلب على القرع المستدير .

(٢) فى ج : " وقد سلموا أنهم " .

(٣) فى ج ، ت : " مردنة " .

فمن ذلك [ما تناقله]^(١) جميع أسلافنا [الذين عاصروا]^(٢) محمداً ﷺ ، وقد سأله قريش آية ، فشق لهم القمر على نصفين^(٣) ، حتى كان جبل أبي قبيس بين فلقتيه ، وقرأ عليهم [في ذلك] قرآناً باقياً إلى [الأبد]^(٤) قوله :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾^(٥)

فوصف [الله] تعالى انشقاق القمر ، و[أثبت]^(٦) عليهم رؤيتهم ذلك بقوله : " وإن يروا آية " .

ووصف ، كيف نسبوا ذلك إلى [السحر]^(٧) ، ووصف تكذيبهم إياه ، واتباعهم أهواءهم ، ثم قال : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾^(٨)

وانشقاق القمر^(٩) أعجب من انشقاق البحر ، وقد تعلم أن انشقاق البحر لموسى لم يكن شقاً يقطع في معظم البحر من إحدى ضفتيه المحيطتين به إلى الأخرى ، وإنما كان قطع طريق من بحر القلزم إلى مغاز شور .

(١) في ج : " ما تناقلوا " بإهمال التاء والنون.

(٢) في ج ، : " ألهم عامنوا " .

(٣) راجع ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ١٣٨ - ١٤٤ .

(٤) في ج : " القدم " .

(٥) القمر : ١ - ٣ .

(٦) في ج ، ت : " ادعى " .

(٧) في ج : " الحضرة " .

(٨) القمر : ٦ .

(٩) أنظر ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

[بعض ما ورد من معجزات النبي ﷺ]

وكذلك سقى محمد ﷺ أصحابه في غزوة تبوك ، وهم عشرة آلاف من الرجال^(١) ومن معهم من غيرهم من قدح صغير ، قدر ما يشرب إنسان ، فوضع يده عليه ، ونبع الماء من أصابعه كالعيون حتى شربوا^(٢) ،

(١) اختلف الرواة في تحديد عدد من اشترك في غزوة تبوك ، ويبدو أن نوعية الأحداث التي لابتستها (الاستنفار في الحر ، نشاط المناققين في تعويق الخروج ، تخلف عبد الله بن أبي بن سلول فيمن تخلف من المناققين ، وأهل الريب ، سلوك المسلمين مع الثلاثة الذين خلفوا .. إلخ) شددت اهتمام المؤرخين ، مما جعل التنقيص على العدد أمراً ثانوياً ، بل لم تذكره بعد كتب السيرة المعتمدة - من أمثال الطبري - إلا أن ابن كثير روى أن العدد كان أكثر من ثلاثين ألفاً (انظر : ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ١١ ، الطبري : تاريخ : ج ٣ ، ص ١٠٠ - ١١١) .

(٢) روى أن رسول الله ﷺ مر في طريقه إلى تبوك بالحجر ، فمنع المسلمين من الشرب ، أو الوضوء من ماء يبرها ، فلما أصبح الناس - ولا ماء معهم - شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا الله ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء . وليس في ذلك ما يدل على نبع الماء من أصابعه ﷺ .

غير أن الطبري يروي عن يزيد بن رومان أن رسول الله ﷺ أقام بتبوك بضعة ليلة ، ولم يجاوزها ، ثم انصرف إلى المدينة فكان في الطريق ماء يخرج من وشل ، ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، براذ يقال له وادى المشتق ، فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال فسبقه إليه نفر من المناققين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً ، فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ، فقال أو لم تنتهوا أن يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه ، ثم لعنهم رسول الله ، ودعا عليهم .

ثم نزل ﷺ ، فوضع يده تحت الوشل (الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً) فجعل يصب في يده ماشاء الله أو يصب ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء ، كما يقول من سمعه : إن له حساً كحس الصواعق ، فشرّب الناس واستقوا حاجاتهم منه .. فلم ينبع الماء من أصابعه بالصورة التي يروونها أبو عبيدة في النص في هذه الحادثة .

(الطبري : تاريخ ج ٣ ، ص ١٠٠ ، ١١١ ، ابن هشام : القسمة الثاني ص ٥٢٢ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١٦) .

وفعل بهم مثل ذلك في غزوة الحديبية ، وهم ألف وستمائة رجل^(١) .

وانفجار الماء من اللحم أعجب من انفجاره من الحجر ، وأيضاً موسى حين فجر من

الحجر قالت بنو إسرائيل :

لِمَ تَخْصُ ذَلِكَ الْحَجْرَ بَعِينَهُ ؟ وَإِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْآخِرُ ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ^(٢) .

ولم يخص محمد ﷺ قدحاً بعينه ، وإنما قال لهم : [إئتوني بقدح] ، فانطلقوا حتى

وجدوا قدحاً جاءوه به ، فوضع يده عليه وانفجر الماء منه .

ولسنا ننكر إعجاز ما جاء به موسى ﷺ ، وغيره من الأنبياء ، بل نحن أولى بهم منكم ،

وإنما أقول : إن من نسب شيئاً من آياتهم إلى السحر لزمته الحجة ، [وهي]^(٣) أن اقتصار موسى

على حجر بعينه أقرب إلى التهمة من استدعاء محمد قدحاً من الأقداح غير مخصوص .

وأيضاً فإن في التوراة : أن السحرة فعلوا كل ما فعله^(٤) موسى بمصر^(٥) ، إلا البعوض فإنهم

(١) لم تذكر كتب السيرة أن عدد الرجال في غزوة الحديبية ألفاً وستمائة ، بل تراوحت رواياتهم بين سبعمائة رجل

وخمس عشرة مائة .

(قارن : ابن هشام ، القسم الثاني ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ،

الطبري : تاريخ ... ج ٢ ص ٦٢١) .

(٢) روى في التوراة أن بني إسرائيل - حين أصابهم العطش ولم يجدوا ماءً - تدمروا على موسى وقالوا له :

(خروج ١٧ : ٣)

لماذا أصعدتنا من مصر لئيمتنا وأولادنا ومواسيتنا بالعطش "

فأمره الله أن يضرب صخرة في حوريب بالعصا التي ضرب بها البحر ، فانفجر منها الماء : " وعصاك التي ضربت

بها النهر خدها في يدك واذهب ، ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة في حوريب ، فتضرب الصخرة ، فيخرج منها

ماء ليشرب الشعب " (خروج ١٧ : ٥ - ٦)

ولم يذكر ما يشير إلى اعتراض بني إسرائيل عليه في اختيار حجر معين ، كما ذهب إلى ذلك أبو عبيدة .

(٣) في ج ، ت : " على أن "

(٤) في ج : " كما " ، في ت : " كما فعل " .

(٥) راجع خروج : الأصحاح السابع والثامن .

لم يقدرُوا عليها^(١).

واسترجع محمد ﷺ [الشمس] ليدرك على بن أبي طالب [الصلاة] ، فرجعت بمحضر أصحابه^(٢) ، و " يشوع بن نون " إنما استوقفها ، فوقفت ، وفي بعض كتبكم : أن [يشوع] إنما استوقف ضيائها بعد ما غابت^(٣).

وقبض محمد ﷺ يوم بدر على تراب ، ورمى به وجوه الكفار من قريش^(٤) ، وقال : [شامت الوجوه]^(٥).

فما منهم إلا من أصاب عينيه منه شيء ، فأنزموا وقرأ عليهم بذلك قرآناً باقياً : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾^(٦)

ثم ما عاينه جميع من حضر بدرأ ، مؤمنهم وكافرهم من قتال الملائكة معه ، حتى أن أبا داود المازني رحمه الله قال : " إتبع مشركاً يوم بدر ، لأقتله ، فسقط رأسه بين يدي قبل أن أضربه ، فعلمت أن غيري قتله " .

(١) خروج ٨ : ١٨ .

(٢) ذكر ابن كثير حديث رد الشمس ، ثم عقب على ذلك بقوله : وقد رواه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله بن منده ، .. ومن طريق أبي جعفر العقيلي . حدثنا أحمد بن داود ، حدثنا عمار بن مطر ، حدثنا فضيل بن مرزوق فذكره .

ثم قال : وهذا الحديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه ... وهذا تخليط في الرواية .

قال : وأحمد بن داود ليس بشيء ، قال الدارقطني : متروك كذاب . (ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ١٤٥)

(٣) أنظر يشوع ١٠ : ١٢ - ١٤ .

(٤) في ج : " ورمى به أوجه قريش " وفي ت : " جيوش الكفار " .

(٥) الطبري : تاريخ ج ٢ - ص ٤٤٩ .

(٦) الأنفال : ١٧ .

[ومن ذلك آية المطر والنعاس] ^(١) ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ^(٢) وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِيَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ ^(٣)

ومن ذلك ما حدث في السنة التي بعثه الله [فيها] من رمى السماء بالشهب بما فيه عبرة ^(٤) لمن عقل ، وقرأ عليهم قرآناً باقياً ، قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ إلى آخر قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ ^(٥)

(١) في ج ، ت : " وأمطرهم فيه مطراً أهدلهم الكتيب ، لأنهم كانوا معه اليوم ثلاثمائة رجل ، أكثرهم على أقدامهم ، وكان لإعدام ذلك المطر ما لم يستطيعوا بسببه أن يحضروا إلى العدة القصرى واجتازته النى وأصحابه ، ثم نزل عليهم النعاس في ذلك ، فأزال عنهم الجزع لكثرة عدوهم ، حتى لقد وقع السيف من يد أحدهم من كثرة ما غشيهم النعاس . والنعاس في مثل هذا اليوم آفة ، لأنه يوم يزول عن من كان به ، وفيما فعل من المعجزات يوم بدر من قتال الملائكة معه المطر والنعاس" .

(٢) الأنفال : ١١ - ١٣ .

(٣) آل عمران : ١٢٣ - ١٢٥ .

(٤) في ج : " غيره " .

(٥) الجن : ٨ - ١٠ .

وقد كان بعض العرب قصوده يوماً ليوذوه ، وهو يصلى إلى جانب الحرم ، وكانوا يسمعون قراءته ولا يرون شخصه^(١) ، وقرأ بذلك قرآناً باقياً ، قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٢)

ومن ذلك ما فعل بأبي جهل بن هشام ، [حين جلس]^(٣) بحجر ما يطبق حمله ، [يريد أن يهشم]^(٤) به رأسه ، إذا صلى ، والناس ينظرون إليه ، فلما سجد النبي ﷺ وهم بالقاء الحجر عليه ، رجع منهزماً ، ويداها يابستان على حجره ، لا يقدر على إلقائه عنهما حتى أنقذته قريش من يده ، وسألوه عن خبره فقال :

" قمت لأفعل ما قلت لكم ، فلما قربت منه عرض لى فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا قفزته ، ولا أنيابه بفحل قط ، فهم أن يأكلنى . " فقال النبي ﷺ : " ذلك جبريل لو دنا منه لأخذه " ^(٥) ، وقرأ قرآناً قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾^(٦)

(١) لم تكن هذه الحادثة من أسباب نزول الآية. بل ذكر العلماء أن المعنى بقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ أنه زين لهم سوء أعمالهم ، فهم يعمهون ولا يبصرون رشداً ولا يتنبهون حقاً ، وروى عن مجاهد في قوله : ﴿ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ قال : عن الحق فهم يترددون. وقال ابن زيد : جعل الله بينهم وبين الإسلام والإيمان سداً فهم لا يخلصون إليه (الطبرى : جامع البيان جـ ٢٢ ص ٩٩).

(٢) يس : ٩.

(٣) في ج : " ليجلس " ، وفي ت : " ليحس بحجر ما يطبقون حمله ليفضخ . به رأسه إذا صلى . "

(٤) في ج : " نصح به " . بدون نقط.

(٥) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ١ ص ٤٦٥.

(٦) العلق : ٩ - ١٤.

وكلمته عليه السلام ذراع مسمومة ^(١) .
ولما [هاجر لشدة قومه] ^(٢) دخل الغار مع صاحبه فنسجت على بابها العنكبوت ،
وفرخت القطة ^(٣) ، [وأتى] ^(٤) قومه ، وهموا [بدخول] الغار ، فقال أحدهم :
" لو دخله لخرق هذا النسيج ، ونفرت هذا القطة " .
وقال له صاحبه : " لو أن أحدهم ينظر ما تحت قدميه لأبصرنا " .
قال له : " يا أبا بكر .. ما ظنك باثنين الله ثالثهما " ^(٥) .
وأصاب أصحابه جوع في غزوهم ، فسأل أبا هريرة ، فذكر تمرات في مزوده ، ثم
استخرجها إحدى وعشرين ثمرة ، فصنفها ﷺ في ردائه ، يقول في كل واحدة منها ^(٦) : " بسم
الله وبركته " ، ثم دعا في العسكر إلى الغذاء ، وهم زهاء ثلاثة آلاف ، فأكلوا حتى شبعوا ، ورفع
الرداء والتمر يتساقط منه ، وقال لأبي هريرة " أعدده إلى مزودك " .
يقول أبو هريرة : " فوالذي نفسى بيده ا فقد جهزت منه ستين وسقاً في سبيل الله ،
وأصبحت باقية حتى يوم الحرة " ^(٧) .
وأطعم أيضاً يوم الخندق [جنده] - وهم ثلاثة آلاف - من تمرات ما ملأت كفه ،
جاءت بها أم عمرو بنت رواحة ، فدعا بها ﷺ في ردائه ، فأكل الناس ، وضم رداءه على أكثر
مما أخذ منه ^(٨) .

١٤

(١) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٢ ص ١٩٥ - ٢٠١ .

(٢) في ج : " ولما فر من قومه من شدتهم عليه " ، وفي ت : " خرج من قومه " .

(٣) القطة تجمع على : قطا وقطوات ، طائر في حجم الحمام ، ضرب مما المثل في الاهتداء ، فيقال " أهدي من

القطة " .

(٤) في ج ، ت : " ولحق قومه ، وقموا الغار " .

(٥) راجع ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٦) في ج ، ت : " في كل واحد منهن " .

(٧) ابن كثير : شمائل الرسول : ٢٢١ - ٢٢٣ .

(٨) راجع ابن هاشم ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ .

وأطعم أيضاً يوم الخندق [جمعاً كبيراً] في بيت جابر بن عبد الله من قصعة فيها ثريد شعير وعتر حتى شبعوا ، ثم بقى لجابر بن عبد الله ما كفى أهله^(١) .

ورد عين قتادة بن النعمان الأنصاري يوم أحد بعد ما فقتت ، فكانت أحسن عينيه ، وكانت الأخرى تمرض ، ولا تمرض هي ، فلقب [بـ] قتادة العيني^(٢) .

[ونزل رسول الله ﷺ بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء ، فشكى إليه]^(٣) ، فأخذ سهماً من كنانته ، وأعطاه البراء بن عازب ، وأمره بالهبوط فيها ، وأن يغرز السهم في ثغرها ، [فثار ماؤها] ، حتى لم يدر كوا لها قعرأ^(٤) .

إلى غير ذلك من المعجزات التي لا تحصى ، كإنطاق العجماء^(٥) وما سبح في كفه من الحصباء^(٦) ، وإمطاره الماء من السماء^(٧) ، والريح المرسله إلى أعدائه ليلاً بالخندق ، وقرأ بذلك قرآناً باقياً ، قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾^(٨) .

وكثير من معجزاته المنقولات على لسان صلحاء أمته على قرب العهد ، وكثرة الناقلين ، ولو أني قصدت أن أسمى آياته كلها ، لضخم [هذا الكتاب ، وطال عليك قراءة هذا الباب]^(٩)

(١) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٨ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٦٦ ، البداية والنهاية ، جـ ٣ ، ص ٢٩١ .

(٣) في ج : " وهو من دواء البحر وشكى إليه في غزوة الحديبية بعد رمانه هاو " ، وفي ت : " وشكى إليه في غزوة الحديبية غور ماء لها " .

(٤) أنظر ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ١٤-١٥ ، الطبري : تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٦٢٤ .

(٥) راجع ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٢٨٢ ، وما بعدها .

(٦) المصدر السابق : ص ٢٥٢ - ٢٥٨ .

(٧) حدث بعد صلاة الاستسقاء .

(٨) الأحزاب : ٩ .

(٩) في ج : " يضخم ديوان ذلك " ، وفي ت : " لعظم ديوان ذلك " .

وإنما [ذكرت] ^(١) بعضها ، لتقف على كذب أساقتكم ، وتوقّحهم ^(٢) على الله تعالى فيما هو للعيون أوضح من الشمس .

[بعض ما في القرآن من الإخبار بالغيب]

وأما ما في القرآن من إخباره عما يكون ، فقوله تعالى :

﴿ الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٦)

فهلا علم الله تعالى أنه إن أنجز له هذا الوعد يكون سبباً لاتباع الناس له ، وإذ سمعه يتقول عليه مثل هذا - كما ترعم - [ألا] يكبه في إخلاب وعده .
فما كانت أيها المغرور إلا بضع سنين ، وغلبت الروم ملك الفرس بالبحرين ، وتملكوا أكثرهم ^(٤) . والبضع من العدد ما دون العشرة .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسِكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ^(٥)

(١) في ج ، ت : " أذكر " .

(٢) في ج ، ت : " وتوقّحكم " .

(٣) الروم ١ - ٦ .

(٤) ويلز : مرجز تاريخ العالم ص ١٩٥ ، الطبرى : جامع البيان ج ٢١ - ص ١٢ .

(٥) الفتح : ٢٧ .

وقوله : ﴿ وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾^(١) .

[فصدق وعده ، فدخلوا] مكة والبيت .

كما وعده الصالحات والفتح القريب ، [وهو] دخول خيبر قبل ذلك بقليل في قوله تعالى :
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾^(٣)

ولا يجوز أن يقول رئيس قوم لقوم : وعدتكم بذا وهو لم يعد .

وقوله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(٤)

فقوله ﴿ فِي الْآفَاقِ ﴾ يعني [فتح] الأمصار .

وفي أنفسهم : فتح مكة .

وقوله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾^(٦) .

يعنى ما يستقبلون من فتح الأمصار .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوهَا ﴾^(٧) يعنى أرض الفرس .

(١) الفتح : ١٩ .

(٢) النور : ٥٥ .

(٣) الأنفال : ٧ .

(٤) فصلت : ٥٣ .

(٥) التوبة : ٢٣ ، الصف : ٩ .

(٦) الفتح : ٢١ .

(٧) الأحزاب : ٢٧ .

وقوله تعالى عن اليهود : ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلِّوْكُمْ الْإِدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾^(١)

[فلما قاتلوه حقيقة ولوا الأدبار]^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾^(٣)

فلما هاجروا أنزلهم المدينة ، وفتح عليهم ما لا يخفى .

وقوله تعالى : ﴿ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾^(٤)

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ وَهُمْ حَشِرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾^(٥)

وقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرُوا لَنَا ﴾^(٦)

وقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَعَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُوعًا تَتَّبِعْكُمْ ﴾^(٧)

وقوله تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾^(٨)

(١) آل عمران : ١١١ .

(٢) من ع .

(٣) النحل : ٤١ .

(٤) الأنفال : ٣٦ .

(٥) آل عمران : ١٢ .

(٦) الفتح : ١١ .

(٧) الفتح : ١٥ .

(٨) القمر : ٤٥ .

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ ﴾^(١) [إلى آخر]

السورة .

وقوله تعالى في القرآن الكريم مثل هذا كثير ، وفيما نقله السلف الصالح من أهل ملتنا في كتبهم ما لا يحصى ، ولا يدفعه^(٢) إلا مجادل ، أو كافر ، ولو [لا] أنى [أخشى أن] أخرج عن غرض هذه الرسالة ، لتماديت على ذكر ذلك ، وليس في ذكر ما قدمت من المعجزات والمغيبات خروج عن الغرض ، لأنه يبين خلاف ما ذهب إليه مضلوكم ، وما افتروه^(٣) على الله وعلى رسوله .

وإذ قد بينت^(٤) ذلك ، فلتعلم أن من الأنبياء الذين أنتم بهم مؤمنون [من لم تكن له] آية كداود [عليه السلام] ، [إذ] لم يذكر له في الزبور آية ، وكحزقيال [الذى] نص عندكم [عنه] أنه اجتمع [إليه نفر] يسألونه معجزة فقال :

" إن الرب يقول : أقسم قسماً باسمى أنى أنا الحى ، وأنى لا أجد جواباً عما تريدون " ^(٥) وكذلك اجتمعت قريش إلى محمد ﷺ وسألوه عن انشقاق القمر^(٦) ، فكان ذلك ، فلما عاينوه تولوا عنه وعتوا [عليه] .

(١) النصر : ١-٢ .

(٢) في ج : " ولا يدفع " ، وفي ت : " ولا يدفع فيه " .

(٣) في ج : " نظركم الذين أنتم به مؤمنون وما افترتموه " .

(٤) في ج : " يثبت " .

(٥) ذكر حزقيال : " أن أناساً من شيوخ إسرائيل جاءوا ليسألوا الرب فجلسوا أمامى ، فكان إلى كلام الرب

قائلاً : يا ابن آدم ا كلم شيوخ إسرائيل وقل لهم : هكذا قال السيد الرب ، هل أنتم آتون لتسألونى حى ، أنا لا

أسأل منكم يقول السيد الرب ، هل تدين يا ابن آدم . عرفهم رجاسات آبائهم وقل لهم .. " (حزقيال ٣ : ١-٥)

(٦) أجمعت كتب التراث الإسلامى على أن آية انشقاق القمر وقعت فعلاً ، تصديقاً لمحمد ﷺ (راجع أخبارها عند

ابن كثير : شمائل الرسول ص ١٣٨ - ١٤٤ ، البداية والنهاية ج-٣ ، ص ١١٨ - ١٢٢) وغيرهما من كتب التفسير ،

والحديث والسيرة النبوية ، غير أن بعض المفكرين المحدثين يشكون في هذا ، وهم فريقان : أحدهما يتخذ هذا الشك طريقاً

للظن في القرآن الكريم ، وهم المستشرقون .

ثم اجتمعوا إليه بعد مدة ، فسألوه أن ياتى إليهم بالله والملائكة قبلاً^(١) وسألوه أن يرد لهم أجدادهم الماضين^(٢) ، ويكون فيهم قصى بن كلاب ، ليسألوه أحق [ما] أتى به أم لا ؟

أما الآخر فبرى أن انشقاق القمر سيأتى في آخر الزمان ، والتعبير عنه بالماضى لبيان تأكيد وقوعه ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾ فإن المراد : يأتى أمر الله .

وتريد نتائج أبحاث علم الفلك هذا الرأى ، فلقد توصل العلماء خلال أبحاثهم ، إلى أنه لا بد في المستقبل القريب - وطبقاً لقانون دوران الأجرام السماوية - أن يقترب القمر من الأرض ، حتى ينشق من شدة الجاذبية ، وتتناثر أجزاؤه في الفضاء " Man does not Stand alone P.٢٤ " ، وسوف تحدث عملية انشقاق القمر هذه بناء على نفس القانون الذى يحكم المد والجزر في البحار ، فالقمر هو أقرب جيراننا في الفضاء ، ولا يبعد عن الأرض غير ٢٤٠,٠٠٠ ميلاً ، وهذا القرب يؤثر على البحار مرتين يومياً ، حيث ترتفع فيها أحياناً أمواج يبلغ طولها ستين متراً ، وأما تأثير هذه الجاذبية على سطح الأرض فيبلغ عدة بوصات !!

إن المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر مناسبة تماماً لصالح أهل الأرض ، ولو نقص هذا الفاصل إلى خمسين ألفاً من الأميال - على سبيل المثال - ، فسوف يحدث طوفان شديد في البحار ، وسوف تغطي أمواجها أكثر مناطق الأرض المأهولة ، وسوف يفرق كل شئ حتى تتحطم الجبال من شدة موج البحار ، وسوف تحدث شقوق مروعة على سطح الأرض من وطأة الجاذبية !!

وبرى علماء الفلك أيضاً أن الأرض قد مرت بكل هذه الأدوار أثناء عملية التكوين ، حتى وصلت إلى بعدها الحالى من القمر ، بناء على قانون الفلك ، وهذا القانون هو نفسه سوف يأتى بالقمر قريباً من الأرض مرة أخرى ... ويرون أن من المتوقع حدوث هذا بعد بليون سنة (هذا مجرد تعبير عن الإمكان العلمى ، وحدوده الزمنية ، وليس ببعيد أن تقع هذه الظاهرة في وقت أقل مما حدده الفلكيون ، وكلامهم لا ينفي هذا) ، وعندئذ سوف ينشق القمر ، وسوف يتناثر حول فضاء الأرض في صورة حلقة .

أليست هذه النظرية من أعظم موافقات العلم لتلك النبوءة الواردة في القرآن الكريم حول انشقاق القمر ، حين تقترب القيامة ؟ (بخان ص١٤٦-١٤٧) .

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ج١ ، ص ٤٨٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٠ .

وطلبوا منه أن يزحزح عنهم جبال مكة ، ويفجر لهم في بطائعها أنهاراً ، وسأله أن يسقط عليهم من السماء كسفاً ، وأن يكون له بيت من زخرف ، ويرقى في السماء ، ويأتهم بكتاب مع ملائكة يشهدون ، وهذا كله منصوص في السورة السابعة عشر من القرآن ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(١)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ ﴾ يعني هذه الآيات التي طلبوا [ها] منه ، ثم قال ﴿ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ ﴾ يشير إلى تكذيبهم بانشقاق القمر قبل ذلك ، وتكذيب الأنبياء من قبله .

ثم يذكر ناقة صالح ، وقال في آخر الآية :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾^(٢) .

[فاجعل إرسال الآية تخويفاً]^(٣) ، ثم قال في آخر الآية [التالية] :

﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾^(٤) .

فقال ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ [أن] نرسل إليهم بالآيات فيكفرون .

وقال تعالى :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ عِنْدَ

اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَتُقَلَّبُ أَفْئِدَتُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ

يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾^(٥) .

(١) الإسراء : ٩٣ .

(٢) الإسراء : ٥٩ .

(٣) من ع .

(٤) الإسراء : ٦٠ .

(٥) الأنعام : ١٠٩ ، ١١٠ .

فأخبر الله تعالى أنه لو أرسل هذه الآية التي طلبوها، لعتوا وتمادوا على كفرهم [كما فعلوا] ^(١) في انشقاق القمر وغيره .

وفي الإنجيل الذي بأيديكم عن المسيح ، أن اليهود أتوه [يسألونه معجزة] فقد فهم، وقال : إن القبيلة الخبيثة القاصرة تطلب آية ، ولا تعطى ذلك ^(٢) .

وفيه أيضاً : أنه مر بسمعان الصياد ، وأخيه وهما يصيدان السمك ، فقال " إتبعاني ، أجعلكما تصيدان الناس " فتبعاه بلا آية ^(٣) .

ومن أعجب الأشياء أنكم تؤمنون بنبوة مريم وحنّة ^(٤) ، وهما امرأتان بلا كتاب ولا معجزة ، ولا ذكّر [تا] في صحف الأنبياء ، وتكفرون بسيد المرسلين محمد ﷺ ، وله كتاب يعجز الإنس والجن ، ومعجزات ليست لئني قبله، وبشارات ^(٥) في كتب الأنبياء عليهم السلام .

(١) من ع .

(٢) قارن : متى ١٣ : ٣٨-٣٩ ، لوقا ١١-٢٩ .

(٣) انظر : متى ٤ : ١٨-٢٠ .

(٤) قرر مجمع أفسوس (٤٣١ م) أن مريم أم للإله ، ولذا فهي بريئة من الخطيئة الموروثة ، وكذا من كل الخطايا الشخصية ، رفعها الله - بالجسد - إلى السماء ، وأعطها حق الشفاعة ، وفضلها على جميع أوليائه وأصفيائه . ويرى علماء الكنيسة البروتستانتية ، أن أدلة الكنيسة الكاثوليكية على ذلك ليست إلا أساطير ، ولذا فهم ينظرون إليها نظرة إجلال واحترام فقط، على اعتبار أنها أم عيسى ﷺ ، ولده وولادة خارقة للعادة .

(انظر "Nölle. Artikel Maria")

أما حنة فقد وصفها الإنجيل بأنها نبية. (قارن لوقا ٢ : ٣٦-٣٨).

(٥) في ج : " وذكّر بشارات " .

[بعض ما ورد فى التوراة والإنجيل من التبشير به ﷺ]

فأما إنكار مصلوكم ذكره فى الكتب قبله ، وبشارات الأنبياء به ، فجزياً بذلك على سبيلهم فى الغواية والتوقع على الله تعالى .

أنا أذكر ما يبين كذبهم مما هو بين أيديكم فى الإنجيل ، والتوراة ، والزبور ، والنبوات ، وأورد ذلك على نحو ما قصدت إليه من الإيجاز ، والاكتفاء بالقليل ، إذ به يستبين كذب أساقفة التضليل ، والحمد لله على ما منحنا من هدايته .

فمن ذلك فى المصحف الخامس من التوراة الذى بأيديكم إلى اليوم ، قال الله تعالى لموسى بن عمران :

"إني قيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبياً مثلك ، أجعل كلامي على فيه ، فمن عصاه انتقمتم منه" (١) .

فإن قلت: إن ذلك هو يشوع بن نون ، [فماذا تقول فيما ذكر] بعد [فى التوراة] ؟ ، قال الله فى آخر التوراة : إنه لا يخلف من بنى إسرائيل نبياً مثل موسى (٢) .

فلا محالة أن الذى بشرت به التوراة لا يكون من بنى إسرائيل ، لكن من إخوة بنى إسرائيل ، ولا محالة أنهم العرب والروم ، فأما الروم فلم يكن منهم نبي سوى أيوب ، وكان قبل موسى بزمان (٣) ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة ، فلم يبق إلا العرب ، فهو إذن محمد ﷺ .

(١) والنص فى التوراة هو : " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي فى فمه " فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمي أنا أطالبه " . (تثنية ١٨ : ١٨-١٩)

(٢) قارن التثنية ٣٤ : ١٠ .

(٣) لم يكن أيوب من الروم ، وإنما كان عربياً ، ظهر قبل موسى ، وكان يسكن أرض (عوص) فى شرقى فلسطين أو حوران ، وهو عند مؤرخى العرب من بنى إبراهيم الخليل ، بينهما خمسة آباء .

وقد قال الله في التوراة، حين ذكر إسماعيل جد العرب، أنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته^(١). فكفى عن بنى إسرائيل بإخوة إسماعيل ، كما كفى عن العرب بإخوة بنى إسرائيل في قوله :

" سأقيم لبني إسرائيل من إخوانهم مثلك " .

وقد ناظرني يوماً أحد رهبان اليهود ، وأهل الذكاء منهم في هذا ، فقال :
" هذا كله صحيح لا أجد اعتراضاً عليه ، غير أنه قال : سأقيم لبني إسرائيل ، ولم يكن محمد [رسولاً] إلا إلى العرب " .
فقلت له :

ما على الأرض أحد يجهل^(٢) أن محمد ﷺ قال :

"بعثت إلى الأبيض والأسود، والعبد والحر، والذكر والأنثى" ^(٣) .

وهذا كتابه ينطق [بالحق] أنه مبعوث إلى الخلق كافة ، فلو أمكنك أن تقول: " [إنه] ادعى أنه مبعوث إلى العرب خاصة ، لكانت لك حجة " .
فقال :

وهو عند بعض شراح التوراة قبل إبراهيم ، وترجح دائرة معارف البستانى الرأى القائل ، بأنه قبل إبراهيم بأكثر من مائة سنة ، غير أن الطبرى ذكر في رواية عن وهب بن منبه ، أنه كان من الروم ، وذكر نسبه على أنه من ولد إبراهيم ، وهذا تضارب فإبراهيم لم يكن من الروم .

(١) نص ما جاء في التوراة الموجودة بين أيدينا : "وأمام جميع إخوته يسكن" (تكوين ١٦ : ١٢)

(٢) في ج : "يجهل هذا أن محمداً...." وفي ت: " ما على الأرض من يجهل.."

(٣) نص الحديث : " أُعْطِيَ حَمْساً لَمْ يَعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي ، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبَعَثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ....." (الهيثمى : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٨ ، ص ٢٥٨-٢٥٩ ، ولم أعتز في كتب الحديث على ما ورد في النص : "والعبد والحر، والذكر والأنثى" .

" لا يمكننى - ولا غيرى - دفع ذلك ، وبذلك أخيرنا أسلافنا من اليهود عنه ، أنه قال :
[بعثت] إلى الخلق كافة " (١) .

إلا فرقة من فرق اليهود ، يقال [لها] العيسوية (٢) ، تقول بنبوته ومعجزاته ، وتنكر أنه
بعث إلى غير العرب ، ولسنا على شئ مما هم عليه . ثم عطف على يهودى [كان] (٣) بجنبه ، وقال
له :

نحن قد جرى نشؤنا على اليهودية ، وبالله ما أدرى ا كيف نتخلص من هذا العربى؟
[وإغاية ما أقول] : إن أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا ، [هو] النهى عن ذكره بسوء .
وفى التوراة :

" جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألاً من جبل (٤) فاران ، ومعه جماعة
من الصالحين " (٥)

فمجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة، وكلم عليه موسى . وإشراقه من جبال
سعير، [أن دين عيسى بن مريم إنما أشرق من جبال سعير] (٦) ، وهى جبال الروم من أدوم (٧) .
واستعلاؤد من جبال فاران ، أن الله بعث محمداً منها ، وأوحى إليه فيها ، ولا اختلاف أن
فاران هى مكة (٨) .

(١) لم ترد كلمة " الخلق " فى الحديث ، بل " الناس " : بعثت إلى الناس كافة .

(ابن حجر : فتح البارى جـ ٢ ص ٧٩)

(٢) انظر الشهرستانى ، جـ ١ ، ص ٢١٥-٢١٦ .

(٣) فى ج، ت : " يهودى إلى جانبه " .

(٤) فى ج، ت : " واستعلى من جبال " .

(٥) قارن: تشية ٣٣ : ٢ .

(٦) من ع .

(٧) أدوم : لفظه عبرانية : معناها أحر، وهى اسم ليعسو الإبن الأكبر لإسحاق . دعيت البلاد التى أعطاها الله له
بأرض أدوم نسبة إليه ، وكانت تسمى قبلاً بجبل سعير ، وذلك نسبة إلى جد الحويين .
(٨) فاران: كلمة عبرانية معربة، وهى من أسماء مكة، وقيل : هى اسم لجبال مكة .

وقال في التوراة: " إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران " (١) .
وفي التوراة التي بأيديكم ، أن الله قال لإبراهيم حين دعاه في ابنه إسماعيل :
قد أجبته في إسماعيل ، وباركت عليه وكثرته ، وعظمته جداً جداً (٢) . وقال : " أجعله أمة
عظيمة " (٣) يريد أمة محمد ﷺ .

وقال في التوراة أيضاً لهاجر أم إسماعيل حين دعتة : " قد سمعت خشوعك في إسماعيل ،
وستكون يديه فوق يد الجميع ، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع " (٤) .
ولا محالة أن إسماعيل وولده لم تكن أيديهم إلا تحت يد إسحاق ، لأن النبوة كانت في ولد
إسحاق ، فلما بعث الله محمداً ﷺ ، جعل يد بني إسماعيل فوق يد الجميع ، ورد النبوة فيهم ،
وأعظمهم ، وعظمتهم ، وبارك عليهم جداً جداً ، كما قال في التوراة .
وقال أيضا فيها :

أقبل السيد من سيناء ، وترا [أى] لنا ، وأقبل من جبال فاران ، ومعه آلاف من
الصالحين ، ومعه كتاب نارى ، وهو ختم الأجناس ، وهو [و] جميع الصالحين في قبضته ومن
تداني من قدميه ، يصيب من علمه (٥)

فاعتبر قوله ، واطرح الهوى ، تصبب إن شاء الله .

وفي الزبور الذي بأيديكم :

" سبحوا الرب تسبيحاً حديثاً . سبحوا الذى هيكله الصالحون ، ليفرح إسرائيل بخالقه .
وبنات صهيون من أجل أن [الله] اصطفى لهم أمة . وأعطاهم النصر [وأيد] الصالحين منهم

(١) تكوين ٢١ : ٢١ .

(٢) قارن التكوين ١٧ : ٢٠ .

(٣) قال الله لإبراهيم : " وأجعله أمة كبيرة " .

ولهاجر : " لأنى سأجعله أمة عظيمة " .

(٤) قارن تكوين ١٦ : ١٢ .

(٥) قارن : تثنية ٣٣ : ٢-٣ .

لكرامة ، يسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين ، لينتقم الله [هم] من الأمم الذين لا يعبدونه ، يوثقون ملوكهم بالقيود ، وأشرفهم [بالأغلال] " (١) .

أخبرني!

من [هذه] الأمة التي سيوفها ذوات شفرتين ، ينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه ؟
ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء ؟

ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في الآذان ؟

وفي الزبور الذي بأيديكم أيضاً في صفة محمد ﷺ : " ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأتجار إلى منقطع الأتجار ، وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويجلس أعداؤه بالتراب ، ويأتيه ملوك القرايين ، وتسجد له ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، لأنه يخلص [المظلوم من الظالم] ، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ، ويدوم أمره إلى آخر الزمان " (٢) .

وفي الزبور: " أن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً " (٣) .

فالإكليال : ضرب مثل للرياسة . ومحمود : هو محمد ﷺ .

وفي الزبور : " تقلد أيها الجبار السيف ، فإن ناموسك ، وشرائعك مقرونة يمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرنون تحتك " (٤) .

وفي الزبور: " يقول الله تعالى لداود عليه السلام : سيولد لك ولد أدعى له أباً ، ويدعى لي

(١) قارن مزمو ١٤٩ .

(٢) قارن المزمو ١٣٢ : ١٨ ، والمزمو ١٣٣ : ١-٣ .

(٣) قارن مزمو ٤٥ : ٣-٥ .

(٤) قارن : مزمو ٤٥ : ٣-٥ .

ابناً ، فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة ، كى يعلم [الناس] أنه بشر " (١) .
إعتبر قول داود ، حين أفرعه ذلك وراعه ، [ف] دعا إلى الله أن يبعث جاعل السنة ،
كى يعلم الناس أن ذلك الولد إنما هو بشر ا

كذلك لما ضللتهم فى عيسى بن مريم [عليه السلام] ، فدعوتهم الله أباً له ، ودعوتهم ابناً
لله ، بعث الله جاعل السنة ، وكاشف الغمة ، الذى أعلم الناس أنه بشر ، ليس بإله .
وكذلك قال المسيح فى الإنجيل الذى بأيديكم :

" اللهم ابعث الفارقليط ليعلم الناس أن [ابن] الإنسان بشراً " (٢) .

وقال أيضاً فى الإنجيل الذى بأيديكم عن يوحنا :

" الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب ، فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ، ولا يقول من تلقاء
نفسه شيئاً ، ولكنه مما يسمح يكلمكم ، ويسوسكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والغيوب " ...
إلى أن قال عنه : " وسيعظني " (٣) .

وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا ، وتمادى على وصفه بكلام [جيد] ، وقال : " هو
يشهد لى كما شهدت له ، وأنا أجيئكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل " .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم أيضاً عن يوحنا أن المسيح قال للحواريين :

" الذى يبغضني يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً ، لم يعملها غيرى ، لم
تكن لهم خطيئة ، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبى ، لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى
ناموسهم أبغضوني بلا سبب " .

(١) لم يرد هذا النص فى الزبور ، ولكنى عثرت على نص فى المزمور ٨٩ يقول : إن الله سيعين داود ، ويقويه بسحق
أعدائه وضرب مبغضيه ، وأن داود يدعوه أباً : " هو [أى داود] يدعوني أبى ، أنت إلهى وصخرة خلاصى " ، (٢٧)
وهو مخالف لمفهوم النص الذى استشهد به أبو عبيدة .

(٢) قارن يوحنا ١٥ : ٢٦-٢٧ .

(٣) قارن يوحنا ١٦ : ٧-١٥ .

"ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الأب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء" (١) .

فقال المنخما بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية : الفارقليط ، وهو بالعربية محمد ﷺ (٢) .
وفى الإنجيل الذى بأيديكم أنه قال لليهود :

"وتقولون لو كنا فى أيام آباءنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء . فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيا لآبائكم . أيها الحيات اولاد الأفاعى . كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون ، وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم ، وتطردون من مدينة إلى مدينة ، لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الارض ، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا ، الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ، الحق أقول لكم : إن هذا كله يأتى على هذا الجيل " .
"يا أورشليم يا أورشليم ... يا قاتلة الانبياء وراجمة المراسلين، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم

(١) قارن يوحنا ١٥ : ٢٣-٢٧ .

(٢) ذكر رحمة الله الهندي أنه وقعت فى يده رسالة باللغة الأوردية ، طبعت فى كلكتة فى سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة ، وكانت فى تحقيق لفظ "فارقليط" ، ادعى مؤلفها أن مقصوده أن يبه المسلمين على سبب وقوعهم فى الغلط من لفظ "فارقليط" ، وكان ملخص كلامه أن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليونانى ، فإن قلنا : إن هذا اللفظ اليونانى الأصل : "باركلى طوس" فىكون بمعنى المعزى والمعين الوكيل ، وإن قلنا إن اللفظ الأصلى "بيركلوطوس" ، يكون قريباً من معنى محمد وأحمد ، فمن استدل من علماء الإسلام بهذه البشارة ، فهم أن اللفظ الأصلى بيركلوطوس ومعناه قريب من معنى محمد وأحمد ، فادعى أن عيسى ﷺ أخير محمد وأحمد لكن الصحيح أنه "باركلى طوس" إنتهى ملخصاً من كلامه .

فأقول - أى رحمة الله - : إن التفاوت بين اللفظين يسير جداً ، وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، فيبدل "بيركلوطوس" "باركلى طوس" فى بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث المنكرين هذه النسخة على الأخرى .
(رحمة الله : اظهر الحق جـ ٢ ص ٢٧٨ - ٢٨٠)

خراباً، لأني أقول لكم : إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب " (١).
فاعتبر قوله هذا . وبشارته . محمد ﷺ المنتقم بعده لدماء المسلمين . وقوله " أرسل إليكم نبياً " . وهذا تحريف منكم ، [لأنه] قال " سيعث الله أنبياء " ، وقد قدمنا أنه لم يترل نفسه إلا بمذلة بشر ، لا إله .

ويقولون : " إنه لا نبي بعد يحيى " ، [بينما] في الإنجيل الذي بأيديكم :
" إنما النبوة والكتاب إلى يحيى ، ومن بعده ، يبشر بملك الله (٢) ، ويؤخذ عنوة ، فذهاب السماء والأرض أهون من إسقاط حرف من الكتاب " (٣) .

فانظر قوله : " ومن بعده يبشر بملك الله ، ويؤخذ عنوة " ، فهو إفصاح عن محمد ﷺ (٤)
في الأرض ، [فهو] الذي قهر الأجناس بالسيف ، وقتل من قتل من اليهود وسائر الكفار انتقاماً ،
[أرسل إليهم] من الله ، [حيث اشتكتهم] دماء جميع أولئك المؤمنين .
وفي الإنجيل الذي بأيديكم عن متى :

" لما سمع [يوحنا] في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه ... وقال
[المسيح] : الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ...
لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا . وإن أردتم أن تقبلوا ، فهذا هو إيليا المزمع أن
يأتي ، من له أذنان للسمع فليسمع " (٥) .

فاعتبر هذه البشارة ا فإن زعمت [أن المراد "إيليا" هو] إلياس النبي ، فهذا من

(١) متى ٢٣ : ٣٣-٣٩ .

(٢) قارن متى ٣ : ٢ .

(٣) قارن متى ٥ : ١٨ ، ٢١ : ٣٣-٤٦ ..

(٤) في ج : " هو ملك رسوله محمد ﷺ " .

(٥) متى ١١ : ٢-١٥ .

توقحك على الله ، ومكابرتم العقول ، لأن إلياس [كان سابقا في الزمان على عيسى] (١) ،
أرسله الله إلى قومه ، وكان من أمره ما كان ، وصار إلى الله تعالى .

وإنما قال المسيح : إن إيليا مزعم أن يأتي ، [لأن] "إيليا" هو الله تعالى [بمجازاً] ، فمجيئ
الله هو مجيئ رسوله بكتابه ، وأمره كما قال في التوراة :
"جاء الله من سيناء" .

وكما قال : "وأقبل من فاران" ، وما أشبه ذلك . [فـ] هو [تعبير مجازي ، أي جاء
رسول] من الله ، و[معه] كتابه .

وكذلك زعم عالمكم يروم ، أن موسى بن عمران ، واليسع ، وإلياس سيأتون . وحكى
- زيادة- "أرميا" في الآيتين ، واحتج على ذلك بما نص في كتاب الله عن الله تعالى أنه قال :
" قبلما صورتك في البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدستك ، جعلتك نبيا
للشعوب " (٢) .

فقال يروم :

[أوحى إلى] "أرميا" ، أنه يأتي آخر الزمان ، ليكون نبيا للأجناس كلها ، كما قيل له ،
لأنه لم يكن الأنبياء [مرسلين إلا] لبني إسرائيل خاصة .

فهذا قول "يروم" ، وما من نبي إلا قال : إنه إلى بني إسرائيل بعث ، ولم يبعث إلى
غيرهم ... إلى أن بعث الله سيدهم محمد ﷺ ، وقال له : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : " بعثت إلى الأبيض والأحمر " (٤) .

(١) في ج: "قد كان في الدنيا وقد".

(٢) أرميا ١: ٥ .

(٣) الأعراف : ١٥٨ .

(٤) انظر ص ٢٠٣ .

وقد تيقنت نبوته ، وصح فضله على جميع الأنبياء عليهم السلام ، فذلك القول ^(١) الذى قيل "لأرميا" فيما أوحى الله إليه ، إنما هو قول لمن بعده ، [وأن] المقصود محمد ﷺ .
 وقول "يروم" : إن فلاناً وفلاناً - لمن سماهم من الأنبياء - سيأتون ^(٢) فى آخر الزمان ، [فليس إلا] هتف ^(٣) ، وجرأة ^(٤) على الله ، وافتراء عليه ، ولن يأتى منهم - ممن قد مات ^(٥) - أحد إلى يوم الميقات المعلوم .

وفى الإنجيل الذى بأيديكم عن المسيح :

أنه ضرب مثلاً للدنيا ، [فهى] كمثل رجل غرس ^(٦) كرماً ، وأحاطه بسياج ^(٧) وحفر ^(٨) فيه معصرة ، وبنى برجاً ^(٩) وسلمه إلى كرامين ، وسافر ^(١٠) ، ولما قرب وقت الإثمار ، أرسل عبيده إلى الكرامين ^(١١) .

[ثم] ضرب المسيح مثلاً للأنبياء ، ثم لنفسه فى كلام كثير ، ثم لمحمد ﷺ ، وجعله الموكل آخرأ بأمر الكرم ^(١٢) ، وأفصح عن أمة محمد ﷺ فقال : إنه سيزاح عنكم ملك الله ، ويعطى الأمة المطيعة العاملة .

(١) فى ج : " بذلك الذى قال لأرميا " .

(٢) فى ج : " يتسالون " .

(٣) فى ج ، ت : " إنما هو هتف " .

(٤) فى ج : " وجرأة " .

(٥) فى ج : " مما قد مات " .

(٦) فى ج ، ت : " أغترس " .

(٧) فى ج ، ت : " ومسيح حوله " .

(٨) فى ج ، ت : " وجعل " .

(٩) فى ج ، ت : " وشيد فيه قصراً " .

(١٠) فى ج ، ت : " ووكل أعوانا وتغرب " .

(١١) فى ج ، ت : " فلما دن أوان قطافه ، بعث عبيده إلى أعوانه المكلفين " . رجعنا فى تصحيح أخطاء هذا النص

إلى الإنجيل (انظر متى ٢١ : ٣٣-٣٤) .

(١٢) فى ج " أمر بالكرم " ، وفى ت : " آخرأ بالكرم " .

ثم ضرب مثلاً "ب" صخرة ، وقال : من سقط على هذه الصخرة سينكسر ، ومن سقطت عليه يتهشم ^(١) . يريد بذلك محمد ﷺ ، ومن ناوأه وحاربه أظهره الله عليه .

وفي صحف أشعياء التي بأيديكم قال :

ستمتلئ البادية والمدائن من قصور آل قيذار يسبحون الله ، ومن رؤوس الجبال ينادون ، هم الذين يجعلون لله الكرامة ، ويثنون تسبيحة الله في البر والبحر ^(٢) .

وفي صحف حزقيال النبي يقول عن الله : " إني مؤيد قيذاراً بالملائكة " ^(٣) .

وقيذار ولد إسماعيل ، فأى بادية هذه البادية التي امتلأت من قصور آل قيذار؟ [أليس هم] الذين ينادون بالأذان والتلبية من رؤوس الجبال ، ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج إلى بيت الله !

وقال أشعياء النبي عن الله : "عبدى الذى سرت [به] نفسى ، أنزل عليه وحى ، فيظهر فى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته فى الأسواق ، يفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويجى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطيه أحداً غيره ، أحمد يحمد الله حمداً حديثاً ، يأتى من أقصى الأرض ، تفرح البرية وسكانها ، يهللون لله على كل شرف ، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ، ولا يغلب ، ولا يميل إلى الهوى ، ولا يسمع فى الأسواق صوته ، ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصفة ^(٤) الضعيفة ، بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين . وهو نور الله الذى لا يطفأ ، ولا يخضع حتى تثبت فى الأرض حجتى ، وينقطع به العذر ، [و] إلى توراته ينقاد الخلق " ^(٥) .

(١) قارن متى ٢١ - ٤٤ .

(٢) قارن أشعياء ٤٢ : ١١ - ١٣ .

(٣) لم أعثر على هذا النص فى الكتاب المقدس .

(٤) العصفة : ما كان على ساق الزرع من الورق .

(٥) قارن أشعياء ٤٢ : ١ - ٧ .

اعتبر هذا التصريح لمحمد ﷺ ، وصفاته ، [ففيه الكفاية ، فكم وكم من وجوه ممتنع عليكم أن تدعوا فيها] ^(١) لغير محمد ﷺ ، فمن ذلك أنه [قال] : يوصى الأمم .
وقد كتب في إنجيلكم الذى بين أيديكم ، أن المسيح قال :
" إني لم أبعث إلى الأجناس ، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل " ^(٢) . فلا يجوز أن يكون إلى الأمم جميعاً غير محمد ﷺ .
وفي الإنجيل الذى بأيديكم ، أن المسيح قال للحواريين : " لا تسلكوا إلى سبيل الأجناس ، ولكن اختصروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل " ^(٣) .
وقال أشعيا في كلامه المتقدم آنفاً : " لا يضعف ولا يغلب " .
وأنت تقول : " إن المسيح غلب على نفسه ، وحمل خشبته ، وسمرت يدها فيها ، وقتل عليها " .

فهل في الضعف أكثر من هذا [؟]

ولا جرم أن الله تعالى فتح لمحمد ﷺ فتحاً مبيناً ، ونصره نصراً عزيزاً ، وأظهره على كل عدو ومعاند لله تعالى ، حتى أعلى دينه وأفشى توحيده .
وفي صحف حبقوق النبي التى بأيديكم : " جاء الله من [تيمان] ^(٤) ، وتقدس من جبال فاران ، وامتألت الأرض من تحميده وتقديسه ، وملك الأرض بهيبته " ^(٥) .
وقال أيضاً : " عريت قوسك تعرية . سباعيات سهام كلمتك " ^(٦) .

(١) من ع ، وفى ج ، وت : " ومن كل وجه ممتنع عليكم أن يدعوا في هذا الكلام كله " .

(٢) قارن متى : ١٥ : ٢١-٢٦ .

(٣) قارن متى : ١٠ : ٥-٦ .

(٤) فى ج : " النيين " .

(٥) قارن : حبقوق ٣ : ٣-٤ .

(٦) فى ج ، ت : " وقالوا أيضاً : تضى لنوره الارض ، ويستترع فى قسيك أعرافاً ، وترتوى السهام بأمرك يا محمد

ارتواء ؟ " فنظر حبقوق ٣ : ٩ .

إعتبر [فكل ذلك] إفصاح لحبقوق باسم محمد وصفته .

وفي صحف أشعياء النبي يقول : " قيل لي : قم ناظراً ! فما ترى ؟ ، قلت : أرى راكبين مقبلين : أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهم لصاحبه : سقطت بابل ، وأصنامها النخرة" (١).

فصاحب الجمل هو محمد ﷺ ، وصاحب الحمار - باتفاق منا ومنكم - هو عيسى بن مريم عليه السلام .

أو ليس محمد بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار ؟ ، وإنما سقطت عبادة الأصنام ببابل من دون الله ، وهدمت أوثانها بالنبي محمد ﷺ وأمه ، لا بعيسى ، ولا بغيره ، فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من لدن إبراهيم عليه السلام إلى زمان محمد وأمه .

وفي صحف أشعياء أيضاً : " لتفرح أرض البادية العطشى ، ولتبهج البراري والقلوات " (٢) . لأنها ستعطى بأحمد محاسن البستان ، [وستكون مثل الرياض حسنا ومهأاً] (٣) .

إعتبر ! هذا الإفصاح باسمه وصفة بلده بما لا ينكره إلا وقاح مكابر بالباطل :

وفي صحف حزقيال النبي التي بأيديكم أيضاً ، يقول الله عز وجل ، بعد ما ذكر معاصي بني إسرائيل ، وشبههم بكرمة غرسها (٤) ، وارتفاع ساقها بين الأغصان الغيباء ، وقال : " لم تنبت تلك الكرمة ، [فاقتلعت وطرحت] (٥) على الأرض ، أحرقت السماء ثمارها ، فعند ذلك

(١) وأصل هذا النص في سفر أشعياء :

" لأنه هكذا قال لي السيد : اذهب أقم لحارس ليخبر بما يرى . فرأى ركاباً أزواج فرسان . ركاب حمر . ركاب جمال ... وقال : سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة ، كسرهما إلى الأرض " . (أشعياء ٢١ : ٦)

(٢) وهو في سفر أشعياء : " تفرح البرية والأرض اليابسة ، ويتبهج القفر ، ويزهو كالترجس " .

(أشعياء ٣٥ : ١)

(٣) من ع ، وفي ج ، ت : " وكمثل حسن الدياكر والرياض " .

(٤) في ج ، ت : " غذاها " .

(٥) في ج ، ت : " أن قلت بالسحطة وربما بما " .

غرست في البدو ، وفي الأرض المهملّة العطشى^(١) . وخرجت من أغصانها الفاصلة نار أكلت تلك ، حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب^(٢) .

إعتبر ا هذا التصريح به ، وبصفة بلده كلها ، في قوله : الأرض المهملّة البدو ، والعطشى ، وتلك صفات مكة ، لأنها صحراء ، لأنها كانت مهملّة من النبوة من إسماعيل ، وهى [مركز] البدو .

وفي صحف " دانيال " النبى : وقد نعت الكذابين [بقوله] : " ولا تمتد دعوتهم ، ولا يتم فرقانهم . و أقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل ، ولا يقيم لداع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة " ^(٣) .

إعتبر هذا الفضل الذى تنكرون ، [فـ] هذه دعوة محمد ﷺ قائمة منذ [ستمائة] من السنين ، [الآن على ظهور الإسلام ١٤٢٨ سنة] وباقية إلى يوم القيامة ، فحسبك بهذا دليلاً على الباطل وأهله .

وقال [دانيال] النبى وقد سأله الملك [بمختصر] عن رؤية رآها ، وطلب منه أن يخبره بتفسيرها ، فقال :

" أيها الملك! رأيت صنماً بارع الجمال ، أعلاه من ذهب ، ووسطه من فضه ، وأسفله من نحاس ، وساقاه من حديد ، ورجلاه من فخار ، فبينما أنت تنظر إليه ، وقد أعجبك ، إذ دقه

(١) في ج : " العظمى " وساقطة من ت .

(٢) أصل النص كما جاء في سفر حزقيال : " أمك ككرمة مثلك ، غرست على المياه . كانت مثمرة مفرخة من كثرة المياه . وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلطين ، وارتفع ساقها بين الأغصان الغيباء ، وظهرت في ارتفاعها بكثرة زراعتها . لكنها اقتلعت بغيظ ، وطرحت على الأرض ، وقد يبست ريح شرقية ثمرها . قصفت ويبست فروعها القوية . أكلتها النار . والآن غرست في القفر في أرض يابسة عطشانة ، وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها ، وليس لها الآن فرع قوى لقضيب تسلط " . (حزقيال ١٩ : ١٠ - ١٤)

(٣) لم أعر على هذا النص في صحف دانيال . بل ورد ما يفيد معناه في المزمور ١٠٩ فارجح إليه .

الله بحجر من السماء ، فضرب رأس الصنم فطحنه حتى اختلط ذهبه ، وفضته ، ونحاسه ،
وحديده ، وفخاره . ثم إن الحجر فار وعظم حتى ملأ الأرض كلها .

قال له [بختنصر] : صدقت ، فأخبرني بتأويلها !

قال دانيال : أما الصنم ، فأمم مختلفة في أول الزمان ، وفي وسطه ، وفي آخره ، فالرأس
[التي] من الذهب : [هي] أنت أيها الملك . والفضة : إبنك من بعدك . والنحاس : الروم .
والحديد : الفرس . والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام . والحجر : هو دين
نبي وملك أبدي ، يكون في آخر الزمان يغلب الأمم كلها ، [ثم يعظم ، حتى يملأ الأرض كلها]
، كما ملأها ذلك الحجر ^(١) .

فأخبرني !

هل كان نبي غير محمد ﷺ جمع الأجناس والأمم على اختلافها واختلاف لغاتها ،
ودياناتها ، وممالكها وبلادها ؟

فجعلها جنساً واحداً ، ولغة واحدة ، ومملكة واحدة ، وديناً واحداً .

ولا محالة أن العرب والفرس ، والنبط والقبط ، والاكراذ والترك ، والديلم ، والحبيش ،
والبربر ^(٢) ، ومن أسلم من [أهل] الهند ، والسودان ، والروم ، وغيرهم على كثرتهم ، كلهم
ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرأون القرآن .

وقد صار كل ما ذكرناه أمة واحدة . والحمد لله على ذلك كثيراً ، فصحت نبوة سيد

المرسلين محمد ﷺ ، وعلى جميع النبيين .

وقد تبين كذب أساقفكم المضللين .

(١) قارن دانيال ٢ : ٣٧-٤٥ .

(٢) في ج : " والحمل والبربر " بإمال الكلمة الأولى .

[صفات محمد ﷺ]

فهذه جملة من [آيات] سيد المرسلين والنبیین محمد ﷺ ، ومعجزاته، ومن بشارات الأنبياء به إلى ما جبله الله عليه من الخلق العظيم ، والزهد في الدنيا ، والعلم ، والحكمة ، والبيان ، والصفح ، والوقار ، ولين الخلق ، والرفقة ، والرحمة ، والتواضع لله ، والصبر ، والجود .
وملك الحجاز ، واليمن كلها ، واليامة كلها ، وأقصى نجد إلى العراق . ومات ودرعه مرهونة عند يهودى فيما أكل أهله^(١) .
وكان بعد ما ملكه الله رقاب عباده ، وأوطأ له في الأرض من في الأرض ، وأخضع له الملوك ، يؤاكل العبد واليتيم ، ويحملها كالأب الرحيم .

(١) ابن حجر : فتح البارى ، ج ٦ ، ص ٧٠ ، مسلم ، ج ١ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ .

هذا الحديث مطعون فيه للأسباب التالية :

- ١ . عندما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، لم يكن بالمدينة أحد من اليهود .
 - ٢ . لا يُقرض اليهودى غير اليهودى إلا بربا ، فهل اتفق رسول الله ﷺ معه على أن يعطيه ربا ، وهو ما حرمه القرآن الكريم ؟
 - ٣ . اليد العليا خير وأحب إلى الله من اليد السفلى ، والعليا هي المعطية ، والسفلى هي الآخذة ، فهل قبل رسول الله ﷺ هذا الوضع ؟ إني أمتبعد ذلك جملة وتفصيلاً !
 - ٤ . الدرع بالنسبة للعربى (وكذا للمسلم) هو بمثابة العرض ، ورمز للعزة والكرامة ، ومن يعطه للغير كمن فرط في عرضه ، فهل فرط الرسول ﷺ في عرضه وتنازل عن كرامته إني أمتبعد !
 - ٥ . كان من المسلمين من هو ثرى جداً ، لدرجة أن أحدهم جهز جيشاً بكامله ، فهل يتسرك رسول الله ﷺ المسلمين فلا يقترض منهم ، ويقترض من يهودى إني أمتبعد !
 - ٦ . كان رسول الله ﷺ يملك من الثروة ما يسد حاجته ، بدليل أنه مات وله أرض فدك التي كانت سبب الخلاف بين السيدة فاطمة الزهراء ، وبين أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، ألم يكن من الأولى أن يبيع ما يملك ليسد حاجته ، بدل أن يمد يده إلى يهودى ويفترض منه بالربا إني أمتبعد !
- لهذه الأسباب أرى أن هذا الحديث من الإسرائيليات ، وضعه يهودى ، ليثبت فضل اليهود على نبي الإسلام .

ويركب الحمار ، ويمشى فى الأسواق راكباً وراجلاً ، ويجلس على الارض ، ويأكل عليها ، ويلبس العبا [ء] ة ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ولم يشيد قصرأ ، ولا غرس نخلاً . وكان يجوع حتى يجعل الحجر على بطنه^(١) ، ويصلى الليل بطوله^(٢) ، حتى تورمت قدماه ، وإذا قام الليل فى الصلاة يسمع لصوته أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وكان أشد حياء من البكر ، ولم يغضب قط ، ولا أكل وحده ، ولا ضرب عبيده ، ولا منع سائله رفته ، وكشف بشرته ليقص منه عكاشة بن محصن - رجل من المسلمين - من شئ لم يتعمده ، فلما وصل إليه ، تبرك^(٣) خديه فى بطنه ، ويكى ﷺ ، [وهو] إذا ذاك تمابه الملوك ، وتردع منه الجبابرة ، ولو كان سبق فى حكم الله تعالى أن يكون إنسان تام كما تزعمون ، لم يكن غير محمد ﷺ ، لكماله وجلاله وبيان فضله على جميع أولاد آدم ، فتلك صفاته وآياته التى علمها جميع العالم^(٤) .

(١) عن جابر رضى الله عنه قال : إنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة ، فجاءوا النبي ﷺ فقاروا : هذه كدية عرضت الخندق ، فقال : أنا نازل . ثم قام وبطنه معسوب بحجر... إلخ .

زاد يونس "من الجوع" ، وفى رواية أحمد : أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجراً من الجوع . وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع ، فيخشى على الشفاء الصلب بسبب ذلك ، فإذا وضع فوقها الحجر ، وشد عليها العصاة استقام الظهر . وقال الكرمانى : لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر ، لأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء ، فلا يتحلل شئ مما فى البطن ، فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل .

هل يسكن الحجر حرارة الجوع ؟ هل يمسك بربط ما فى الأمعاء فيمنعها عن التحلل ؟ ذلك أمر يحتاج إلى دراسة من المتخصصين فى هذا الجانب من حياة الإنسان . أما اللغوى فينظر إلى هذه الكلمة : "حجر" من ناحية أخرى ، إذا انه عندما يرى أن القاموس ذكر : "حجزة الإزار" يتساءل ، ألا يحتمل أن يكون المراد : الحجر ، وليس الحجر ؟

(٢) فى ج : "وطوله" .

(٣) فى ج ، وت "تراما" .

(٤) فى ج ، وت "العوالم" .

[إخبار اليهود عن عيسى بن مريم عليه السلام]

فأخبرني أنت أيها المغرور إذا كفرت بكتابه ا من أين تحققت [عندك] لعيسى بن مريم فضيلة أو معجزة ؟

ومن نقل إليكم آية أو معجزة ؟

هل جئتم [عما جئتم به] إلا بعده [عما] ينيف على مائتين وكسور من السنين؟
أخبرتم عن منامة رثيت [فـ] أسرعتم إلى تصديقها ،و[أتم] لا تندرون ، أكان ^(١)
موجوداً في العالم، أو لم يكن - لا بتواتر ولا بغيره - إلا [عمقتضى] السبب الذى قدمت ذكره !!
أما [كان] الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى في العالم ، وإن ظهر له صواب
القول بوجوده ا

[أيكفر] ^(٢) بالقرآن [ويقبل] ^(٣) قول اليهود به ، لزعمكم أنهم كانوا رهطه، ولكونه
منهم وفيهم، واليهود فيما بينهم متخالفون في أمره ؟
ثم أنتم متخالفون مع اليهود في أمره .

فقد زعمت اليهود حين أخذوه ، حبسوه في السجن أربعين يوماً ، وقالوا : ما كان
لنا أن نجبسه أكثر من ثلاثة أيام ، إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم ، لأنه كان يداخله
بصناعة الطب .

" وفي الإنجيل الذى بأيديكم ، أنه أخذ صباح الجمعة ، وصُلب في الساعة التاسعة من
اليوم بعينه " ^(٤) .

فأخبرني ا متى تتوافقون مع اليهود في خبره ؟

(١) في ج ، وت : " هل كان " .

(٢) في ج ، وت : " وهو يكفر " .

(٣) في ج ، وت : " فتقبل " .

(٤) أنظر مرقس ١٥ : ٤٢-٤٤ ، ويوحنا ١٩ : ٣١-٣٣ .

واليهود بمجعة [على] أنه لم يظهر لهم معجزة ، ولا بدت لهم منه آية ، غير أنه طار يوماً - وقد هموا بأخذه - ، فطار على إثره آخر منهم ، فعلاه في طيرانه ، وجدله فسقط إلى الأرض بزعمهم .

وفي الإنجيل الذى بأيديكم [فى أكثر من موضع] ^(١) ما يشهد أن لا معجزة له ، ولا آية ، فمن ذلك [مما هو] فيه منصوص : أن اليهود قالوا له يوماً : ماذا نفعل حتى ننتهى إلى أمر الله ؟ فقال لهم : أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه . فقالوا له : وما آيتك التى ترينا [حتى] تؤمن بك ، وأنت تعلم أن آباءنا أكلوا المن والسلوى بالمفاوز .

فقال : إن كان موسى أطعمكم خبيراً بالمفاوز ، فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً ^(٢) يريد ، نعيم الجنة .

فلو عرفوا له معجزة ، ما قالوا ذلك ، ثم [هو] لم يجيبهم على قولهم بمعجزة ولا آية . وفي الإنجيل الذى بين أيديكم : أن اليهود قالت له : ما آيتك التى نصدقك بها ؟ قال : إهدموا البيت ، وأنا أبنيه لكم فى ثلاثة أيام . وقد قدمت ذكر هذا الخبر مستوفياً ، فلو كانت اليهود تعرف له آية ، لم تقل له هذا ولو كان [قد] أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ . وعندكم فى الإنجيل أيضاً : أنهم جاءوا يسألونه آية ، وقد فهم [ما يريدون] ، فقال :

(١) فى ج، وت : فى غير ما موضع [بدون نقط على الكلمة الأخيرة] وهذه الفقرة ساقطة من ع .

(٢) نص ما جاء فى الإنجيل : " فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله ، أن تؤمنوا بالذى هو أرسله ، فقالوا : فأى آية تصنع لئرى وتؤمن بك ؟ ماذا نعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب ؟ إنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم ، ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء . بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء ، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة العالم . فقالوا له : يا سيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة ، من يقبل لى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً " . (يوحنا ٦ : ٣٨-٣٥)

إن القبيلة الخبيثة ، تطلب آية ، ولا تعطى ذلك ^(١) .
وفيه أيضاً: أنهم [أى اليهود] كانوا يقولون له وهو على الخشبة - بظنكم - : " إن
كنت المسيح ، فأنزل نفسك ، فنؤمن بك " ^(٢) .
يطلبون منه ذلك آية ، فلم يفعل .

فلتعلم - أيها المغرور - أنك إن كفرت بالقرآن ، لا تحقق لعيسى بن مريم آية ، ولا
فضيلة ، لأن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها ، لِمَا ذكرت من اختلاف بعضكم مع
بعض ، وعدم يقينكم بجميع أموره .

وكذلك أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئاً من الألوهية ، التي نسبت إلى ادعاءها ، ولا
محالة أن مرادهم أن يدعى ذلك ، ليكون أبلغ في التشنيع عليه ، [فقد] ذكروا السبب في
استفاضة ^(٣) ذلك ، [أى التشنيع] عليه ، فقالوا : إن أخبارهم أثروا ^(٤) ما مضى ، وبقي ذكره
[ولذا] خافوا أن تصير عامتهم إليه ، إذ كان على سنن تقرب من سنتهم ، فشنعوا عليهم أموراً
كثيرة ، [منها] : نسبوا إليه دعوى الألوهية تزهداً للناس في أمره ^(٥) .

ثم إن اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم يقينهم بشيء من أخباره ،
فمنهم من يقول : إنه كان رجلاً منهم ، ويعرفون أباه وأمه ، [ويتهمونها] بالزنا ، وحاشا لله ،
قاتلهم أنى يوفكون ، ويسمون أباه البندير الرومى ، وأمه مريم الماشطة ^(٦) ، ويزعمون أن زوجها

(١) نص ما جاء في الإنجيل: "حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية.
فأجاب ، وقال لهم : جيل شرير وفاسق ، يطلب آية ، ولا تعطى له آية ، إلا آية يونان النبي" (متى ١٢ : ٣٨-٣٩)

(٢) قارن متى ٢٨ : ٤٠ .

(٣) إستفاضة الخبر : إنتشر ، والمصدر : إستفاضة .

(٤) أثر الحديث : نقله ، فالحديث مأثور ، أى منقول قرناً عن قرن .

(٥) ليس بين قوله : " أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئاً من الإلهية ... " وقوله : " نسبوا إليه دعوى
الإلهية... " تناقض ، لأنه يبدو أن المؤلف أراد بالفقرة الأولى الإخبار عن اليهود المعاصرين للمسيح ، وبالثانية ذريتهم
الذين جاءوا بعد فترة من الزمن .

(٦) الماشطة : هى التي تحسن المشط وتتخذ ذلك حرفة لها .

يوسف بن يهوذا ، وجد البندير عندها على فراشها - أو شعر بذلك - ، فهجرها وأنكر ابنها .
ومن اليهود :

من تيراً من هذا القول ، وقال : إنما أبوه يوسف بن يهوذا ، الذى كان زوجاً لمريم ،
ويذكرون أن السبب فى إضافة اسم الزنيم⁽¹⁾ عليه ، أنه كان مع معلمه [يوشع بن يوحنا] ،
وسائر التلاميذ فى سفر ، فترلوا موضعاً ، وجاءت امرأة من أهله ، وجعلت تبالغ فى كرامتهم ،
فقال [يوشع] : [ما أحسن هذه المرأة] ، يريد أفعالها .

فقال عيسى - بزعمهم - : " لولا عمش فى عينها " .

فصاح " يوشع " وقال له : [يا ممرا] وترجمته : يا زنيم ا " أتزنى بالنظر " ، وغضب
عليه غضباً شديداً ، وعاد إلى بيت المقدس وصرح باسمه ، ولعنه فى أربعمئة قرن .

فحينئذ لحق عيسى - بزعمهم - ببعض قواد الروم ، وداخله بصناعة الطب ، فقوى
بذلك على اليهود - بزعمهم - ، وهو يومئذ فى ذمة [بيلاطس] عامل القيصر " تيسادوس " ،
على فلسطين ، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ، ويعرض عن بعضها ، إلى أن كان
من أمره ما كان .

وطوائف من اليهود يتحدثون بغير هذا ، فى السبب الذى من أجله لقب بتلك الشتيمة ،
[إذ] يقولون :

إنه كان يوماً يلعب الصبيان فى صغره بالكرة ، فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ
اليهود ، فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حياء من المشايخ ، فقوى عيسى ، وتخطى
رقابهم وأخذها ، فقالوا له :

" ما نظنك إلا زنيماً " فمضت عليه هذه الشتيمة .

ومن اختلاف اليهود فى أمره .

أثم يسمون أباه - بزعمهم ، [وهو] الذى كان خطيب مريم - يوسف بن يهوذا
النجار ، وبعضهم : يوسف بن حداد .

(1) الزنيم : اللئيم أو الدعى .

وأنتم تقولون :

إنه يوسف بن يعقوب . وبعضكم يقول : يوسف بن هالي^(١) . وقد تقدم ذكر اختلافكم أيضاً في آباءه ، واختلافكم في عددهم إلى إبراهيم ، فمن مقل ، ومن مكث^(٢) . فهذه أخبار اليهود عن عيسى بن مريم ، وهم مع كثرة تنازعهم فيه ، ليس منهم فرقة توافقكم في شيء مما ذكرتم .

وأنتم أيضاً - على كثرة تنازعكم في خبره - لا توافقهم فرقة منكم في شيء من ذكره ، وقد قدمت قولهم أنهم حين أخذوه - بزعمهم - سجنوه أربعين يوماً ، وفي أناجيلكم أنه صلب في اليوم الذي أخذ فيه .

فقد صح أنكم جميعاً في شك منه ، ما لكم به من علم إلا اتباع الظن ، إلى أن بعث الله سيد النبيين محمداً ﷺ ، وأوحى إليه ما أبطل هذه الأقوال الوخيمة ، وشهد له بآيات ، وقال له بمعجزات ، وقوله الحق وشهادته الصديق .

وقد كان يجب على أساقفتكم الغاوين حين راموا الشتيمة في سيد النبيين ، وخلق الأكاذيب عليه أن يتفكروا في قول اليهود في المسيح عيسى بن مريم ، فيعلمون أن الشتمات والأكاذيب لا يرضى بها أحد من الناس إلا الأشرار ، وأنها ليست من شيم الصالحين والأخيار . ونحن المسلمون فقد قارنا بين أقوال اليهود في عيسى وأقوال أساقفتكم الغاوين في سيد الأنبياء ، وأوجنا بذلك كله على جميعكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) نسبت الأناجيل عيسى بن مريم ﷺ إلى يوسف الذي كان خطيب مريم - كما يزعمون - ثم أوردت سلسلة نسب يوسف ، فذكرت فيها يهوذا ، ويعقوب وهالي .
فهالي : والد يوسف ، ويعقوب : جده الواحد والخمسون ، ويهوذا جده الخامس عشر ، والثاني والثلاثون ، والخمسون (إنظر لوقا ٣ : ٢٣ - ٣٨) .

فمن قال : يوسف بن هالي ، فقد نسبه إلى أبيه .

ومن قال : يوسف بن يعقوب ، فقد نسبه إلى جده الخمسين .

ومن قال : يوسف بن يهوذا ، فقد نسبه إلى جده الخامس عشر ، والثاني والثلاثين ، أو الخمسين .

(٢) أنظر : ١٤١ .

[تحريف التوراة وبعض ما فيها من المفتريات على الله تعالى وأنبيائه

الكرام ، وهو الجزء الثانى من الرد على الشبهة السابعة]

ولذلك لا يجب علينا تصديقكم فى شئ مما تناقلتموه فى التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وأخبار الأنبياء ، إذ ظهر عتوكم جميعاً على الله تعالى ، وكذبكم على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، واستبان لكل ذى بصيرة .

ولا يؤمن إدخالكم الخلل فى الكتب ، ولا سيما مع إقراركم أن التوراة إنما كانت طول مدة ملك بنى إسرائيل عند الكاهن الأكبر المارونى^(١) وحده .

ولا ينكر ذلك منكم - ولا من اليهود - إلا وقح عظيم المجاهرة بالباطل .

واليهود تقر أن السبعين كاهناً^(٢) اجتمعوا على اتفاق من جميعهم فى تبديل ثلاثة عشرة حرفاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح فى زمن القياصرة ، ومن رضى تحريف موضع فى كتاب الله ، فلا يؤمن منه تحريف الكثير .

وكذلك يقرون أن السامرية - وهى فرقة منهم - حرفت التوراة تحريفاً بيناً ، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك من التحريف ، ولعل الفريقين صادقان ، فأين حينئذ فى التوراة شئ يوثق به ، مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود ، فكفونا بأنفسهم من غيرهم .

(١) هو هارون بين أشير ، بذكر الباحثون فى مخطوطات التوراة القديمة ، أنه أبقى نسخة مخطوطة فى معبد سفرايم فى حلب ، خوفاً عليها من الضياع ، وأنها من المخطوطات الهامة التى اعتمدوا عليها فى تخريج العهد القديم الموجود بين أيدينا " Kuni's 28 und stellen S.II ."

(٢) كاهن يجمع على كهنة ، وكهان ، وفعله : كهن كهانة ، وتكهن تكهناتاً وتكهناتاً . كهن لفلان : قضى له بالغيب ، وحدثه .

وكهن : صار كاهناً ، أو صارت الكهانة له طبيعة وغريزة . والكاهن : من يدعى معرفة الأسرار ، أو أحوال الغيب ، ويطلق عند اليهود ، وعباد الأوثان على من يقدم الذبائح والقربان ، وهند المسيحيين على من ارتقى إلى درجة الكهنوت .

وأنتم أيضاً تدعون أنهم حرفوا في التوراة التاريخ ، فترعون أنهم نقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألف سنة ، ونحو المائتين من السنين .

وهذه الأمور لا يدعى معها الجزم بعدم تحريف التوراة إلا معاند متعسف ، فإن قلتم : كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بما إلى زمن المسيح عليه السلام ، والأنبياء معصومون عن الباطل ، وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون [من دعوى التحريف ، ويحتم عليهم أن] يوافقونا على حكم النبيين بما ، لقول القرآن ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾^(١) قلت : الجواب من وجهين :

أحدهما : لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى إليهم بالصحيح منها .
وثانيهما : أن كل شيء حكموا به ، فهو صحيح .

ولكن لِمَ قلتم : إنهم حكموا بجملتها ، مع أن الذى حكموا به غير معين ، فسقط الاستدلال بالجميع ، ولا يفيدكم حكمها شيئاً ، ومع ذلك فالتغيير لم يتعين له زمن ، فلعله كله كان قد وقع بعد النبيين ، بعد المسيح عليه السلام .

وكذلك الإنجيل الذى بأيديكم : إنما هو كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال ، وهم " يوحنا بن زبدي " ، و " متى العشار " ، و " مرقس " - وهو تلميذ " بولس " ، و " برنابا " ^(٢) - و " لوقا " ، فأمكن في كل ذلك التبديل .

وعلى ما فيها من اختلال وتحريف ، فقد استخراجنا ما فيها من البشارات بسيد النبيين ، مشرقة لعيون العالم ، لا يدفع فيها إلا كل أعمى البصيرة أو مجاهر بالباطل .

[نعود فنقول] ثم في التوراة من الأكاذيب ، والتحريف الشنيع ، والكفر البشيع ، والخرافات التى هى حديث العجائز ، كقوله عن لوط عليه السلام : أنه خرج من صوغر ، وسكن في كهف الجليل ومعه ابتاه . فقالت الصغرى للكبرى : قد شاخ أبونا ، فأرقدنا معه ، لناخذ منه نسلاً .

(١) المائدة : ٤٤ .

(٢) إنجيل برنابا ليس من الأناجيل المعترف بها عند الطوائف المسيحية ، فإيجله لم يعترف به .

فرقدت معه الصغرى ، ثم الكبرى ، ثم فعلتا في الليلة الثانية ، وحملتا منه بولدين [هما]
موآب ، وعحون^(١) .

فهل يحسن أن يكون لوط نبياً من الأنبياء ، ورسولاً من الله ، ويوقعه الله في مثل هذه
الفاحشة ؟

وفي التوراة أيضاً :

ولما سكن يعقوب بذلك الموضع ، مشى ابنه رأوبين - وهو أكبر أولاده - فضاجع سرية
أبيه يعقوب^(٢) .

هذا لفظ التوراة . ثم قال فيها :

ولما علم بذلك يعقوب قال لابنه : رأوبين سلكت على وجهك كالماء ، فلذلك لم أفضلك
بالسهم الزائد حيث امتهنت فراشى^(٣) .

(١) نص ما جاء في التوراة : " وصعد لوط من صوغر ، وسكن في الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن
صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا
كعادة كل الأرض ، هلم نسقى أبانا حمراً ، ونضطجع معه فنحى منه نسلأ ، فسقتا أباهما حمراً في تلك الليلة ،
ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة :
إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه حمراً الليلة أيضاً ، فادخلني اضطجعى معه فنحى من أبيتنا نسلأ ، فسقتا
أباهما حمراً في تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا
لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموابين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً
ودعت اسمه بن عمى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم ."
(تكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨)

(٢) نص التوراة " .. وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض ، أن رأوبين ذهب ، واضطجع مع بلهة
سرية أبيه ، وسمع إسرائيل " .
(تكوين ٣٥ : ٢٢)

(٣) نص التوراة " .. ودعاء يعقوب بنيه ، وقال : اجتمعوا لأنبتكم بما يصيبكم في آخر الأيام ، اجتمعوا واسمعوا
يا بنى يعقوب ، واصفوا إلى إسرائيل أبيكم ، رأوبين أنت بكرى قوتى وأول قدرتى ، فضل الرقعة وفضل العز ، فانثراً
كالماء لا تفضل . لأنك صعدت على مضجع أبيك ، حيث دنسته " .
(تكوين ٣٥ : ٢٢)

وتفسير هذا أن سنة الميراث كانت عندهم أن يرث الولد الأكبر سهمين ، وسائر الأولاد سهماً واحداً ، فعاقب يعقوب ابنه رأوبين على فعله المذكور ، بأن لم يفضله في الميراث .
وفي التوراة أيضاً :

أن يهوذا بن يعقوب زنى بكنته " تامارا " ، امرأة ولديه ، وقد هلكتا عنها واحداً بعد واحد ، فردها يهوذا إلى بيت أبيها ، ووعدا بتزويجها للولد الثالث المسمى " شيلة " ، إذا كبر .
[ولما ماتت امرأة يهوذا وانتهدت أيام العزاء] ، تصدت [أى " تامارا "] ليهوذا في طريقه إلى غنمه ، وسترت وجهها ، فظنها بغياً ، فعدل إليها ، ودعاها إلى نفسه ، فسألته أجراً ، فوعدها بجدى من غنمه ، فطلبت منه رهناً ، فأعطاهما خاتمه ، ومنديله ، وعصاه ، وواقعها - بزعمهم - فحملت منه ، ثم إن يهوذا أرسل [رسولاً] بالجدى ليطلب رهنه ، فلم يجد⁽¹⁾ المرأة ، فجاء بنفسه إلى أهل القرية ، وقال لهم : أين قحابكم⁽²⁾ المتطلبة على الطريق ؟
فقالوا : ما كان منا على الطريق قحباء .

ثم إنه قيل له بعد حين : إن كنتك " تامار " حبلتي .

فقال : تُحرق بالنار .

فأخرجت لتُحرق ، فقالت : إنما أنا حامل منه ، وهذا رهنه بيدى حين زنى بى ، ليفكها بجدى من غنمه .

فلما رأى يهوذا الرهن ، فكر ، ثم قال : هى أصدق منى .

هكذا نص التوراة⁽³⁾ التى بأيديكم اليوم ، فاعتبر ولوع اليهود بذكر الفواحش .

(1) فى ج ، ع ، ت : " فلم توجد " .

(2) فى ج ، ع ، ت " قحباؤكم " ، وهو خطأ ، لأن فعلاء جمع تكسير مقيس فى " فعيل " وصفاً لمذكر عاقل ، وهذه الكلمة ليس مفرداً فعيل ، بل فعله " قحبة " . كذلك ليست وصفاً لمذكر ، بل لمؤنث ، وهى المرأة الفاجرة أو البغى .

(3) وردت هذه القصة فى التوراة كما يلى : " وأخذ يهوذا زوجة " لعير " بكره ، اسمها تامار ، وكان عمر بكر يهوذا شريراً فى عيني الرب ، فأماته الرب . فقال يهوذا لأورنان : أدخل على امرأة أخيك ، وتزوج بها ، وأقم نسلاً لأخيك ، فعلم أورنان أن النسل لا يكون له ، فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض ، لكبيلاً

وبشرهم^(١) إلى التقول بهذا على صفوة الله من خلقه.

وفي التوراة أيضاً عن [دينة] بنت يعقوب :

أما خرجت لأمر موصوف فيها [أى في التوراة] ، فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس

ذلك الموضع ، فاغتصبها وأقبضها .

هذا لفظ التوراة^(٢) تحريصاً ، واقتراء على الله تعالى [عما يقولون] .

يعطى لسلاً لأخيه ، فقيح في عيني الرب ما فعله ، فأمانه أيضاً ، فقال يهوذا لثامار كنته : أقعدى أرملة و بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني ، لأنه قال لعله يموت هو أيضاً كأخويه ، فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها ، ولما طال الزمان ماتت ابنة شوع امرأة يهوذا ، ثم تعزى يهوذا ، فصعد إلى جزار غنمه إلى تمنة هو وحيرة صاحبه العدلامي ، فأخبرت ثامار ، وقيل لها : هو ذا حموك صاعداً إلى تمنة ليجز غنمه ، فخلعت عنها ثياب ترملها ، وتغطت ببرقع وتلففت ، وجلست في مدخل عينايم ، التي على طريق تمنة ، لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة ، فنظرها يهوذا وحسبها زانية .. لأنها كانت قد غطت وجهها ، فمال إليها على الطريق ، وقال : هاتي أدخل عليك ، لأنه لم يعلم أنها كنته ، فقالت : ماذا تعطيني لكي تدخل عليّ ، فقال : إني أرسل جدى معزى من الغنم ، فقالت : هل تعطيني رهنأ حتى ترسله ؟ فقال : ما الرهن الذى أعطيك ؟ فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك ، فأعطاها ، ودخل عليها فحبلت منه ، ثم قامت ومضت ، وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها ، فأرسل يهوذا جدى المعزى بيد صاحبه العدلامي ، لياخذ الرهن من يد المرأة ، فلم يجدها ، فسأل أهل مكانها قائلاً : أين الزانية التي كانت في عينايم على الطريق ، فقالوا : لم تكن ههنا زانية ، فرجع إلى يهوذا ، وقال : لم أجدها وأهل المكان أيضاً قالوا : لم تكن ههنا زانية ، فقال يهوذا : لتأخذ لنفسها ، لتلا تصير إهانة ، إني قد أرسلت هذا الجدى ، وأنت لم تجدها .

ولما كان نحو ثلاثة أشهر ، أخبر يهوذا ، وقيل له قد زنت ثامار كنتك ، وها هي حبلتي من الزنا . فقال يهوذا :

أخرجوها لتخرق ، أما هي ، فلما أخرجت أرسلت إلى جيبها قائلة : من الرجل الذى هذه له أنا حبلتي ، وقالت :

حقق لمن الخاتم ، والعصابة ، والعصا هذه ؟ فتنحقتها يهوذا ، وقال هي أبر مني ، لأنى لم أعطها لشيلة ابني .

(تكويرين ٣٨ : ٦ - ٣٦)

(١) شره الطعام مغيره شرحاً ، من باب تعب : حرص عليه أشد الحرص ، فهو شره .

(٢) لفظ التوراة : " وخرجت دينة ابنة لينة التي ولدتها ليعقوب ، لتتنظر بنات الأرض ، فرآها شكيم بن حمور

الحوى رئيس الأرض ، وأخذها واضطجع معها وأذها " .

فما الفائدة في نزول هذا الحديث البشع من السماء ، على موسى بطور سيناء ، بعد زهاء أربعمئة سنة ، يقرؤه [عليكم] الكهان في المعابد ، على أنه كلام منزل على رسوله موسى ، فتستك به الآذان ، وتعمى به القلوب^(١) .

وإنا لنرى " دينة " ، وأخواتها الأسباط ، وأباها يعقوب ، أكرم على الله من أن يجرى هذا عليهم ، وهم أهل البيت الذي نزل كتاب الله تعالى بتطهيرهم ، فقال سبحانه : ﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾^(٢) وفي التوراة أيضا عن إبراهيم عليه السلام :

أنه كان يوما قاعداً عند باب فسطاط له ، وأبصر ثلاثة رجال واقفين على مقربة منه ، فجرى إليهم ، وسجد ، وقال : يا ساداتي ! إن كنت راضياً عني ، فلا تخلف عندك ، حتى أسوق ماء تغسلون به أرجلكم ، وتستريحون تحت هذه الشجرة ، وأقدم لكم كسرة تقوون بها قلوبكم ، وبعد ذلك تذهبون^(٣) .

أخبرني !

كيف يستحسن إبراهيم أن يقول على الله : يغسل رجله ، و يقوى قلبه بكسرة ؟ . هذا هو دليلكم على التثليث لمخاطبة الثلاثة مخاطبة رجل واحد ، وقد أنبأنا الله تبارك وتعالى في كتابه الحكيم ، على لسان رسوله الكريم ، أن ضيف إبراهيم الذين أتوا إليه تحت

(١) في ت : " فنصطك الآذان وتصفي إليه العقول " وليس هناك فرق جوهري بين إستك واصطك ، إستك المسموع : صمت ، واصطك من صكه صكاً : إذا ضرب قفاه ووجهه بيد مبسوطة ، وصك الباب : أظفقه .
(٢) هود : ٧٣ .

(٣) والنص في التوراة : " وظهر له الرب عند بلوطات ممراً ، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ، ونظر ، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد إلى الأرض ، وقال : يا سيد إن كنت وجدت نعمة في عينيك ، فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم ، واتكنوا تحت الشجرة ، فأخذ كسرة خبز فستندون قلوبكم ، ثم تجتازون " .
(التكوين ١٨ : ١ - ٥)

العصفة^(١) إنما كانوا ملائكة .

وفي التوراة :

أن موسى تجلى الله له في سيناء ، وقال له كلاماً كثيراً .. إلى قوله : قال الله لموسى : أنا هو الذى [لا إله إلا] هو ، أدخل يديك في جيبك ، وأخرجها مبروسة كالثلج^(٢) .
وإذا أخرجها مبروسة ، فأى آية فيها ؟ إذ بياض البرص موجود في الناس ، والله أخبرنا في محكم كتابه ، أنه قال له :

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾^(٣)

وفي التوراة عن اللوحين :

أثما منقوشان بإصبع الله^(٤) تبارك وتعالى ، والله أخبرنا عن ذلك في محكم كتابه فقال :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٥)

وفي التوراة :

سخط الله على الأمة ، بسبب العجل الذى عمله لهم هارون^(٦) .

(١) العفص : جمع عفصة : وهو شجر كثير الانتشار في لبنان وسوريا والمناطق المجاورة ، وهو نوع من شجر البلوط.

(٢) نص ما ورد في التوراة : " ثم قال له الرب : أدخل يديك في عبك ، فأدخل يده في عبه ، ثم أخرجها ، وإذا يده برصاء مثل الثلج ... " .
(خروج ٤ : ٦)

(٣) النمل : ١٢ .

(٤) ورد في التوراة : " واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين " . (خروج ٣٢ : ١٦)

(٥) الأعراف : ١٤٥ .

(٦) نص التوراة : " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل ، اجتمع الشعب على هارون ، وقالوا له : قم ! اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : إنزعوا أقراط الذهب التى في آذان نساكنم وبيكنم وبناتكنم وأتوني بها ، ففرع كل الشعب أقراط الذهب التى في آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم ، وصوره بالأزميل ، وصنعه عجلاً مسبوكاً ،

فكيف ينبغي لهارون أن يكون الله قد بعثه ، وارتضاه نبياً معيناً لأخيه موسى ، ويعمل لهم

العجل بيده !!!

وفي التوراة :

أن إسحاق هو الذبيح^(١) ، وإنما الذبيح إسماعيل ، ودليل على ذلك أن النحر والذبح [كان] بمعنى ، بموطن: إسماعيل^(٢) ، وأيضاً فإن قرون الكباش كانت معلقة في الكعبة من عهد

فقالوا: هذه آهتك يا إسرائيل التي أصدعتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بني مذبحاً أمامه . ونادى هارون ، وقال : غداً عيد للرب . فبكروا في الغد ، وأصدعوا محرقات ، وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب " . (خروج ٣٢ : ١-٦)

ويفهم من هذا النص أن هارون صنع العجل بيده ، وبني مذبحاً أمامه ، وشرع عيداً له يحتفل فيه بتقديم القرابين لهذا العجل المصنوع من الذهب .

أما القرآن الكريم فيخبرنا أن الذي صنع العجل هو السامري ، الذي أضل قوم موسى أثناء غيابه عنهم ، وأن هارون حذرهم من هذا العمل ، وبين لهم أنها فتنة فلم يسمعوا له ، فيقول الله تعالى :

﴿ وَمَا أَعْبَدَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أُتْرِبِي وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فكَذَلِكَ أَلْفَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خَوَارٍ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾

(طه ٨٣ : ٩٠)

(١) راجع الأصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين .

(٢) جاء في التوراة : " أن الله امتحن إبراهيم .. فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق "

(تكوين ٢٢ : ١-٢)

إبراهيم إلى زمن دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فأحرقت^(١).

وفي المصحف الأول من التوراة أيضاً يقول :

ورأى الله أن قد كثرت فساد الآدميين في الأرض ، فندم على خلقهم وقال : سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض ، والحشائش ، وطيور السماء ، إني نادم على خلقها جداً جداً^(٢).

وفي التوراة أن الحية أغوت حواء على الأكل من الشجرة^(٣) ، فقال الله : سأجعل العداوة [بينك وبين المرء] ، وبين نسلك ونسلها ، فترصدين أنت أبداً عراقبيها ، ويرصد [أى نسل

ولم يكن وحيداً ، لأنه رزق بإسماعيل قبل أن يولد إسحاق ، ألا يدل هذا على أن رواية التوراة غير دقيقة ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فلا يعتمد عليها في الإخبار بأن الذبيح كان إسحاق .

^(١) قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، حدثنا منصور عن خاله نافع ، عن صفية بنت شيبة ، قالت : أخبرتني امرأة من بني سليم ، ولدت عامة أهل ديارنا ، قالت : أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة . . . وقالت مرة : إنما سألت عثمان : لم دعاك رسول الله ﷺ ؟ قال : قال لي رسول الله : إني كنت رأيت قرني الكبيش حين دخلت البيت ، فنسيت أن أمرك أن تخمرهما ، فخرهما ، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي .

(وهذا يفيد أنهما أزيلا قبل دخول الحجاج بن يوسف الكعبة ، إلا إن كان المعنى فاسترهما)

وفي رواية أخرى ، قال سفيان :

لم يزل قرنا الكبيش معلقتين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا .

وكذلك روى عن ابن عباس أن رأس الكبيش لم يزل معلقاً عند ميزاب الكعبة ، حتى يبس .

(ابن كثير : قصص الأنبياء ، ج ١ ، ص ٢١٣ - ٢١٤)

^(٢) ولفظ التوراة : " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير

كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه . فقال الرب انحوا عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنني حزننت أني عملتهم " . (تكوين ٦ : ٥ - ٧)

^(٣) في ج : ' أن الحنث أغوى حوا في أكل الشجرة " وفي ت : " أن الحنث أغوى حواء في أكل الشجرة "

وسقطت هذه الفقرة من ع .

المرأة] أبداً رأسك ليسحقه ، إلى خير كثير ، وهو مثل الخرافة^(١) .

والله يخبرنا [عن ذلك] في محكم كتابه ، ويقول لنا :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾^(٢) .

وفي التوراة :

أن موسى أمرهم بأخذ أموال جيرانهم من أهل مصر على طريق العارية. ثم قال لهم : يقول الله لكم ! إهربوا بما لكم. ففعلوا ، وقالوا : " هي أجرة سخرتنا "^(٣) .

وما لهم أجرة على الأرامل والمساكين من أهل مصر ، وإنما أجرتمهم على فرعون وأهل مملكته .

والله تعالى يأمر محمداً ﷺ حين خرج بالمهاجرين هارباً من مكة ، أن تؤدى كل أمانة إلى أهلها ، وأنزل عليه في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾^(٤) وفي التوراة أيضاً :

" لا ترب على أخيك رباً بفضة ، ولا رباً بطعام ، ولا رباً من جميع الأشياء كلها. ثم فيها

بعد هذا :

(١) اقرأ في ذلك سفر التكوين الإصحاح الثالث .

(٢) الأعراف : ٢٠ .

(٣) جاء في التوراة : " ثم قال الرب لموسى ... تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه ، وكل

امرأة من صاحبها أمتعة : فضة وأمتعة : ذهب ... وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم ، فسلموا المصريين " .

(خروج ١١ : ١-٢ ، ١٢ : ٣٥-٣٦)

" وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبني إسرائيل ... تطلب كل امرأة من جارقتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة :

فضة وأمتعة : ذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلمون المصريين" .

(خروج ٣ : ١٥ ، ٢٢)

(٤) النساء : ٥٨ .

على الأجنبي أرب ، وعلى أخيك فلا ترب ، لأجل أن يباركك الرب إهلك^(١) .
 وبهذه الآية استحلوا في الأمم الربا ، والسرقه ، والكذب ، والفجور ، والفسق .
 ثم تأكد رأيهم في ذلك بما في آخر السورة ، حيث يقولون :
 " لا تسرقوا ، ولا تكذبوا ، ولا يفجر المرء باخيه " ^(٢) .

فتأولوا في هذا الإخاء : أنه لليهود خاصة ، دون سائر الأمم من بني آدم ، ويبين قولهم
 هذا قول الله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ ^(٣)
 وفي التوراة أيضاً :
 " أن الله تعالى تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب الأرض " ^(٤) .
 تعالى الله عز وجل عن قولهم علواً كبيراً .
 وفي التوراة أيضاً :

(١) نص التوراة " لا تقرض أخاك برياً ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شئ ما مما يقرض برياً . للأجنبي تقرض برياً ،
 ولكن لأخيك لا تقرض برياً ، لكي يباركك الرب إهلك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها
 لتملكها " ^(٢)
 ليس في آخر سفر التثنية ، بل في الإصحاح الخامس منه حيث يقول : " لا تقتل ، ولا تزني ، ولا تسرق ، ولا
 تشهد على قريبك شهادة زور " ^(٣)
 (تثنية ٥ : ١٧ - ٢٠ ، خروج ٢٠ : ١٤ - ١٦)
 (٤) آل عمران : ٧٥ .

(٤) جاء في التوراة : " .. فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه
 ضرب حق فخذه ، فأنخلع حتى فخذ يعقوب في مصارعه معه ، وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر . فقال : لا أطلقك
 إن لم تباركني . فقال له ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب ، بل إسرائيل ، لأنك
 جاهدت مع الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك . فقال : لماذا تسأل عن اسمي ؟ وباركه هناك ،
 فدعا يعقوب اسم المكان فيثيل ، قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي " .
 (تكوين ٣٢ : ٢٤ - ٣٠)

" أن بني إسرائيل يسكنون تلك الأرض إلى انقراض الدنيا " (١) .
ثم لم يلبثوا أن رأيناهم رأى العين أخرجوا منها رأى العين (٢) .
وفي التوراة أيضاً :

أن الله قال لهم أن يضربوا القرن في عسكرهم قليلاً قليلاً ، حتى يلقوا عدوهم ، فحينئذ
يضربونه بأشد ما يقدر ، ليسمعهم الله ، فيؤيدهم على عدوهم .
كان الله سبحانه وتعالى لا يسمع إلا الأصوات العالية ، وقد وصف الله تعالى نفسه في
كتابه على لسان رسوله ، فقال سبحانه وتعالى :

" وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى " (٣) .
وفي التوراة أيضاً (٤) :

أن الله كالإنسان شخص وجوارح ، وقد وصف الله نفسه في كتابه العزيز ، فقال تعالى :

" ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (٥) .
وقد تمت النصارى هذا القول المكتوب في التوراة ، وزادت فيه كفرة على اليهود ، حيث
تقرأ في إنجيلهم (٦) عن يوحنا الحواري ، - وكلامه عندهم كلام الله تعالى - فيقول - بزعمهم - :

(١) ورد في التوراة : " إذكر إبراهيم ، وإسحاق ، وإسرائيل ، عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك ، وقلت لهم :
أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض ، التي تكلمت عنها ، فيملكونها إلى الأبد " .

(خروج ٢٢ : ١٢)

ليس لليهود أن يستدلوا بهذا النص _ على فرض صحته - على أحقيتهم - دون العرب - في امتلاك أرض فلسطين
لأن العرب أيضاً من نسل إبراهيم ﷺ .

(٢) فقد تفاهم الآشوريون إلى بابل في عام ٧٢٢ ق . م .

(٣) طه : ٧ .

(٤) سقطت هذه الفقرة من ج .

(٥) الشورى : ١١ .

(٦) في ج : " في صلواتكم " ، في ت : " صلواتكم " .

إنه حين عرج به إلى السماء ، رأى الله ﷻ ، وهو شيخ أبيض الرأس واللحية ، ورجلاه من لاطون^(١) ، والأسواق بين يديه قائمة ، والنداء على القمح ، والشعير ، والزيت ، والخبز ، كذا كذا قفيزاً بدينار ، كذا وكذا قسطاً بدينار^(٢) .
وفي التوراة أيضاً :

أن الله حين أمر بني إسرائيل بالتوجه إلى الشام ، وعدهم أن يتوجه معهم ، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صفة كذا وكذا ، ويترل فيها في سيره معهم .
ثم إن موسى قال له : يارب ! إن هذه الأمة القاسية راقبها ، لا تمضى لك إلى انشام ، حتى تمضى معها كما وعدتها ، فقال الله : نعم ، إعملوا لي القبة ، فعمل موسى القبة ، وسماها قبة العهد .

ونزل الله عن عرشه ، وسار معهم داخل القبة ، يترل بترولهم ، ويرحل برحيلهم .
هذا نص التوراة^(٣)

وعندهم أيضاً من بقية هذا الخبر :

أنهم لما جمعوا المال لعمارة هذه القبة ، أجزوا إنفاقه على يد موسى ﷺ ، فلما أكمل عملها ، إدعوا عليه أن قد نقصهم من المال ألف رطل ، وسبعمائة رطل وخمسة وسبعون رطل .

(١) كذا في ج ، ت أما في نص الإنجيل : " ورجلاه شبه النحاس النقى " .

(٢) نص ما جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي : " فالتفت لأنظر الصوت الذي تكلم معي ، ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب ، وفي وسط السبع المنابر شبه ابن إنسان متسربلاً بثوب إلى الرجلين وتمنتطقاً عند ثديه بمنطقة من ذهب ، وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ، ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان في أتون ، وصوته كصوت مياه كثيرة ، ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب ، وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه ، ووجهه كالشمس وهي تضي في قوتها ، فلما رأيته سقطت عند رجليه كميث ، فوضع يده اليمنى على قائلاً لي : لا تخف أنا هو الأول والآخر والحي .. " ، لأنك تقول إنى أنا غنى ، وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ، ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان أشير عليك أن تشتري منى ذهباً مصفى بالنار ، لكي تستغنى ، وثياباً بيضاً لكي تلبس .. " .

(١٨ - ١٢ : ١ ، ١٧ : ٣ ، ١٨ - ١٧ : ٣)

(٣) قارن : خروج ، إصحاح ٢٣ وإصحاح ٤٠ .

وقالوا لموسى إثمًا : أين نقص هذا المال ؟ وقد جرى الإنفاق على يديك ، فسمعوا صوتاً من السماء يقول لهم :

إن هذا العدد دخل في رؤوس الأعمدة وفي التغطية ، فحينئذ كفوا عنه .
وفي التوراة أيضاً عن نوح عليه السلام : " أنه رقد ، وأولاده أمامه ، فانكشفت عورته ، فضحك ابنه حام من ذلك ، فجاء ابنه الآخر سام ، وألقى قفاه على جهة عورة أبيه ، يمشى إلى ورائه ، حتى غطاه ، واستيقظ نوح ، ودعا على حام ، وقال : سيسود لوك ، وتكون أولادك عبيداً لأولاد أخيك " ^(١) .

إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان .
وفي التوراة أيضاً عن موسى : " أنه قال لبني إسرائيل في الوصية التي وصاهم بها فقال [الله] في آخرها :

إن كفرت بربك ، وحدت عن سبيله ، وعبدت الآلهة الأجنبية ، يبتليك الله بدواهي مصر ، ويضرب السل ^(٢) جسدك الذي يصدر عنه الزبل بالجرب ، والحكاك الذي لا دواء له ، وتزوج زوجاً ، ويضاجعها غيرك ^(٣) .
وهذه الكناية كلها تصریح بالفطم ، والقرن والزنم ^(٤) .

^(١) راجع : تكوين ٩ : ٢١ - ٢٧ .

^(٢) في ج : " الحرس ، وفي ت : " الجزم " ، وسقطت هذه الفقرة من ع .

^(٣) نص ما جاء في التوراة : " ولكن إن لم تسمع صوت الرب إلهك ... يضربك الرب بقرحة مصر ، والبواسير والجرب ، والحكة ، حتى لا تستطيع الشفاء ... تختبئ امرأة ، ورجل آخر يضطجع معها " .

(إقرأ الأصحاح الثامن والعشرين من سفر التثية)

^(٤) الفطم : القطع ، فطم الحبل : قطعه ، والقرن جمع قران : السيف والنبل . والزنم : المستحق في قوم ليس منهم ، ولا يحتاج إليه ، ومنه قول حسان .

وأنت زنيمة في آل هاشم كما نبط خلف الراكب القدح الفرد

فإما أن يكون هذا خللاً فيها ، وإما أن يكون القوم كلهم فطمة ، زغماً ، قرانين ا
 فهل [يقوم] ^(١) الله تعالى بترك أنواع من خلقه من العذاب للانتقام من أعدائه ، ويهدد
 قوماً على لسان نبيه الكريم موسى عليه السلام بهذه الفواحش ؟
 وإن كان بنو إسرائيل يقولون :
 أنهم لم يعبدوا الآلهة الأجنبية فقد كاهروا العيان ^(٢) .
 ثم إنهم في المصحف المسمى عندهم [سفر صموئيل الثاني] ^(٣) :

يرى أبو عبيدة أن ما جاء في التوراة ينذر اليهود - إن هم عبدوا آله أخرى غير الله - بغضب الله ، فيمنع عنهم
 رحمته ، ويصعب عليهم العذاب متملاً في أمراض تنتشر بينهم ، وفي إشاعة الفاحشة بينهم ، فيخرج جيل دعوى زعيم
 ينتسب لغير أبيه ، لأن أمه أنت به من رجل أجنبي عن فراش الزوجية .

^(١) في ج ، ت : " يكون " .

^(٢) زيد في " ج " ، " ت " .

" ولا تفعلوا (وصحتها وقد فعلوا) ذلك ، فإنه نص في كتبهم ما كان من خيرهم مع البلستيم (لعله يقصد
 الفلسطينيين) ، وفي أيام دانيال وغير ذلك مما لا يخفاء به ، ولكن سيقولون : إن ذلك إنما كانت علة البواسير التي ابتلى
 الله بها البلستيم ، وهم من الزنج في اليوم الذي أخذوا فيه تابوت العهد ، فهذا محال ، لأن داود عليه السلام لما عظمت عليه
 المعرفة الأبدية ، والتي حلت بيني إسرائيل ، فنسب إلى الله بزعمهم الخروج عن الاعتدال حين قال عنه - تبارك وتعالى - :
 إنني الله كالثائم غير محصل لما ينتحله ، وكمثل من لا يستثبت في أفعاله . واعتبر أيضاً بشاعة هذا القول المنسوب إلى داود
 وفي الله تعالى ، فلو كانت تلك داهية ، إنما حلت بالبلستيم ، لم يعظم ذلك على داود ، لأنه ليس من البلستيم ، وإنما هو
 من بني إسرائيل . وأيضاً فإن داود قد قدم أن الله تعالى ترك فسطاطه ، الذي كان أبداً يسكنه ، ولم يكن للبلستيم فسطاط
 لله ، وقد قدم داود أن كهنتهم استوصلوا جميعاً ، ولم يكن قط في البلستيم دون غيرهم كهنة . وأيضاً فإن البواسير داء
 كالجزام والبرص ، ولا محالة أن الجزء من الجسد الذي يصدر عنه الزبل إنما هو الإستم ، لأنه خاف أن يظن السامع أنه
 العين أو الأذن ، أو غير ذلك من الجوارح ، فخصه بذلك ، ثم قال : الجرب والحكاك الذي لا دواء له فتزوج زوجاً
 يضاحعها غيرك . اعتبر هذا الإفصاح ، وكذلك لا يصلح بمأبون قديم أن يكون غير قرنان زعيم . وهذا كله لا يدفع فيه
 أحد ، وإنما ذكرته لتبين ما نسبوا إلى الله من القبايح في كتبهم " .

^(٣) في ج ، ت : " سفر ملاحيم " ، في ع : " سفر الملاك الثاني " .

" أن داود عليه السلام اطلع من قصره ، فرأى امرأة من نساء المؤمنين تتغسل في دارها فعشقتها ، وبعث إليها ، وحبسها أياماً عنده حتى حبلت منه - تعالى الله عن قولهم - ثم ردها . وكان زوجها [وهو] يسمى " أوريا " غائباً في العسكر ، ولما علمت المرأة بالحمل ، أرسلت [بحیره] إلى داود ، فبعث إلى يواب قائده على ذلك المعسكر ، يأمره بأن يبعث إليه " بأوريا " زوج المرأة ، فجاءه فصنع له طعاماً وحمراً حتى سكر ، وأمره بالانصراف إلى أهله ليوافعها ، فينسب الحمل إليه ، ففهم " أوريا " المقصد^(١) وتخابث عليه ، ولم يمض إلى أهله ، وقال : حاشا الله أن يكون الملك هنا وأمشى أنا إلى أهلي . فلما يبس داود منه رده إلى العسكر، وكتب إلى القائد أن يصدر به القتال مستقلاً له ، فقتل "أوريا"، وقتل معه من المؤمنين^(٢) سبعة آلاف .

وفزع القائد من داود ، لقتل ذلك العدد العظيم من المؤمنين ، وقال للرسول : إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ، ورأيتك قد غضب^(٣) ، فقل له مسرعاً : [أوريا] قد قتل فيهم . ففعل الرسول ، وسكن داود بعد الغضب ، وسر بموت [أوريا] ، وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين^(٤) .

" فانظر وتأمل هذه الصفحات الموصوف بما داودا هل توصف الأشرار والشياطين بأبشع من هذا ؟ كلا إن هذا هو الضلال المبين " ^(٥) . وكتبوا^(٦) في هذا المصحف :

أن " أمنون " بن داود عشق أخته " ثامار " بنت داود ، وتمارض فعاده أبوه ، فتمنى عليه طعاماً ، تطعمه إياه أخته " ثامارا " ، فبعث بها داود إليه ، فلما قربت إليه الطعام ، وضع فيها يده

(١) من ت ، وفي ج ، ع : ففهم الأمر أوريا .

(٢) من ت ، وفي ج ، ع : " من المسلمين " .

(٣) من ت ، ع ، وفي ج : " ورأيتك قد خرج " .

(٤) راجع صموئيل الثاني ١١ : ٢٦-٢٧ .

(٥) هذه الفقرة من ع ، أما في ت ، ج : " فاعتبر هذه الصفات الموصوف بما داودا هل يوصف فروج المحرمين ،

وقلوب الشياطين بأبشع من هذا " .

(٦) في ج : " وكثيراً " ، أما في ع فقد سقطت هذه الفقرة .

وافترضها^(١) ، فخرجت باكية فلقبها أخوها الآخر ، شقيقها " أبشالوم " ^(٢) ، فأخبرته ، فهون عليها . ثم بعد أيام ^(٣) وثب على "أمنون" ، فقتله من أجل ذلك ^(٤) .
 وكتبوا في هذا المصحف : أن " أبشالوم " بن داود ثار ^(٥) على أبيه ، وأخرجه من قصره ودخل إلى نسائه ، فوطأهن كلهن على أعين بني إسرائيل [مبالغة] ^(٦) في الانتقام من أبيه ^(٧) .
 وكتبوا في هذا المصحف عن سليمان بن داود : " أنه ختم عمره ، بعبادة الأصنام ، والشجر ، وسلبت نساؤه دينه " ^(٨) .

ومن أعجب الأشياء أنكم تقولون بالتواراة التي بأيدي اليهود إلى اليوم وتدعون الإيمان بما وتعيوننا على مخالفتها ، وقد رأيت في كتابكم من مناقضتها ما ذكرت بعضه فيما مضى من هذه الرسالة ، وفيما يأتي - إن شاء الله - من [تحويل] ^(٩) حلالها حراماً ، وسبها أحداً ، وختانها تغطيساً .

ومن أعجب الأشياء ، دعواكم بالأنبياء عليهم السلام ، وهم موحدون ، وأنتم تشركون بالخالق إنساناً ، وكانوا مختننين وأنتم لا تختننون ، وأنتم القائلون : إن إلهكم المعبود عيسى كان مختنناً ، وكذلك الحواريون الإثنا عشر - وهم "أشعمون" ، و"أندراوس" ، و"يوحنا" ، و"يعقوب" ، و"فيلبس" ، و"برثولماوس" ، و"توما" ، و"متى" العشار ، و"يعقوب بن حلفى" ، و"لباوس" ،

(١) هكذا في ج ، ت أما النص في الكتاب المقدس فيقول : "بل تمكن منها ، وفهرها ، واضطجع معها" .

(٢) أما أمنون فهو أخوها لأب .

(٣) في الكتاب المقدس : " ثم بعد سنتين من الزمان " .

(٤) راجع هذه القصة في صموئيل الثان ، الإصحاح الثالث عشر .

(٥) من ج ، ت والفقرة ساقطة من ع .

(٦) في ج ، ت : " استيلاعا في الانتقام " .

(٧) اقرأ هذه القصة في صموئيل الثان الإصحاح الخامس عشر ، والسادس عشر .

(٨) جاء في سفر الملوك الأول أن سليمان أحب نساء غريبة ، فأملن قلبه لأصنامهن اللاتى كن يعبدن ،

فبنى لها معبداً . (راجع سفر الملوك الأول ١١ : ١-١٣) .

(٩) في ج ، ت : " صرف " وسقطت الفقرة من ع .

و"سمعان" القانوني، و"يهوذا" الإسخريوطي،^(١) - ثم سائر التلاميذ الذين صحبوه .
 فتركتم الاقتداء بهم وبمن تقدم ذكره من الأنبياء ، ثم الأولياء ، وركنتم إلى ما افترسه
 [غواتكم ، وغيرهم]^(٢) ، وما اختلقه قسطنطين ، واختلق له بعد ذهاب المسيح بما يقرب من
 ثلاثمائة سنة، من أن يحيى سن التغطيس ، وغطس المسيح . وكتب ذلك في أناجيلكم ، [وزيد]^(٣)
 عليه من التحايل ، وغث الأوقاويل بما يطول وصفه .
 فكيف يرغب يحيى والمسيح عن شريعة شرعها إبراهيم ، وسن سنتها في نفسه ، وولده ،
 ثم أقرمها التوراة ، واقتفتها الأنبياء عليهم السلام .
 وأعجب أيضا من ادعائكم الإيمان بالتوراة التي بأيدي اليهود إلى اليوم حرفاً حرفاً .
 ثم رأيت^(٤) في كتاب أحد مطارنكم [إذ] ينتقص موسى باتخاذ المرأة السوداء^(٥) .
 [وعندما] يحيى إلى ذكر التوراة ، قال عنها : العجوز القبطية ، المتمزقة الفرج ، القحباء التي
 أعارت فرجها لخلائها الفلسطينيين ، ذوى الفعلات الحمارية .
 ثم لا تذكر التوراة في سطر من كتابه إلا أعاد عليها هذه النوع القبيحة، وذكر هذه
 المعايير التي قدمت آنفاً ، حققها على اليهود^(٦) بأطول حديث مما ذكرته .
 وأما الإنجيل الذي بأيديكم ، فحسى ما قدمت من ذكره في هذه الرسالة ، فإذا كان هذا

(١) في ج ، ت : " شمعون ، وايزورياس ، ويوحنا ، ويعقوب ، وملبش ، وترتكماوس ، وطرياش ، ويعقوب العال ،
 وطنا الكنعان ، ولوقا ، ومثي " .

ويبدو أن في بعضها تحريفاً ، كما أضيف إليها اسم " لوقا " ولم يكن من تلاميذ المسيح الإثني عشر .

(راجع متى ١٠ : ٢-٤)

(٢) في ج : " الانه " ، وفي ت : " ولانه " .

(٣) في ج ، ت : " وجئ " والفقرة ساقطة من ع .

(٤) في ج : " سم رأيت " .

(٥) نص التوراة : " وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها " . (عدد ١٢ : ١)

(٦) من ت ، وفي ج : " الحديث " .

حال توارثكم ، وأناجيلكم ، وسائر الصحف المتزلة عند اليهود أئمتكم وعمد ملتكم - ولا محالة أن هذه الكتب قطب شرائعكم ، وأصل ديانتكم - فكيف حال سائر أحاديثكم مما تناقلتموه بينكم من الآثار؟ ولولا الأدب والحياء لكنت أورد عليك بعضاً من تلك القبائح ، والمستحيلات التي هي أشهر من أن تذكر، ولكن فيما مر عليك الكفاية، وأنت أعلم بباقي الخرافات ، والناس أجمعون⁽¹⁾ .

[الرد على الشبهة الخامسة]

وكيف يلتفت إلى قولكم عن مريم ، أم المسيح أنما بنت يعقيم ؟ تضاهون⁽²⁾ بذلك في ابنها حين اختلفتم فيه ، وفي خطيب أمه ، يوسف ، فبعضكم قال : يوسف بن هالي ، وبعضكم قال : يوسف بن يعقوب .

واليهود قالت : يوسف بن يهوذا⁽³⁾ ، وبعضكم قال : يوسف النجار ، وبعضهم قال : يوسف الحداد .

ومثل هذا علمكم بمريم وابنها .

أخبرني ا

من أين حصل لكم العلم بالمسيح وأمه ؟

إن قسطنطين بن هالانه ، الذي تعبدكم⁽⁴⁾ به ، وذكره لكم ، لم يكن يعلم : ما معني

مسيح ا ولا ما هوا ولا من هو ا

(1) هذه الفقرة من غ . وسقطت من ج ، وت .

(2) من ع ، وج . أما في ت : " تظاهرون " وليس بسديد ، لأن معنى مضاهاة : مشاهمة الشيء بالشيء . وهو أقرب

إلى النص .

(3) هكذا في ج : وع ، أما في ت : "يهوه" .

(4) يقال تعبده : دعاه للطاعة ، أو اتخذه عبداً ، أو عامله كعبد له .

وإنما حمله على ذلك نفر من أحبار اليهود ، لا لخلاق لهم ، على [نحو] ما تقدم ذكره في هذه الرسالة .

ثم من أين نسب إلينا اعتقاد أم المسيح أختاً لموسى وهارون ؟

وما عندنا ريب في أن أم المسيح ، إنما هي ابنة عمران ، بن متان ، بن أليود ، بن أخيم بن صادوق ، بن عازور ، بن ألياقيم ، بن أبيهود ، بن زربابل ، بن شألثيل ، بن يكتيا ، بن يوشيا ، بن آمون ، بن منسى ، بن حزقيا ، بن أحاز ، .. بن يهوذا ، بن يعقوب ، بن إسحاق ، بن إبراهيم عليهم السلام ^(١) .

وأما مريم الأخرى ، التي هي أخت موسى وهارون ، فهي ابنة عمران ، بن [يصهر بن] قاهث ، بن لاوى ، بن يعقوب بن إسحاق ، بن إبراهيم عليهم السلام .
وأم المسيح من سبط يهوذا . وهذه [أى أم مريم أخت موسى وهارون من سبط لاوى ، وأم المسيح دخلت بيت المقدس وهذه] لم تدخل قط بيت المقدس ، وإنما خرجت مع أخيها موسى من مصر ، وماتت في بركة سيناء .

وهي عند اليهود، نبية بنص التوراة^(٢) ، وأم المسيح عندهم ملومة ، مقدوفة بالسوء .

وأما ما سمعته ، أو رأيته في كتابنا من قول اليهود لأم المسيح :

﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ ^(٣)

(١) في ج ، ت تقدم وتأخير في سلسلة النسب ، وكذلك تحريف في بعض الأسماء، وقد رجعنا في تصحيحها إلى إنجيل متى في الإصحاح الأول الذى يتحدث متى من أوله في شجرة نسب يوسف خطيب مريم ، إذ لم تذكر الأناجيل ولا غيرها من الكتب المسيحية نسب والد مريم ، غير أنه جاء في أساطيرهم أنه يواخيم بن متان . فهل هو متان والد يعقوب- كما ذكر إنجيل متى - وجد يوسف . يحتمل! وبناء عليه يكون يوسف النجار ابن عم مريم ، وقد ذكر المؤلف نسب يوسف من أول متان ، على أنه نسب مريم .

(٢) خروج ١٥ : ٢٠ .

(٣) مريم : ٢٨ .

فإن قولهم ، ذلك ، إنما هو على وجه السب لها ، لأن هارون هذا عنوا به رجلاً عاهراً ،
 [كان عندهم] يستكثر من البغايا ، وعظيم الشهرة عندهم في ذلك الزمان يسمى هارون^(١) .
 وأما أن يكون هارون في هذه الآية كما زعمتم ، فهذا غاية الجهل ، لأن الذى بينهما من
 الزمان ألف وخمسمائة سنة^(٢) .
 فكيف يجوز أن يتوهم أحد هذا^(٣) .

[الرد على الشبهة الثانية]

وأما استدلاك على باطلنا بما في كتابنا ، من نكاح مثنى ، وثلاث ، ورباع ، فحسبى
 هذا الاستدلال شهيداً على تخلفك ، فإن الذى أمرنا الله به من النكاح ، وسن لنا من الطلاق ،
 ليس للعاقل انتقاده ، لأن قبولنا لذلك ، وما أشبهه ، إنما هو بعد ثبوت الأصل .
 وإنما الأصل أن تتحقق نبوة الشارع ، وتبين صدق رسالته ، وبشواهد آياته الباهرة ،
 ومعجزاته الطاهرة .

فإذا أردت النظر في هذه الفروع بانتقاد ، فهلم أريك عجباً ؟
 أستم قد اتفقتم معنا [على] أن نكاح الرجل عمته من سوء الأفعال ؟

(١) جاء في هامش الصفحة في ت : قوله "إنما عنوا به السب الخ" أقول : إن الجلال المحلى في تفسير سورة مريم قال :
 إنما هو رجل صالح ، اشتهر بالعفة ، فيكون عنوا به المدح ، وأن ذلك الرجل الصالح كان في ذلك الزمان يسمى هارون .
 وهذا هو المناسب واللائق رضاً من كلماته بالأصل وقلت أيضاً : أسلوب الخطاب يقتضى المدح ، وهو المتبادر للفهم .
 (٢) في ج ، ت : " لأن الذى بينهما ألف سنة وستمائة سنة وزهاء أربعين سنة " وفي ع " لأن الذى بينهما من
 الزمان ألف وستمائة سنة ، وأربعون سنة وكسور . وملا التعبيرين غير صحيح ، لأن موسى كان قبل الميلاد بموالى ١٥٠٠
 سنة . (أنظر Nolle S.359) .
 (٣) أنظر المهموشة رقم ٤ في ص ٩٠ .

وهذه "يوكابد" أم موسى ، كانت عمّة عمران^(١) ، وعمران من فضلاء المؤمنين .
وكذلك اجمع بين الأختين بنكاح من مقبحات الشرائع أيضاً .
وقد علمت أن إسرائيل جمع بينهما^(٢) ، فما بال عينك أبصرتا في كتابنا شيئاً ، وعميتا عن
الأكبر منه في كتابك !
أما إنك لتراه ، ولكن رضاك عن فاعليه ، وبصيرتك في أنهما محقان، منعك من انتقاد ما
فعلاه .
وكذلك الأمر فيما شرع لي كتابي^(٣) ، وإنما يتقدم النظر في الأصول التي هي آيات
صدق الرسول .
وأما هذا الذي اعترضت به منكرأ ، فجهل^(٤) قد استولى عليك ، والله يهديك ويرشدك .
ولو كان الله أمر - كما زعمت - بالافتداء بآدم في تزوجه بامرأة واحدة ، فهل علم
بذلك إبراهيم؟ ، وما أراه إلا تزوج ، وتسرى في وقت واحد^(٥) .
ولوط عليه السلام ، زعمت أنه فتك بابنتيه ، فحبلتا منه بموآب ، وعمون . نستغفر الله
من قولكم .
ثم إن إسرائيل ، قد كان عنده عدة أزواج ، جمع فيها بين الأختين .
وهذا كله منصوص في توارثكم . وكذلك من بعدهم من الأنبياء عليهم السلام إلى داود ،
وسليمان ، فقد علمتم مناكحهم^(٦) .

(١) خروج ٦ : ٢٠ .

(٢) تكوين ٢٩ : ١٥ - ٣٠ .

(٣) أنظر الرد على الشبهة في المهموشة رقم ٢ ص ٨٨ .

(٤) هكذا في ج ، و غ ، أما في ت : "فبخلل" .

(٥) أنظر تكوين ١٦ : ١ - ٣ .

(٦) أنظر صموئيل ٢٥ : ٤٣ ، الملوك الاول ١١ : ٣١ .

وهل اقتصر آدم على واحدة إلا من ضرورة العدم عند بدء خلق البشر! ولهذا الضرورة زوج ابنة ابنته ، فيجب [بناء] على مذهبك الاقتداء به ، فينكح الرجل أخته ، فأنت القائل لذلك الهذيان ، تعيب به من خالف تواراة اليهود .
ثم إنك - مع ادعائك الإيمان بما حرفاً حرفاً - مخالف لها أشنع الخلاف ، ماح لعقائدها ، مبدل لأحكامها ، فمن حلالها نكاح بنت الأخ والاخت ، وأراكم تأنفون من ذلك مثل ما نحن قد أنفنا منه ^(١) .
ومن محرمتها الخنزير ، والدم ، والجمل ، والشحم وغير ذلك مما هو مشهور ، وأنت قد أرسلت عليها ضرسك ، ونشرت لها بطنك ، إلى غير ذلك من مخالفتك إياها .

[الرد على الشبهة الرابعة]

وعجبي من تعجبك إذا رأيت في كتابي آية القتال :

﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ ^(١)

وقولك لي : إن في التوراة نقيض ذلك ، في قوله :

لا يكون قتال بين بني آدم ، فالقاتل والمقتول في النار ^(٢) .

فأخبرني كيف استجاز موسى عليه السلام - بعد ما أنزل عليه هذا - أن يحارب أعداءه من

أهل مدين ، وولد عملاق ، ويطلبهم في ديارهم ، ويناوشهم ، مع أن مدين ^(٤) كانت تستحق منه

(١) يقصد بذلك التحريم .

(٢) التوبة : ١١١ .

(٣) إرجع إلى ص ٨٩ .

(٤) هكذا في ع ، أما في ج ، و ت : "وأما مدين..." .

جزاء جميلاً على إحسانها ، حيث آوته عندها^(١) ؟

فلتعلم أيها المغرور أنك قد ذممت النبي موسى ﷺ ، وجعلته غير مطيع لربه .
ولا محالة أن موسى ﷺ ، لم يحارب مدين ، وولد عملاق ، ومن شاء الله أن يحارب
- ولو كان فيهم أبواه وولده - إلا ممثلاً أمر ربه بذلك ، لا يمكنه خلافه ، من حيث هو نبيه
المرتضى ، ورسوله المصطفى ، ﷺ .

[النسخ في التوراة والإنجيل]

ثم قلت في كتابك:

" لأن النسخ مقدمة من مقدمات شريعتنا "

وهذه لهجة منكر للنسخ^(٢) ، وكأنه غير معروف في سبيل الأنبياء عليهم السلام ، ولا
معمول به^(٣) ، في نخلها ، ولا منصوص في التوراة ، وسائر الكتب التي بأيديكم !!! ففى التوراة
التي بأيديكم ، وأيدى اليهود ما فيها :
من ذكر السبت ، وتحريم العمل ، والحروب ، وغير ذلك من الأشغال^(٤) ، والسبت ،
أكد فروض التوراة ، وأهم لوازمها .
ثم قال في آخر التوراة لهارون:

^(١) يشير بذلك إلى ما جاء في القرآن الكريم ، من أن موسى خرج من مصر خائفاً بعد أن قتل المصرى ، فلجأ إلى
مدين ، حيث أقام مع شعيب ، يرعى غنمه في مقابل أن يتزوج إحدى ابنتيه . (اقرأ سورة القصص : ١٥-١٨)
^(٢) في ت : " تعيينه منكراً للنسخ " ، وفي ع : " نفيه منكر للنسخ " ، وفي ج : " مسه منكر النسخ " بدون نقط
الكلمة الأولى .

^(٣) كذا في ع ، أما في ج : " ولا معمول عليه " ، وفي ت : " ولا معمول عليه " .

^(٤) إرجع إلى : خروج : ١٦ ، ٢٩ ، ٢٠ ، ٨ - ١٠ ، ٣٠ ، ١٤ - ١٥ ، ٢٦ ، ١ - ٣ ، وإلى العدد ١٥ : ٣٢ -

" .. وفى يوم السبت خروفان حوليان صحيحان ، وعشران من دقيق ملتوت بزيت تقدمه مع سكية .. " (١).

وهذا عمل طويل ، وشغل ممتد مع ذبح ، وسلخ ، وتفصيل ، وعجن السميد ، وتقريصه بعد اللت بالزيت .

وفى التوراة أيضاً يأمرهم بطاعة " يشوع " (٢) ، ثم يأمر " يشوع " بمحاربة أريحا فى جميع الأيام المتصلة ، وأمره بتضعيف المحاربة ، يوم السبت ، وأن يتصور فيه على أريحا مع الكهنة ، وسائر العسكر ، [وأن يدور دائرة المدينة] سبع مرات بأشد المحاربة ، فقال فى نص التوراة : " قد دفعت بيدك أريحا وملكها جابرة البأس ، تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب حول المدينة مرة واحدة ، هكذا تفعلون ستة أيام ، وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت ، وفى اليوم السابع تدور دائرة المدينة سبع مرات ، والكهنة يضربون بالأبواق .. " إلخ (٣) .

فاعتبر ! ففى التوراة الناسخ والمنسوخ أوضح من الصبح لذى عينين !!
وأخبرنى ! إن كان النسخ منكراً قبل نزول القرآن ، فكيف جاز لكم أن تصرفوا الختان تغطيساً ، والسبت أحداً ، وهما من فروض التوراة ؟
ويم (٤) حرمتم حلالها وحللتم حرامها على ما تقدم شرحه ؟
ألم يقل المسيح فى الإنجيل الذى بأيديكم ، معرضاً بما قالت التوراة :

(١) العدد ٢٨ : ٩ .

(٢) راجع العدد : ٢٧ : ١٨ - ٢٣ .

(٣) يشوع ٦ : ٢ - ٤ .

(٤) يريد المؤلف أن يقول : على أى أساس آخر حرمتم حلالها وحللتم حرامها ، إذا لم يكن ذلك على أساس

النسخ ؟

" قد سمعتم أنه قيل للقديس .. من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا لعلته الزنا يجعلها تزني ، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني .." (١) .
أما بلغكم أنه قيل للأولين كذا ، وأنا أقول لكم كذا .. [وذكر] جملة من الأوامر والنواهي - وقد ذكرتها فيما تقدم من هذه الرسالة - ينسخ فيها حكم التوراة (٢) .

أخبرني أيها المخدوع !

كيف جاز لكم مع هذا أن تقولوا :

إن شريعة الإنجيل ليست ناسخة لما شرعته التوراة ، وإنما متممة لها ؟ هذا تنكيس بالألفاظ عن موضوعها ، أن تسموا التبديل تميمًا !

وهل التميم إلا استيفاء الشيء وإحكامه مع إقراره على ما كان عليه ؟

وأما الإنجيل فقد أذهب حكم التوراة ، ونسخها كما نسخ القرآن ما قبله .

[حقيقة ما يظهر في الكنائس من خوارق العادات]

وأما قولك لي :

" إن في ملتكم صلحاء يظهرون براهين وقت الحاجة .. "

فنعلم هي البراهين الساطعة !!! قد علمتها سرًا وجهراً ، ولقد كنت عزمست على أن

أضرب صفحاً عن التكلم في هذا البحث المخجل ، ولكن تسلسل بي القول إلى ذلك ...

فأذكر لك الآن بعض ما تيسر منها ، لأضحك عليكم الثكلى ، فأقول :

إن حذاقكم ، وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة بيني عليها ، ولا أصل يرجع

إليه ، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة ، وأباطيل مزخرفة ، وضعوها في الكنائس والمزارات :

(١) متى ٥ : ٣١ .

(٢) راجع متى ٥ : ٢١ : ٤٨ .

فمنها ما وصف لى عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم ، أن يد الله تخرج لكم فيها ، فى يوم واحد ، معلوم من السنة من وراء ستر ، وسرها خاف عنكم ، وأنا أكشفه لك^(١) ، فقد حكى لى من أتق بصدقه وقريحته ، أن رجلاً من اليهود كان قد حظى عند أحد رؤسائكم بالأندلس بوصلة كانت بينهما ، يراها الرئيس له .

فكان قد رغبه^(٢) فى الخروج عن دين اليهودية إلى دينه ، وقال له : ألا ترى هذه الأعجوبة ، ظهور يد الله لنا فى يوم معلوم من السنة ؟

فقال له اليهودى : يا مولاي ! أنا قد رضيت فى هذا الأمر بشهادتك ، وصدقتك فيما سوف تروى لى ، فأبحث عنه ! فإن كان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقاً ، صبوت إلى دينك . فخالط الرئيس حينئذ الشك ، فلما دنا ذلك اليوم الذى تظهر فيه اليد ، سافر بحملته نحو المشهد ، وأخذ معه مالا^(٣) ، يهديه هناك ، فبرز إليه الأساقفة ، وقربوه لتقبيل اليد ، فلما ظهرت اليد له من وراء الستر ، وضع يده فيها ، ومسكها مسكاً شديداً ، وقال : والله لا أترك هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها .

فصاحوا به يقولون : اتق الله ! الآن تخسف بك الأرض !!

الآن تقع عليك السماء !!

الآن ترسل عليك الصواعق !!

فقال : دعوا عنكم هذا كله ! فإن هذه اليد ، لا أحل يدي عنها ، حتى أعلم ، أحقاً ما تصفون أم باطلاً !!

فلما رأوا إلحاحه ، لم يبق معه منهم إلا اثنان ، أسراً إليه القول ، وقالوا : ما تبغى فى ذلك ؟ أرجعت عن دين آبائك ؟ قال : لا

^(١) فى ع : " ولا خفاء لديكم بهذا " ، وفى ج : " ولا حقاً لديكم بهذا " ، وفى ت : " ولا يخفى لديكم فيها شئ " .

^(٢) كذا فى ع ، أما فى ج ، وت : " رابه " .

^(٣) فى ج ، ت ، وع : " وقرب مالا " .

قالا : أتريد أن تحل ربطاً رُبطَ منذ ألف سنة أو نحوها ؟
قال : لا ! ومعاذ الله !! ولكني أحب الوقوف على سر هذه اليد .

قالا : هي يد أسقف ، واقف دون هذا الستر .

قال : أحب أن أراه !

قالا : أنت وذاك .

فكشفوا له عن قس مجرود الخدين ، واقف وراء الستر ، فلما عاينه الرئيس أرسل يده ،
وخرج إلى عسكره .

فقال اليهودى : يا مولاي ! ما تأمرني به في ديني ؟

قال له : أنت ورأيك ، خرجت منه أو بقيت عليه ، فأنت المخير !! ففهم اليهودى ،
وسكت ، ومن ذلك الوقت بطلت هذه الحيلة .

ومن ذلك أنهم وضعوا صوراً من الحجارة ، إذا قرئ الإنجيل عندها تبكى ، وتجرى
دموعها ، يشاهدها الخاص والعام ، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل .

وحقيقة الأمر ، أن لها مجارٍ دقاً في أجوافها ، متصلة من ورائها بزق مملوء ماء ، يعصره
بعض الشماسة ، فيندفع الماء في تلك المجارى ، وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة الدموع .
وكذلك ما وصف لى من قناديل ، وصلبان عظام ، معلقة بين السماء والأرض ، ولا تمس
شيئاً منها ، ولا يمسه شيء ، يمشى الناس إليها ، ويتعجبون من ذلك ، ويفسرون هذه الظاهرة
بأنها

من بركة هذا المكان ، وأنه برهان على عظمة هذا الدين ، إذ لم يوجد مثل ذلك عند غيرهم .

وليس في ذلك معجزة ، ولا برهان على عظمة ملتكم ، لأن سبب وقوف الصليب في
المواء وضع حجارة مغناطيسية في ست جهات ، فوق الصليب ، وتحتة ، ويمينه ، ويساره ،
وخلفه ، وأمامه ، وقد ظهر ذلك عندما سأل أحد رؤسائكم يهودياً - كان يعمل كاتباً عنده -
سؤالاً حول هذه المعجزة ، فأعلمه اليهودى أنها حيلة - بعد ما استوثق منه - فاستكشفه إياها .

فقال اليهودى : إن ذلك تمسكه أحجار المغناطيس من جهاته الست .

فأمر الرئيس أن يخلى له يوماً ذلك المشهد ، فدخله وحده ، وأمر بحفر جانب واحد من الحائط ، فاستخرج منه حجراً من المغناطيس ، موازياً للصليب ، فمال إلى جهة واحدة ، واستخرج مثله من الجانب الثاني ، فاضطرب الصليب ، ففهم الرئيس الأمر ، وانصرف ، فما رثى فيه بعد ذلك .

ومن ذلك كنيسة بالأندلس ، كان فيها ثرياً تقف على نحو وقوف الصليب المتقدم ذكره ، ويتزل فيها نور يوقد فتيلها في يوم من السنة .

فذكر ذلك لأحد أمراء بني أمية بالأندلس ، فتعجب من ذلك ، وسأل عنه ، فأخبره رجل من أهل إفريقيا ، أنهم مدوا مع الحائط قصبه من حديد ، ضيق جوفها ، وأبرزوا لها أنبواً كسم الخياط ، موضعه موزون مع طرف فتيل الثريا .

ثم إنهم في ذلك اليوم يرسلون نار النفط في القصبه متراكماً ، حتى يخرج في غاية القوة إلى فتيل الثريا الذي هو في زنة واحدة معه .

ووصف الإفريقي مع ذلك حياً ودهاءً ، وذكر ما ذكر في وقوف الصليب فاجتاز الأمير على تلك الكنيسة في إحدى غزواته - وقد دنا يومها فتذكر ذلك - ، فدعا الإفريقي ، فعابن معه ما يفعلون ، فأعجبه ، وسأل الإفريقي كشفه ، فعمد إلى الحائط ، فاستخرج منها قناة من النحاس الأصغر ، على نحو ما كان ذكر .

ثم عمد إلى سماء الثريا ، فأخرج منها حجراً كبيراً من المغناطيس ، فسقطت ، وأمر الأمير عند ذلك بأن يعاقب القسيسون .

وكمثل ما تصفون لنا عن نزول مريم من السماء على " دون إقريس " ⁽¹⁾ المطران بكنيسة " طليطلة " ، وأنها كست رأسه بتحلية ، وجسمه بثياب مزينة ، وكان ذلك في ليلة النصف من شهر أغسطس ، فتعظّمون تلك الليلة تعظيماً بليغاً إلى اليوم .

أخبرني أيها المغرور عن نزولها التي تصفه!

(1) كذا في ج ، وفي ت : " دنقوس " ، والفقرة كلها ساقطة من ع .

هل كان بإذن زوجها أم بغير إذنه ؟

فإن قلت : بإذنه ، فكيف يجوز عليه أن يترها إلى ملائكته وعبيده ، فيمتهن زوجته ، وأم ولده - كما تقولون - بإرسالها ؟

وإن كان نزولها بإختيارها هي ، لا بإذن زوجها ، فكيف ينبغي أن يكون الله قد اصطفاه ، واختارها زوجة له ، وأم ولده من بين نساء بني آدم ، فتخونه ، وتزل بغير إذنه إلى رجل من جنسها بكسوة ، وتحلية وثياب مزينة ؟ ما ذاك إلا لأنها تعشقه !!! سبحانه الله عما يصفون ، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

وكمثل ما تدعون في زيتونة وادي آش ، وترعمون في توقيف في " أو جاسانت دى مينقوا" (١) ، وكنيسة مكناسة ، ووادي بسطة ، والنور الجديد الذي في عيدكم ، والنور الذي يترل بيت المقدس ، إلى غير ذلك من الهدايات ، التي لا تجوز إلا عليكم ، ولا يتعد بها من جهال العالم غيركم . .

[مكانة البيت الحرام في الكتب المقدسة] (٢)

فالحمد لله الذي طهر الإسلام من هذه الأوصاف ، وأغنى المسلمين عن مثل هذه النقائص بما هو أوضح دليلاً من النهار ، ولا [يقع إلا] بفعل الله تعالى ، [ومن أمثلة ذلك ما فعله] بأبرهة الأشرم ملك الحبشة (٣) ، وفيله المسمى محموداً (٤) ، وذلك في العام الذي ولد فيه سيد

(١) كذا في ت ، وفي ج : " ارحى ست دفيقة " والفقرة ساقطة من ع .

(٢) سقط هذا الفصل من ع .

(٣) لم يكن أبرهة ملك الحبشة ، بل كان عاملاً له على اليمن .

(٤) انظر ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٧٣ .

المرسلين محمد ﷺ وكان أبرهة النجاشي قد قدم نحو مكة في جيوشه من الحبشة، ليهدم البيت الحرام ، فعرض الله عليهم قدرته ، بأنه أرسل عليه وعلى جنوده - يوم أطل على البيت - طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، يحملها في منقاره ورجليه ، أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب واحداً منهم إلا هلك^(١) ، وأصيب أبرهة النجاشي في جسده ،

^(١) هذا هو رأى الجمهور ، ويرى بعض الباحثين أن الذى أصاب جيش أبرهة ، إنما هو وباء الجدري ، تفشى بالجيش ، وبدأ يفتك به ، وكان فتكه ذريعاً لم يعهد من قبل قط ، واعتمدوا في ذلك على رواية لابن اسحاق ، حيث يقول :

حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث : أن أول مارؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام (أى عام الفيل) . ويفسر أصحاب هذا الرأى ظاهرة الفتك بجيش أبرهة ، بأن جراثيم الجدري جاءت مع الريح من ناحية البحر ، وأصابت العدوى أبرهة نفسه ، فأخذته الروح ، وأمر قومه بالعودة إلى اليمن ، وفر الذين كانوا يدلونه على الطريق ، ومات منهم من مات ، وكان الوباء يزداد كل يوم شدة ، ورجال الجيش يموت منهم من يموت كل يوم بغير حساب ، وبلغ أبرهة صنعاء ، وقد تناثر جسمه من المرض ، فلم يبق إلا قليلاً ، حتى لحق بمن مات من جيشه ا وهذه الدعوى تشتمل على عنصرين :

- ١- أن ما نزل بجيش أبرهة هو وباء الجدري .
 - ٢- أن الريح حملت هذا الوباء من ناحية البحر .
- والعنصر الثانى ليس مقبولاً .

نقلًا ، لأن القرآن الكريم أخبرنا بأن الطير رمتهم بحجارة من سجيل ، فوقع لهم ما وقع ، ﴿ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ (الفيل : ٣ - ٥)
ولا واقعاً ، لأن الريح إذا كانت قد هبت على المنطقة حاملة الوباء ، فَلِمَ أصاب جيش أبرهة ، ولم يصب قريشاً مع أنهم كانوا في مهب هذه الريح أيضاً ؟

وما قبل من أن الأعراض التى ظهرت في جيش أبرهة - من تساقط الجسم وظهور القيح والدم - هى أعراض الجدري ، ولا يصح دليلاً على أن الرياح هى التى حملت الوباء ، وليس الطير ، لأن مرض الجدري - إذا سلمنا بأنه هو الذى أصاب جيش أبرهة - ينتقل إلى الشخص بالملامسة ، فالطير رمت الأحجار التى تحمل الوباء على الجيش ، فانتقلت

فسار وهو يسقط أثمله أمثلة ، كلما سقطت أمثلة أتبعها قريح ، وصديد ، حتى لحق بصنعاء اليمين فمات فيها.

وذكرت الحبشة أنه ما مات حتى انصدع قلبه عن صدره ، وأنزل الله في ذلك قرآناً باقياً إلى اليوم ، قوله سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾^(١)

وفي ذلك يقول نقيض بن حبيب^(٢) وكان أسيراً في أيدي الحبشة ، فأفلت منهم في ذلك اليوم ، وجعل ينظر إلى ما نزل بهم - يقول شعراً :

أَيُّمِنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهِ الطَّالِبِ وَالْأَشْرَمَ الْمَغْلُوبِ لَيْسَ الْغَالِبُ^(٣)
أخبرني أيها المخدوع المغرور !

العدوى إلى الشخص بمجرد أن مس الحجر جسمه ، ولما كانت قريش بعيدة عن مرمى أحجار الطير ، ولم تقترب من جيش أبرهة ، فقد سلمت من الوباء". (قارن : ابن هشام ج ١ ص ٣٥ ، المدري : تفهيم القرآن ج ٦ ص ٤٦٧ ، وهيكل ص ١٠٢)^(١) سورة الفيل.

^(٢) هو نقيض بن حبيب الخثعمي ، شاعر جاهلي يلقب بذي اليمين ، جمع قومه من قبيلتي شهران وناعس ، ليقف في طريق أبرهة ، حينما كان متوجهاً إلى مكة ، ووقعت بينهما معركة ، إنحزم فيها نقيض وأخذ أسيراً ، فأجبره أبرهة على أن يكون دليلاً له في زحفه على مكة.

^(٣) روى أنه أنشد أيضاً في ذلك اليوم :

لدى جنب المحصب ما رأينا	ردينة لو رأيت ولا تريه
وخفت حجارة تلقى علينا	حمدت الله إذ أبصرت طيراً
كان على للجيشان ديناً	وكل القوم يسأل عن نقيض

لِمَ فعل الله ذلك ، وقد كان النجاشى وجيشه - يومئذ - نصارى ، أقرب إلى أمر الله من أهل مكة ، لأنهم كانوا عبدة الأوثان ، وكانت الكعبة - حينئذ - مقر الأصنام ؟
أما إنك ، إن عدت إلى الحق ، لترين أن ذلك ، إنما فعله الله آيةً لمحمد ﷺ ، ولكعبة الله ، البيت الحرام ، مقام إبراهيم ، وحجة لمن عبد الله تعالى ، بتعظيم ذلك البيت^(١) ، وإقامة فرض الحج إليه .

قال أشعيا النبي^(٢) : " أبشرى ، واهتدى أيتها العاقر التى لم تلدى ، وانطقى بالتسبيح ، وافرحى إذا لم تحبلى ، فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلى "^(٣) .
فعبى فى مخاطبته : " مكة " .

فهو يشبهها بالعاقر من النساء التى لم تلد ، إذ^(٤) لم يبعث من مكة - من بعد زمن إسماعيل - نبي إلا محمداً ، ولا يجوز أن تكون العاقر القدس ، لأنها كانت مقر الأنبياء .
وقوله : " فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلى " .
يعنى بأهله : أهل بيت المقدس .

وقال أشعيا أيضاً فى صحفه التى بأيديكم : " وأرفع علماً لجميع^(٥) الأمم من بعيد ، فيصرفهم من أقاصى الأرض "^(٦) .

(١) كذا فى ج ، وفى ت : " وحجة إذ جعل الله تعالى لها لتعظيم ذلك البيت " .

(٢) استشهد المؤلف فى هذا الفصل بفقرات متعددة من سفر أشعيا ، غير أنه لم يلتزم النص الحرفى لها ، بل عبر عن مضمونها باختصار ، ولم نثبت النص الأصيل فى المهموشة - بل اكتفينا بالتحريك فقط - لطوله ، فالفقرات التى أوردتها المؤلف هى تلخيص لجزء كبير جداً من هذا السفر .

(٣) أشعيا : ٥٤ : ١ - ٢ .

(٤) فى ج ، ت : " وكذلك لم .. " .

(٥) كذا فى ت ، وفى ج : " بجميع " .

(٦) كذا فى ج ، ت : " فيبقى به من أقاصى الأرض " والنص مختلف فى اللفظ عما فى سفر أشعيا ٤٩ : ٢٢ .

وقال أشعيا أيضاً : " سأبعث من الصبا قوماً ، فيأتون من الشرق أفواجا ، كالصعيد
كثرة ، ومثل الطيآن الذى يدوس الطين برجله " (١) .

يصف بذلك إسرائعهم من أقاصى الأرض إلى حج البيت ، ويصف الهرولة .
وقال أشعيا عن الله تعالى : " قد أقسمت بنفسى - كقسمى أيام نوح ، أن أغرق الأرض
بالطوفان - كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك ، ولا أرفضك ، وأن الجبال تزول ، والأكام
تنزعز (٢) ، ورحمتى عليك لا تزول " .

ثم قال : " يا مسكينة ، يا مضطهدة ! هاأنذا أبني بالإثم حجارتك (٣) ، ومزينك بالجواهر ،
ومكلم بالؤلؤ سقفك ، وبالزبرجد أبوابك ، وتبعدين من الظلم فلا تخافى ، ومن الضعف فلا
تضعفى ، وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك ، وكل لسان ذلق يقوم معك بالخصومة
تفليحين (٤) ، ويسميك الله اسماً جديداً (٥) .

وكل ذلك كان : كان اسمها الكعبة ، فسامها الله المسجد الحرام .
[ثم يقول أشعيا] : " فقومى ، فاشربى ، فإنه قد ورى زندق (٦) ، ووقار الله عليك ،
إنظرى بعينيك حولك فإنهم يجتمعون ، يأتوك بنوك وبناتك عدواً ، فحيثئذ تسرين ، وتزهرين ،
ويقرع عدوك ، ويتسع قلبك ، فكل غنم قيثار تجتمع إليك ، وسادات " نبايوت " تخدمك ،
وتفتح أبوابك دائماً [فى] الليل والنهار ، فلا تغلق ، ويتخذونك قبلة ، وتدعين بعد ذلك مدينة
الرب (٧) .

(١) قارن أشعيا ٤١ : ٢٥ .

(٢) فى ج : وإن الجبال تزول ، والبلاغ تنحط " ، قارن النص الحرقى فى سفر أشعيا : ٥٤ : ٩ - ١٠ .

(٣) فى ج : " هاأنذا بان بالجص حجارتك " ، وفى ت : " ها أنا بان بالجص حجارتك " .

(٤) نلج فلوجاً من باب قعد : ظفر بما طلب ، وפלج بجمته : أثبتها ، وأفلج الله حجته : أظهرها .

(٥) قارن أشعيا : ٥٤ : ١١ - ١٧ .

(٦) كذا فى ج ، وفى ت : " عضدك " .

(٧) أشعيا : ٦ : ٤ - ١٢ .

فقيدار ولد إسماعيل ، " ونبايوت " ولد إسماعيل أيضاً !!

فأخبرني ا

متى كان ولد إسماعيل خدمة بيت المقدس ؟

وهل اتخذت مكة قبلة إلا على عهد محمد ﷺ ؟

فاعتبر قول أشعيا يومئذ : " ستتخذ قبلة " ا وكفى بهذا دليلاً .

وقال أشعيا أيضاً : " إرفعى إلى [من حولك] بصرك فستبهجين ، وتفرحين^(١) من أجل

أنه تميل إليك عساكر الأمم ، حتى تغمرك قطر^(٢) الإبل الوابلة^(٣) ، وتضيق أرضك عن القطرات

التي تجتمع إليك ، وتساق إليك كباش مدين ، ويأتى إليك أهل سبأ ، وتسير إليك أعلام قيدار ،

ويخدمك رجال نبايوت " ^(٤) .

يعنى يخدموك : [إن] سدنة البيت يكونون من أولاد " نباتوت " ، فاعتبر هذا الإطراد

المتصل ا .

وقال أشعيا عن الله : " أعطى البادية كرامة لبنان ، وبهاء جبال الكرمال " ^(٥) .

فالبادية : مكة ، ولبنان : الشام وبيت المقدس .

وقال أشعيا أيضاً عن الله إثر ذلك : " وتنشق في مكة وسط البادية قناة^(٦) ، وسواق في

أرض الفلاة ، وتكون الفيافي والأماكن العطاش ينابيع ، ومياهاً ، وتكون هناك محجة ، وطريق

(١) كذا في ج ، وفي ت : " وتبهجين " .

(٢) قطر : مضارعه يقطر ، والمصدر : قطراً ، قرب بعضها إلى بعض على نسق ، يقال : قطر البعير إلى البعير .

(٣) في ج ، ت : " الموبلة " .

(٤) قارن الإصحاح رقم ٦٠ من سفر أشعيا .

(٥) في النص الأصلي " بماء كرمل وشارون " راجع أشعيا ٣٥ : ٢ ا

(٦) كذا في ت ، وفي ج : " وينشق في البادية قناة " .

الحرم لا تمر به أنجاس الأمم ، والجاهل لا يضل^(١) هناك ، ولا يكون به سباع ولا أسود ، يكون هناك ممر المخلصين^(٢) .

وقال أشعيا عن الله تعالى في مكة ، ويذكر الحجر الأسود : " ها أنذا مؤسس [في] صهيون [حجراً] ، هو بيت الله الحرام ، حجراً ، مقره في زاوية مكرمة ، فمن كان مؤمناً فلا يستعجل^(٣) .

وتمادى في ذكره في كلام كثير هو بأيديكم إلى اليوم .
وقال أشعيا عن الله تعالى أيضاً : " لتفرح البادية العطشى ، ولتبتهج البراري والفلوات^(٤) .

لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان و[وهو] كمثل حسن الدساكر^(٥) ، والرياض .
وقال أشعيا أيضاً - وقد وصفها- : " إن الذئب والحمل يرتعان معاً بها^(٦) .

[الرد على الشبهة الثامنة]

وأما اعتراضك [على ما نعتقده ، من أن في الجنة] أكلاً وشرباً ، وغير ذلك من لذات الأجسام ، فإن كان نفيك قولاً واحداً^(١) ، فإنما ذلك منكم عتواً على الله تبارك وتعالى ، وعلى

(١) كذا في ت ، وفي ج : " ولا يمر " والأصح ما في ت ، لأن النص في سفر أشعيا هو : " من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل " .

(٢) قارن أشعيا ٣٥ : ٦ - ٩ .

(٣) قارن أشعيا ٢٨ : ١٦ .

(٤) قارن أشعيا ٣٥ : ١ .

(٥) مفردة : دسكرة ، وهي كلمة فارسية معربة : القرية العظيمة ، أو بيوت يكون فيها الشراب والملاهي .

(٦) قارن أشعيا ١١ : ٦ .

أنبيائه وكتبه ، بغير علم لكم ، ولا برهان .

ولكن " يجب علينا " الآن " أن " نبين - إن شاء الله تعالى - خلل ما ذهبت إليه بمقتضى سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

أما التوراة التي بأيديكم وأيدي اليهود إلى اليوم ، فلا ذكر فيها للآخرة ولا لبعث ، ولا لحشر الأجساد ، ولا لشيء من أحوال القيامة .

وفي كتبكم : أن موسى عليه السلام لم يخبر بذلك ^(١) ، مخافة أن يكذبه بنو إسرائيل جملة واحدة ، فيجموه ، لأنهم كانوا ينقضون أفعاله من المعجزات ، ويختبرون أقواله ^(٢) ، ويسيتون القول بكل ما يأتيهم به عتواً على الله تعالى .

إلا أن موسى بن عمران ومن قبله من الأنبياء عليهم السلام كلهم ، أخبروا العالم : أن الله خلق الأشياء ، وابتدعها مخترعاً لها ، لا من شيء ، ولا على أصل متقدم .

(١) في ج : " فأما اعتراضك قولنا من الأكل والشرب وغير ذلك من التذاذ الإحسام في الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة .. " وفي ت : " وأما قولك واعتراضك قولنا بالأكل والشرب وغير ذلك من لذائذ الأجسام في الجنة ، ونفيك أن يكون ذلك جملة واحدة .. " ، وفي ع : " وأما اعتراضك قولنا بالأكل أن يكون جملة واحدة " .

(٢) ذكر الناسخ على هامش الصفحة في ت : " قولهم : لم يخبر ، يقتضى أن موسى عليه السلام أوحى إليه بذلك ، وأمر بإخفائه ، لقول الله سبحانه في كتابه العزيز :

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾

(الأعلى : ١٧ - إلى آخر السورة)

وليس عندنا دليل يؤيد هذا الرأي ، لذا نقول : يحتمل أن إخبار موسى عليه السلام بالبعث سقط من كتاب التوراة ، ويدعم هذا الرأي ما أثبتناه سابقاً : من أن موسى لم يكتب التوراة الموجودة بين أيدينا ، بل كتبها شخص جاء بعده بزمان طويل .

(٣) كذا في ت ، وفي ج : " ويختبرون أقواله " ، والجملة ساقطة من ع .

وهذا مما اتفقنا جميعاً عليه ، فإذاً [مما] لا شك فيه [أن] البعث وحشر الأجساد لا يتعذر ، لكونه من قدرة القادر الخالق ، فيبقى أبداً في حكم الممكن ، لا في حد الممتنع .. إلى أن أخرجنا الذين قامت البراهين الضرورية على صدقهم ، وهم الأنبياء .

أخبروا العالم - من بعد موسى - بالبعث ، وحشر الأجساد ، وأحوال القيامة ، فتحققنا من ذلك ، فإذاً لا شك في وقوع البعث ، وفي التذاذ الأجسام التي ستحشر مع نفوسها الأول ، وذلك ما أخرجنا به الذي قامت البراهين الضرورية على صدقه ، وأن الله بعثه نبياً من عنده ، فتحققناه ، لأنه كان قبل أن يخبرنا به الصادق في حد الممكن عندنا ، وعند غيرنا من أجل المقدمة الأولى .

بل [هو] في حد الواجب ، لأن الله تعالى خلق أنفسنا ، ورتب جواهرها ، وطبائعها الذاتية ترتيباً ، لا يستحيل [معها] ألبة [أن] تتلذذ بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات على حسب موافقة تلك الجواهر [وهى] أنفسنا .

وهذا مما لا يدفع فيه أحد ، ولا شك في أن النفوس هي المتلذذة بالمطاعم والمشارب ، وسائر اللذات [من] الروائح الطيبة ، والمناظر الحسنة ، والأصوات المطلوبة . وكذلك هي المتألمة أيضاً بضد ذلك من المكاره .

وأن الحواس الجسدية هي المتأفذة لوصول هذه اللذات إلى النفوس ، وأما الجسد فلا حس له ألبة .

فإذا اجتمعنا باتفاق على أن الله سيجمع يوم القيامة في عالم الجزاء أنفسنا والأجساد المركبة لها ، ويعيدها كما كان [الحال] أول مرة ، [يلزمنا أن نصدق أنها ستذوق] هنا لك من اللذات والآلام ، بما تستدعيه طبائعها التي لم توجد إلا كذلك .

إلا أنه كما أن الأجسام أعيدت بعد الفناء بغير فساد ، ولا استحالة بقدره القدير ، فكذلك .. ذلك الطعام الذي هناك ، لم يعد بنار ، ولا يلحقه فساد ، ولا يتحلل إلى قدر ، ولا إلى دم .

ولا يطرأ هناك تغير ، ولا موت ولا شبه ذلك بقدرة القدير ، كما أخرجنا الخالق تبارك وتعالى بقوله :

﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾^(١).

وكذلك تلك الثياب غير منخرقة بالنسيج^(٢) ، ولا تبلى ، ولا تفتى ، ولا تتغير .
وكما أن تلك الأجسام لا كدر فيها ، ولا خلط ، ولا دم ، ولا أذى ، فكذلك تلك
النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا من حسد ، ولا من حرص ، ولا غير ذلك من أمراض
نفوس^(٣) هذه الدار الفانية ، كما أخبرنا الخالق سبحانه بقوله :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾^(٤).

ثم أقول [بالإضافة إلى ذلك]^(٥) : إن قدماء الهند ذكروا في كتبهم [أن] في الأفلاك ،
والبروج ، ووجوه المطالع صوراً وصفوها ، وذكروا أنه ليس في العالم الأدنى صورة إلا وهى في
العالم الأعلى^(٦) .

وهذا إيجاب من تلك الطائفة بأن هناك ملابس ، وأكلًا وشرباً^(٧) ، وأتجاراً وأشجاراً ،
وغير ذلك .

وأيضاً ، فإن في التوراة - التي بأيدي اليهود إلى اليوم - " حديث " عن أكل آدم
وزوجته من الشجرة التي في الجنة ، وطردهما منها بسبب ذلك^(٨) .

(١) الواقعة : ١٩ .

(٢) في ج : منخرقة بنسخ " ، وفي ت : " منخرقات بالنسيج " ، والجملة سقطت من ع .

(٣) في ج ، ت : " من جيلات نفوس " ، وفي ع : " من مقبحات نفوس " .

(٤) الحجر : ٤٧ .

(٥) في ع : " خلاف ذلك " وهى ساقطة من ج ، ت .

(٦) هى فكرة أفلاطون المعروفة بعالم المثل .

(٧) في ج ، ت : " ملابس ومشارب ، ووطأ " وفي ع : " ملابس ومشارب وماكل " .

(٨) كذا في ع ، وفي ج : " فإن التوراة التي في الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك " ، وفي ت : " فإن في التوراة التي

بأيدي اليهود إلى اليوم النهى عن أكل آدم وزوجه من الشجرة التي في الجنة ، وطردهما عنها بسبب ذلك " .

وقال في التوراة عن آدم: "إن الله نفاه من الجنة ، ليعمر الأرض التي خلق منها"^(١) .
وتلك الجنة لم تكن بناء على ذلك في الأرض .

وفي الإنجيل الذي بأيديكم : أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح - وقد سقاهم كأساً من خمر - قال : "إني لا أشربها معكم أبداً حتى تشربوها معي في الملكوت عن يمين الله"^(٢) .

وقال أيضاً في قصة الفقير الذي اسمه "لعازر" ، الذي كان مطروحاً على باب الغني ، والكلاب تلحس قروحه ، وإن ذلك الغني نظر إليه في الجنة متكماً على حجر إبراهيم الخليل ، فناداه الغني وهو في النار :

يا أبي إبراهيم ! إبعث "لعازر" إلى بشئ من ماء أبل به لساني^(٣) .

^(١) نص التوراة : " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أُخِذَ منها " . (تكوين ٣ : ٢٣)

^(٢) والنص في الإنجيل يقول : " وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم ، حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي " . (متى ٢٦ : ٢٩ ، مرقس ١٤ : ٢٥)

^(٣) كذا في ج ، ت ، والفقرة سقطت من ع ، وإليك القصة كما جاءت في الإنجيل : " كان إنسان غني ، وكان يلبس الأرجوان والبز ، وهو يتعم كل يوم مترفهاً ، وكان مسكين اسمه لعازر الذي طرح عند بابه مضروباً بالقروح ، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني ، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه ، فمات المسكين ، وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ، ومات الغني أيضاً ، ودفن ، فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه ، فنادى وقال يا أبي إبراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويرد لساني ، لأنني معذب في هذا اللهب ، فقال إبراهيم : يا ابني اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلبا . والآن هو يتعزى وأنت تتعذب ، وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة ، قد أثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من هنا إليكم ، لا يقدرول ولا الذين من هناك يجتازون إلينا ، فقال : أسألك إذن يا أبت أن ترسله إلى بيت أبي ، لأن لي خمسة إخوة ، حتى يشهد لهم لكيلا ياتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا ، قال له إبراهيم : عندهم موسى والأنبياء ، ليسمعوا منهم ، فقال : لا يا أبي إبراهيم ، بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون ، فقال له : إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ، ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون " . (لوقا ١٦ : ١٩ - ٣١)

وفي الإنجيل أيضاً^(١) :

" ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا ؟ أجاہم يسوع ، وقال :
الحق الحق أقول لكم ، أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الخبز
فشبعتم ، إعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية " ^(٢) .

وفي الإنجيل أيضاً أنه قال لتلاميذه في وصية وصاهم بها :

" لتأكلوا^(٣) وتشربوا على مائدتي في ملكوتي^(٤) وتجلسوا على كراسي^(٥) تدينون أسباط
إسرائيل الإثني عشر " ^(٦) .

وقال أيضاً لليهود : " إن كان موسى أطعمكم خبزاً في المفاز ، فأنا أطعمكم خبزاً
سماوياً " ، يريد بذلك نعيم الجنة .
وقال أشعياء^(٧) :

" أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة يعلوا اشتروا ، وكلوا ،
وهلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خبزاً ولبناً " ^(٨) .

^(١) جاء النص في ج ، ت كما يلي :

" أم الجماعة قالت للمسيح بقفر ثاوي : متى جئت إلى ها هنا يا معلم ؟ فقال لهم : آمين آمين أقول لكم ولا
وكلتكم الخبز وليس لما رأيتم من العجايب ، فارغبوا في طعام لا يفنى في الحياة الدائمة " .
لذا أثبتناه في الهامش ، ووضعنا مكانه نص الإنجيل ..

^(٢) يوحنا ٦ : ٢٥ - ٢٧ .

^(٣) في ج ، ت : " لتطعموا " .

^(٤) في ج ، ت : " في ملك الله " .

^(٥) في ج ، ت : " على عروش حاكمين على اثني عشر سبطاً من بني إسرائيل " ، والفقرة ساقطة من ع .

^(٦) لوقا ٢٢ : ٣٠ .

^(٧) ورد النص في ت ، ج : " يا معشر العطاش ، توجهوا إلى الماء الراوية ، فمن له فضة فليذهب ، وياكل ،

ويشرب ، ويأخذ من الجبن واللبن ، بلا فضة ولا ثمن " ، وسقط النص من ع .

وهذا كله يبين ما كفرت به ، ويوجب ما أنكرته في كتابك .

[الرد على الشبهة التاسعة]

وأما قولك :

" إن دين الإسلام فشا بالسيف القهر ، ودين الصليب لم ينتشر بسيف ولا قهر .."

فكأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم ، إنما كان بأسباب القتال مع اليهود ، وكنتم تحرقوهم بالنيران ، وتفرقوهم في البحار ، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان .

ولولا ذلك لم تبق لكم اليهود أثراً ، فإن الدولة كانت لهم ، قد قتلوا إلهكم على زعمكم ! ولم يترك بعده أكثر من اثني عشر حوارياً ، وسبعين مبشراً هاربين خائفين ، ولو ظهر منهم واحد لقتل شر قتلة .

فلو التزمت ما أوجبه عليكم شريعتكم بالمسألة !!! لما قامت لكم قائمة ، وما بقى منكم باقية .

ولكنكم أقمت دينكم برفض معالمة ، ونصرتموه بمحو آثاره ، والتزمت القتل والقتال ، فعصيت في الأول ، وما زلت إلى الآن على خلاف ما أمركم به إنجيلكم تعملون^(١) .
ثم بصرف النظر عن هذا^(٢) .

(١) أشعيا ٥٥ : ١ .

(٢) راجع المهموشة ١ في ص ٨٩ .

(٣) الفقرة : " فكأنك قد غفلت .. بصرف النظر عن هذا " ، سقطت من ج ، ت .

فإن كنت قلت ذلك لتعيب به الإسلام ، فإنك عبت موسى بن عمران ، ويوشع بن نون ، ومن قبلهما ، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم ، وسبوا الذراري ، وناوشوا الأعداء في ديارهم ، كما هو مكتوب في التوراة - وفي سائر الكتب لديكم - وبينته في قتال داود عليه السلام مع جالوت ، وسليمان عليه السلام مع طوائف الكفر ولم يقدح ذلك في صحة أديانهم^(١) .

وإذا كان القتال سنة الله تعالى لأهل الحق مع أهل الضلال ، فنحن على تلك السنة سالكون ، وبها عاملون ، فيكون من منايبنا ، لا من مثالبنا ، ومن حسناتنا ، لا من سيئاتنا . ومن هنا نعلم أن تعيينك لنا قد انعكس عليك ، فياليتك لم تقله .

وأما إن كنت تريد بذلك إظهار محاسن حالة الصلح التي أمركم بها الإنجيل ، على حالة الجهاد التي أمر بها سيد النبيين ، فإنك قد ظلمت ولم تدر ، وكفرت ولم تعلم ، ها هو ذا إنجيلكم - بين أيديكم - ناطق مصرح - كما قلت بالمسألة ، وإلتزام التواضع والمذلة : " لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً " ^(٢) .

وأن تبعدوا عن القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة :

" ومن أراد أن يخاصمك ، ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين ، ومن سألك فاعطه ، ومن أراد أن يقترض منك فلا تردده ... أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيتكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم " ^(٣) .

ومع ذلك كله ، فإننا نراكم أشد الناس تكالفاً ، وحرصاً على القتل والقتال ، وبسط الأيدي بالاعتساف في أقطار الأرض ، تقتلون النفوس ، وتسلبون الأموال ، وتعتدون [أن]

(١) أي أديان الأنبياء الذين حاربوا الكفار .

(٢) متى ٥ : ٣٩ .

(٣) متى ٥ : ٤٠ - ٤٤ .

ذلك من أوثق أسباب السعادات ، وأعظم المقربات إلى الله تعالى ، مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم ، وإيجابه الإستسلام لأعدائكم ، ومن استحل حرمات الله تعالى ، فهو أشد الناس كفراً بالله ، وكتبه ، وأحكامه .

وأما نحن فكتابنا قد أوجب علينا القتال ، فامتثلنا أمر خالقنا جل شأنه ، فكنا أولياءه ، ناصرين لدينه ، قائمين بحقه في أرضه على خلقه ، سعداء ، شهداء ، أولياء ، أعزاء ، نناظر بالمعجزات الباهرة ، والبراهين القاطعة ، فندعو إلى مكارم الأخلاق ، وننهي عن لثامها ، فمن اهتدى إلينا ظفر بالسعادة ، وأسباب السيادة ، ومن أعرض عنا ، كان جديراً بالصغار ، والذل ، والعار .

لا ندعو إلى عبادة الرجال ، ولا ربات الحجال ، ولا نعبد من أشبعته اليهود - على زعمكم - أنواع العذاب !

فأين السماء من الوهدان ؟

وأين الدخان من المسجد ؟

لقد أشرق الحق في ديننا ، كما غاب عنكم إلى الموعد^(١) .

ولا يخفى عليك^(٢) أن سيد النبيين محمداً ﷺ ، لم يكن قبل ذلك ملكاً ، فيقال : حمل رعيته على دينه .

ولا صاحب مال ، فيقال : استعان بماله ، ليجمع القوم على دينه^(٣) .

وإنما أتى قومه بخلع الأوثان ، وكسر الأصنام ، وعبادة الله وحده ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) سقطت الفقرة " وبينته في قتال داود عليه السلام .. كما غاب عنكم إلى الموعد " . من ج ، ت .

(٢) كذا في ع ، وفي ج ، وت : " ولا خفاء " .

(٣) في ج ، وت : " بذل ماله مصانعة دينة " ، وفي ع : " استعان بماله .. " .

[وأيده الله] [بآيات ومعجزات ، خارقة للعادات ، تدل على صدق رسالته ، ونبوته .
ثم خصه الله تعالى بآية باقية إلى اليوم ، وهى :
القرآن المجيد !!

وإنما جميع آيات الأنبياء قد ذهبت بذهاجم ، ولم يختصوا ببقاء واحدة منها .
ولما بعثه الله ليدعوا العالم إليه ، اتبعه جماعة من الناس ، سبقوا إلى الخير ، ورغبوا عن
الشرك والشر ، فعمد قومه إليه ، وعتوا على من اتبعه ، وعليه ، فأذوهم بالضرب الموجه^(١) ،
والنفى ، والعذاب ، والفتنة عن دينهم .

وما زال ﷺ كذلك زهاء عشر سنين تقريباً ، يجهد نفسه في إظهار أمر الله ، صابراً على
أذى قومه ، لا يخفى نفسه ، ولا يستتر ، ولا يجزع ، وقد عمد إليه نفر منهم بالكعبة - ومعه
صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه - فقالوا له : أنت الذى تسب آلهتنا وتسفه ديننا .
ووضع أحدهم يده فى ردائه ، وضمه إليه ، وتحاملوا عليه : وهو يقول لهم : " نعم أنا
الذى أقول ذلك " .

حتى أن صاحبه أبا بكر قام دونه ، وقال لهم صائحاً^(٢) : " أتقتلون رجلاً أن يقول : ربى
الله " ^(٣) .

ولم يكن ﷺ بالذى يضعف ، ويجزع من شئ ، حتى أفشأ دين الله فى الأرض ، وجعل
أصحابه نجوم الهدى ، ومصاييح الدجى .
وكان قومه حين اتبعوه ليؤذوه ، حين دخل فى الغار قال له صاحبه : " لو أن أحداً يبصر
ما تحت قدمه لأبصرنا " .

^(١) فى ج : " وأذوهم بالرجع والضرب " ، وفى ت : " وأذوهم بالرحم والبغى والضرب " ، وفى ع : " وأذوهم
بالرحم والضرب " .

^(٢) فى ج ، ت ، ع : " حتى أن صاحبه ترمى عليه ويصيح " .

^(٣) انظر ابن هشام ج ١ ص ١٨٧ - ١٨٨ .

قال له : " يا أبا بكر ! ما ظنك باثنين الله ثالثهما " (١) .

لا كما كتبتم في الإنجيل عن المسيح عليه السلام ، أنه حين استشعر بوثوب اليهود عليه صاح :
" جزعت نفسي الآن ، فماذا تقول يا أبتاه ، فسلمني من هذا الوقت " (٢) .
وأنه حين أخذ - بزعمكم - كان القواد يقولون له : " هل أنت المسيح ابن الله ؟ "
فيقول لهم " أنتم تقولون : أنى هو ! " (٣) .

وفيكم من يوافق اليهود في قولهم ، أنهم حين بحثوا عنه ، أخفاه بستاني في جنته تحت وعاء
الزبل .. إلى آخر هذه الحكاية الفاجرة والكاذبة [وهى] حديث المبغضين :
وبعد ، فإن بشارات الأنبياء في كتبهم تنطق أن سيد النبيين محمد عليه السلام ، يأتي بالسيف في
جملة أوصافهم له ، وقد ذكروا من ذلك ما أتى ذكره ، حتى أن أشعياء أخبر عن هزيمة العرب ،
وقتل أشرافهم في بدر وغيرها ، فقال : " يدوسون الأمم كدوس البيادر ، ويترل البلاء بمشركى
العرب وينهزمون من أيد [بها] سيوف مسلوطة ، وقسى موتورة من شدة الملحمة " (٤) .

وكذلك قال المسيح في الإنجيل لتلاميذه :

وكذلك قال المسيح في الإنجيل لتلاميذه :

" حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ، ولا أحذية ، هل أعوزكم شئ ؟ فقالوا : لا
فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتري
سيفاً " (٥) .

(١) الطبرى : جامع البيان ... ج ١٠ ص ٩٦ .

(٢) قارن متى ٢٦ : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) قارن متى ٢٦ : ٦٣ ، لوقا ٢٢ : ٧٠ .

(٤) قارن أشعياء ٤١ : ١ - ٤ ، ٢١ : ١ - ٤ .

(٥) لوقا ٢٢ : ٣٥ - ٣٦ .

فأمرهم بشراء السيوف بعد أن كان [قد] فهاهم عن القتال ، لعلمه أن محمداً ﷺ سيبعث بعده بالسيف .

ومثل ذلك من ذكر السيوف في مواضع كثيرة !
وأما دين الصليب الذى أنتم عليه ، فإنما أفضاه " قسطنطين بن هلانة " بالقهر والرياسة .
والدين الذى جاء به المسيح ﷺ ، لم يلبث بعده سوى أربعين سنة ، وأخله مستضعفون ، ثم اختل كما قدمت ذكره .

وكان سيد النبيين محمد ﷺ حين خلص [أحد] المشركين إليه في يوم أحد ، أشرع إليه رحمه ، فجاء أحد أصحابه ، فأدخل جسمه بين سنان الرمح وبينه ، فمات رحمه الله ، واستمر الأعداء يرسلون إليه سهامهم ، وسماك بن خرشه^(١) انحنى عليه يقى جسمه الكريم من السهام بجسمه ، واندفع بعض الصحابة يشرب الدم الذى سال منه ﷺ .
كل ذلك تعظيماً له ، إيماناً به ، وشفقة عليه .

لا كما كتبتكم في الإنجيل :

أن أصحاب المسيح ﷺ حين أحيط به - كظنكم - جزعوا فتفرقوا عنه ، وأن " بطرس " الذى كان [قد] حلف ألا ينكره ، أنكره قبل صراخ الديك ثلاثاً ، وحلف أنه ما يعرفه^(٢) ، وهو الذى كان المسيح قال له - بزعمكم - : ما حللت في الأرض ، فهو محلول في السماء ، وما عقدت فيها فهو معقود في السماء^(٣) .

زعمتم أنه أفرده بهذه المقالة ، ثم قالها لسائر التلاميذ في جملتهم ، ثم لم يكن إلا قليل حتى هربوا عنه ، وأسلموه لأعدائه ، كما زعمتم .

^(١) هو أبو دجانة سماك بن خرشه ، ترس بنفسه يوم أحد دون رسول الله ﷺ ، فتلقى النبل في ظهره وهرب منحن عليه .

^(٢) راجع متى ٢٦ : ٦٩ - ٧٤ ، مرقس ٢٤ : ٦٦ - ٧٣ ، لوقا ٢٢ : ٥٥ - ٦١ ، يوحنا ١٨ : ٢٥ - ٢٧ .

^(٣) متى ١٦ : ١٩ .

[وليس بصحيح] ما زعمتم أن " بطرس " استل في ذلك اليوم سيفاً ، وقطع به أذناً^(١) .
فما أبين ضلالكم ، وأهون على الله تعالى نكالكم .

* * *

(١) لم تذكر الأناجيل الثلاثة ، أن الذي استل السيف هو " بطرس " ، بل قالت : " وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده ، واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة ، فقطع أذنه " . (قارن متى ٢٦ : ٥١ ، مرقس ٢٤ : ٤٧ ، لوقا ٢٢ : ٥٠)
أما يوحنا فينسب هذا الفعل إلى " بطرس " . (قارن يوحنا ١٨ : ١٠)

[خاتمتين]^(١)

الأولى :

وبعد .. أيها المغرور ! فعلى كثرة اختلاف أقوالكم في المسيح ، وتنازعكم فكلكم يقول :
- إنه إنسان تام ، حُمِلَ به تسعة أشهر ، ووُلِدَ ، وخُتِنَ ، وأُرْضِعَ وكان صغيراً فكبير ،
وناقصاً فزاد : ونمًا ، ومشى ، وأكل ، وجاع ، وشبع ، وعطش ، وغط ، وبال ونام . وطُلبَ
فهرب ، وأخذَ فَرِيطَ ، وصُلبَ ، ودُفِنَ .

- وأنه أتى شجرة من التين ، فلم يجد فيها ما يأكله فدعا عليها^(٢) .

- ولم يدر أيضاً ، [مكان] قبر صديقه " لعازر " وقال :

أين دفنتموه ؟^(٣)

ولم يعلم ، متى تقوم الساعة ! .

- ولا قدر أن يجعل أولاد زبدي عن يمينه وشماله ، وترك ذلك إلى الله إن شاء فعله !^(٤) .

وقلتم :

- إن يجي غطسه .

- وإنه صاح عند الموت جزعاً منه !

وهذه كلها صفات إنسان مهين ، لا إله قوى متين .

(١) اختلفت خاتمة ت ، ج عنها في ع في النسبة والمضمون ، فقد نسبت في ت ، ج إلى المراجع ، أما في ع ، فلم

يشر إلى ذلك ، ولذا رأينا أن نثبت أولاً خاتمة ت ، ج ، ثم خاتمة ع .

(٢) متى ٢١ : ١٨ - ١٩ ، ومرقس ١١ : ١٣ - ١٤ .

(٣) يوحنا ١١ : ٣٤ .

(٤) متى ٢٠ : ٢٠ - ٢٣ .

ونحن نسأل الله سبحانه أن يكشف ما بكم من بشع الضلالة ، ويتلقاكم بالهداية ، فهو فعال لما يريد .

قال المراجع لهذه الرسالة : ليعلم كل ذى بصيرة : أن ما على الأرض عقيدة دين أعدى على حقيقة الإيمان من عقيدة ملة النصارى ! ولا يعبد حتى بمقول من الآراء أبلغ في السخافة من قواعدهم في عبادتهم !

ولم أتعرض في هذه الرسالة للكثير منها ، لأن عرض حكاية الكفر إثم نفسه ، وإن كتبت قد اضطررت إلى حكاية شئ من ذلك ، فما أضربت صفحاً عنه أبشع وأشنع مما اضطرت إلى حكايته .

وقد كان يجب [على] ألا ألفت إلى شئ من مقالاتهم ، فإن " مناقشتها " إخلال في العقل ، وفي صحة الدين .

فأما ، وقد ندبنا الله سبحانه وتعالى إلى إقامة الحجّة وإسطاع البراهين ، وأكد ذلك علينا في محكم كتابه من مكالمة اليهود في ذلك أولاً ! ورجاء ثواب الله تعالى . ثانياً : فالملة النصرانية خارجة عن اليهودية ، وفرع من أصلها [فالمسيحيون] يؤمنون بكل ما في أيدي اليهود حرفاً حرفاً ، وإنما يخالفونهم في تأويلات وخيمة تأولوها ، وبدع من ضلالتهم تناقلوها ، وليس ذلك الفرع الذى هو النصرانية من ذلك الأصل الذى هو اليهودية كسائر فروع وفرقه ، من العنانية ، والعيسوية ، واليودعانية ، والسامرة ، وغيرها من فرق اليهود على اختلاف مذاهبها ، وإنما ذلك فرع ذهب من الضلالة كل مذهب .

وقد أوردت في هذه الرسالة من الأدلة ما فيه الكفاية على سوء ما انتحلوه ، ولم أنقل من التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف الأنبياء ، إلا ما هو بأيديهم في وقتنا هذا .

فإذا رأى القارئ نصّاً من نصوصهم ، وقد أضافوا فيه الأفعال ، والحول ، والقسوة ، إلى عيسى بن مريم من دون الله تعالى ، فليعلم أن ذلك تحريف منهم .

وقد قدمت في صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنه ما ادعى الألوهية ، وإنما نقلت من أناجيلهم حرفاً حرفاً - على ما فيها من إضافة الفعل ، والقوة ، والحول إلى غير الله تعالى ، لأن من شأنهم وشأن اليهود ، إذا قيدوا بشئ [ليس] مكتوباً عندهم أنكروه - ، فلم أورد من

ذلك إلا ما قرأته في كتبهم العبرانية ، ووقفت عليها بنفسى ، وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها .

ومن جرى [فى المناظرة] هذا المجرى ، ثم طرح الهوى ، فنظر بعين الإنصاف ، كان الحق له أبين من فلق الصبح ، والهدى هدى الله - لا إله إلا هو - يهدى به من يشاء ، والحمد لله على ما خصنا به ، وهو ذو المن والطول ، لا إله هو تعالى عن قول الكافرين علواً كبيراً .
وصلوات الله وسلامه على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى آله الطاهرين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وصحابه الأبرار ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الثانية:

ومع ذلك أيها المغرور ، فعلى كثرة اختلاف أقوالكم في المسيح ، وتنازعكم فيه فكلكم زعمتم :

أن المسيح الْمَسِيحُ هو الله تعالى ، وإنما نزل إلى الأرض ليخلص العالم من خطيئة آدم ، فتصير نفوس أهله زكية ، راضية مرضية .

وينصركم على اليهود ، ويشرق في سماء مجدكم شمس العود ، مع أن الأبلغ في أئمة الجلالة الصمدية ، وحرمة العظمة الإلهية ، أن يفعل ذلك على أيدي رسله المرضيين ، وخاصته المقربين .

فما الذى أوجب نزوله عن مجده الرفيع المنيع ، إلى حضيض الآفات ، مقرر الملوومات ؟ فولج بطون النساء ، واغتذى بالدماء ، ولبث في الأرحام ، منغمساً في المشيمة ، والأحوال

الوخيمة ، إلى أن ولدته أمه ، وأرضعته ، وفطمته ، وأدبته ، وأمرته بحقوقها ، ولهته عن عقوقها ، وترددت به إلى المواسم ، وأرته الشعائر والمعالم ، حتى شب ، وترعرع ، وتشوق إلى شرف

الرجولية ، وتطلع .

فلما شرع فيما أنزل إليه ، عارضته اليهود ، فنكدوه ، وطرده ، وعزموا أن يقتلوه .

فلما أعياه أمرهم ، تحصن بالإستتار خلف الجدار ، وأمر أصحابه بكتمانه ، وأن يبالغوا في إخفاء مكانه .

وأقام على ذلك مدة واليهود تطلبه ، حتى دل عليه " يهوذا " صاحبه ، فأسلمه لأعدائه ،

وأوقعه في شبكة بلائه ، فسحبوه على الشوك حزيناً ، وبقي هذا الإله المسكين في أيدي اليهود بالعذاب رهيناً ، يرون أقبح ما يفعلونه [به] حسناً ، وأشد ما يهينونه به مستحسناً ، فلما بلغوا

من إهانتهم المراد ، ومضوا به إلى بقعة الأرض ، تزعمون أنه دحاها ، وحملوه خشبته التي تقولون : إنه أنبت لحاها . وألبسوها ثياباً حمراً للشهرة ، قد كان خلق - على رأيكم - درسها ،

وأوقفوه بجر الشمس الذى هو أسخن مسها . وسألمهم شربة من الماء - الذى فجره - ، حين وصلت روحه للحنجرة .

ولما صالت عليه الأمم الدوامى ، نادى فوق جذعه ، إلهى ! إلهى ! وقد صار بين

اللصوص مصلوباً .

ثم زهقت نفسه ، وحضر رسمه وصار في بطن اللحد سراً مكتوباً ، وعاد الإله الأزلي - بزعمكم - معدوماً .

ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان ، وعاد كما كان ، بعد ما انصف بالأحوال الوييلة ، وبقيت حسرتكم عليه طويلة ، وتضاعفت الخطيئة بالجناية على رب البرية ، وعظم تسلط اليهود وكفر أهل الجحود .

ولم يعظمه ، ويؤمن به إلا النفر القليل ، والعدد اليسير ، فكيف الرأي السقيم ، والتصرف الذميم ، الذى لا يصدر إلا من معتوه ، أو فاسد الرأي ، ناقص المهمة ، مظلم الفكرة يُعَرِّض نفسه للمحن ، ويثير بين العبادة الإحن . إن هذا لمن أعظم الشين لهذه الربوبية ، وإزالة بمجتها ، وطمس نورها ، وإطلاق ألسنة الأعداء بإبطالها .

وأين هذا من قولنا - نحن معشر المسلمين - الذى نبجل الله تعالى عن الاتصاف بصفات الأجسام ، ونحيل على جنبه الكرم أن تناله الآفات والآلام .

بعث عيسى عليه السلام ، نبياً مكرماً ، ورفع له إليه مجيداً معظماً ، لم يهته بأيدي الأعداء ، ولا سلط عليه أسباب البلاء .

ولو أن إنساناً نشأ ببعض الجزائر لا يعرف الأديان ، ولا يخالط نوع الإنسان فقيل له : إن لك رباً ، خلقت وأبدعتك ، وهو رجل مثلك ، يغوط ، ويبول ، ويمخط ، ويبصق ، ويجوع ، ويعطش ، ويعرى ، ويكسى ، ويسهر ، وينام ، ويتنازع مع الآنام الكلام .

وإن رجلاً مثلك ومثله ، بغضه فضره ، وسجنه ، ثم صلبه ، وقتله بعد أن حطم شعره ، ولطم نحره ، فجارر الأموات ، وتعذت عليه روح الحياة ، لاستنكف العقل السليم ، والطبيع المستقيم ، الاعتراف بوجود هذا الإله ، فضلاً عن الاعتراف بربوبيته ، وأنف أن يكون عبداً له ، ويرى نفسه أفضل من هذا الإله ، لسلامته عن هذه الآفات |

اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، آمين .

الكشاف

- الأعلام
- الأماكن والبلدان
- القبائل والأقوام
- الآيات القرآنية
- فقرات من الكتاب المقدس
- أهم المراجع العربية
- المراجع الأجنبية
- محتويات الكتاب

obeikandi.com

الأعلام

آتيلا: ١٥

آدم (آدم) ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٧ ،

٩١ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ،

١٢٦ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٩٨ ،

٢٦٣ .

آريوس: ٦٣

إبراهيم (إبراهيم) ٩٠ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٣٠ ،

١٣٥ ، ١٤١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ،

١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ،

٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ،

٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ .

إبراهيم باشا: ٤٩

أبرهة الأشرم: ٢٥٣

أبشالوم: ٢٤٠

إبليس: ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،

إبن أبي عامر: ٢٣

إبن الأثير: ١٣

إبن إسحاق: ٩٤ ، ٢٥٤ ،

إبن باديس: ٢٩

إبن خلدون: ١٣

إبن رشد: ٦١

إبن زيد: ٩٠ ، ٩٤ ، ١٩٢ ،

إبن عباد: ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٣٤ .

إبن عباس: ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٥٢ ،

٢٣٢ .

إبن عبد البر: ٤٣

إبن صوريا: ٩٧

إبن عزرا: ٩٨ ، ٩٩ ،

إبن العسال: ٥١

إبن عمار: ١١٠

أبو بكر الصديق: ١٧٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ،

٢٦٩ .

أبو جاد: ١٤٣

أبو جعفر العقيلي: ١٩٠

أبو جهل بن هشام: ١٩٢

أبو الحسن علي: ٣٧ ، ٣٨ .

أبو داود المازني: ٩١

أبو سعيد الخدري: ١٧٨

أبو الذهب: ٤٩

أرسطو : ٧٦
أرمانوس : ١٢٣
أرمياء : ٤٥ ، ٤٧ ، ٢١٠ ، ٢١١
أرينتوس : ٧٢
إستادلين : ٧٢
إستير : ٤٧
إسحاق : ٩٠ ، ٩٤ ، ١٠٧ ، ٢٠٤ ،
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٥ .
إسرائيل (بنو) : ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
٧٨ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٩٦ ،
١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
١١٢ ، ١٣٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٩ ،
٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٢٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ .
إسكندر سيقوروس : ١٤
إسماعيل : ٢٩ ، ٥٠ ، ١٣٣ ، ١٦٦ ،
١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ،
٢١٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
أشبانة : ١٣ ، ١٤ .

أبو عبد الله محمد (الزغل) : ٣٧ ، ٣٨ ،
٣٩ .
أبو عبد الله محمد بن علي : ٢٣
أبو عبد الله بن منده : ١٩٠
أبو عبيدة الخرجي : ٤٢ ، ٤٣ ، ٨١ ،
١١٧ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٥٣ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ، ٢٣٨ .
أبو الفرج بن الجوزي : ١٩٠
أبولون : ٦٢
أبو نضرة : ١٧٨
أبو هريرة : ١٩٣
أبيهود : ٢٤٥
أحاز : ٢٤٥
أحمد بن داود : ١٩٠
أحمد بن عمر : ٤٣
أحمد (الإمام) : ٢٣٣
أحمد الثالث : ٤٨
أخنوخ : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
أخيم : ١٤١ ، ٢٤٣
إدريس : ١٥٢ ، ١٥٣ .
إدوارد جيبون : ٢٦
إدوارد كرينزي : ٢٦

أمنون : ٢٤٢
 آمون : ٢٤٢
 أندرواس : ٢٤٠
 أنوش : ١٥٣ ، ١٥٢
 أوياس : ١٨
 أوريسا : ١٤ ، ٢٦ ، ٨٧ ، ١١٤ ،
 ١٢١
 أوجستين : ١٤٠ ، ١٤٣ .
 أونان : ٢٢٩
 إيزابيلا : ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ .
 إيفا : ١٨
 إيكليزيا ستيكس : ٤٧ ، ٤٨
 إيليا : ٢٠٩
 إينوسان : ٣٧
 أيوب : ٩١ ، ٩٢ ، ٢٠٤
 (ب)
 اليايا : ٣٧ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٢ .
 باروخ : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .
 بختنصر : ٢١٦ .
 بدر : ٧ ، ٢٢ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٧٠ .
 برثولماوس : ٢٤٠
 برنابا : ٤٦ ، ١٥٠ ، ٢٢٧

أشعيا : ٤٥ ، ٧٥ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
 ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩
 ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ .
 إفرام : ١٦٥ ، ١٦٦
 أفلاطون : ٦٨ ، ١٢٢ ، ٢٦٣
 أفلوطين المصري : ٦٨
 ألاريك : ١٥
 ألبراء بن عازب : ١٩٤
 ألدان قطنى : ١٩٠
 ألفونس : ١٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،
 ٣٢ ، ٣٣ .
 المنخما : ٢٨٠
 المنصور : ٢٩
 إلياس : ١٣٣ ، ٢١٠
 إلباقيم : ٢٤٤
 إلبان : ٦٤
 إلبس : ١٣٣ ، ٢١٠
 ألبعازر : ١٤١
 ألبود : ١٤١ ، ٢٤٣
 أمرو القيس : ٧٨ .
 أم عمرو بنت رواحة : ١٩٣
 أم معبد : ١٧٨ ، ١٨٦

بطرس : ٤٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ١٤٠ .
٢٧٢ .

بطليموس : ١٣

ألبكرى : ١٣ ، ٥٠

بلهة : ٢٢٨

بولس : ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ،

٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

١١٠ .

بيلاطس النبطى : ٦٤ ، ١٣٩ .

(ت)

تاسيتوس : ١٤

تيودوسيوس : ٦٥

توما : ٢٤٠

تيطس : ٤٦

تيموثاوس : ٤٦ ، ٦٥ ، ١١٠

تيودريك : ١٥

(ث)

ثامار : ٢٢٩ ، ٢٣٠

الثريا : ٣٨

الثعالبي : ١٣٤ ، ١٥٣

(ج)

جابر بن عبد الله : ٢٢٠

جالوت : ٢٦٥

جانيجوس : ٢٠

جبرائيل : ٧٥ ، ١٣٩

جرجس : ١٤٩

جمال الدين الأفغانى : ١٢٣

جبيون : ١٤ ، ٢٦ .

(ح)

الحارث بن الحكم : ٢٩

حام : ٣٧

حبقوق : ٤٥ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .

الحجاج بن يوسف : ٢٣٤

حجى : ٤٥

حزقيا : ٢٤٣

حزقيال : ١٠٩ ، ١٩٩ ، ٢١٦ .

الحكم المستنصر : ٢٢

حناء مقار العيسوى : ٦٢

حنّة : ٢٠٢

حواء : ٦٦ ، ٦٧ ، ٩١ ، ٢٣٤ .

(ز)

زرادشت : ٩٢ ، ١٠٩

زربابل : ٢٤٣

زكريا : ١٣٣

زياد : ١٤ ، ١٥

(س)

سام : ٢٣٧

السامري : ٢٣٣

سباريون : ٦٤

سبينوزا : ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٨ ، ١٠٢

سعد بن عباد : ٤٢

سعيد بن البطريق : ٦٣

سفيان : ٢٣٤

السلطان الأيسر : ٢٤٣

سليمان : ٩٠ ، ٢٤٢

سماك بن خراشة : ٢٧٢

سمعان : ٦٨ ، ١٥٠

سيزون : ١٨

(ش)

شالثثيل : ٢٤٣

شعيب : ٢٤٩

شكيم بن حمور : ٢٣٠

(د)

دانيال : ١٠٩ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧

٢٣٨ ، ٢٤٠

داود : ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ٩٩

١٠١ ، ١٩١ ، ٢٠٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١

٢٦٩

داود بن عائشة : ٣٣

دوزي : ١٩ ، ٢٠

دون إقريس : ٢٥٢

ديسيوس : ١٤ ، ١٥

دينة : ٢٣٠ ، ٢٦٩

(ذ)

ذو الكفل : ١٣٤

(ر)

راحيل : ٨٤

راعوث : ٤٥

راووين : ٢٢٨

الربيع بن أنس : ٩٤

رودريك : ١٥

الرشيد : ٣٤

عباس : ٤٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٥٣

٢٣٤

عبد الرحمن بن حسن : ٤٣

عبد الرحمن الغافقي : ٢٤ ، ٢٥

عبد الرحمن الداخلى : ٢٢

عبد الرحمن بن معاوية : ٢٢

عبد الرحمن الناصر : ٢٢

عبد العزيز الفهرى : ١٤ ، ٢٢

عبد العزيز بن موسى بن نصير : ٢٢

عبد الله : ١٤

عبد الله إسماعيل الهاشمى : ٥٠

عبد الله بن أبي بن سلول : ١٨٩

عبد الله بن أريقط : ١٧٨

عبد الله بن الزبير : ٢٣٢

عبد الله بن منده : ١٩١

عبد المسيح بن إسحاق الكندى : ٥٠

عبد الوهاب بن محمد : ٤٣

عثمان بن طلحة : ٢٣٤

عز الدين الحمدي : ٦٢

عزرا : ٩٨ ، ٩٩

عكاشة بن محصن : ٢١٨

على بن أبي طالب : ١٩٠

شمعون : ١٥٠ ، ٢٤٣

شيث : ١٥٣

الشیطان : ٦٦ ، ٩١ ، ٩٢

شيلة : ٢٣٠

(ص)

صادوق : ٢٤٣

صالح : ٦٤

صفية بنت شيبه : ٢٤٣

صفنيا : ٤٥

صلة : ٨٤

صموئيل : ٤٥ ، ١٠٠ ، ٢٣٨

صهيون : ٢٠٥

(ط)

طارق بن زياد : ١٤ ، ١٥

طوبيا : ٤٧ ، ٤٨

(ع)

عائشة : ٣٨ ، ٤١

عادة : ٨٤

عازور : ٢٤٣

عامر بن فهيرة : ١٧٨

عاموس (أو عاموص) : ٤٥ ، ١٣٢

فيثاغورث : ٦٢

فيليس : ٢٤٠

(ق)

قاييل : ١٠٦

القادر بن ذى النون : ٢٩

القادر بن يحيى : ٣٠ ، ٢٩

القاسم بن الفضل الحمداني : ١٧٩

قاهث : ٩٠

قتادة : ٩٠ ، ٩٥ ، ١٩٤

قتان : ١٤١

القرطبي : ٤٣ ، ٦١

قسطنطين : ١٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٨٠

١٦٢ ، ١٦١

قصي بن كلاب : ١٩٩

قنيان : ١٥٢

(ك)

كارل مارتل : ٢٦

كعب : ٩٠ ، ١٥٣

الكندي : ٤٩ ، ٥٠

(ل)

لابن بول : ٢٠

لامك : ٨٤

عمار بن مطر : ١٩١

عمانوثيل : ٧٥

عمرام : ٩٠

عمران : ٩٠

عمرو بن العاص : ٥٣

عملاق : ٢٤٦

عمون : ٢٢٦

عوبديا : ٩٥ ، ١٧٨

عوج ملك باشان : ٩٩

عيسى (القطيعة) : ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠

٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١١٤

١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٣

١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤

١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥

١٥٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥

(ف)

فالنس : ١٥

فاليا : ١٥

فرديناند : ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

فرعون : ٩٧

فضيل بن مرزوق : ١٩١

فيلمون : ٦٣

١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ٢٠٢ ،
 ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ،
 ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ .
 مجاهد : ٩٤ ، ٩٥ ، ١٩٣ ،
 محمد (ﷺ) : ٢٦ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ،
 ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ ،
 ١٢٤ ، ١٣٧ ، ١٧٩ ، ١٩٩ : ٢٠٤ ،
 ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥ .
 محمد (أبو عبد الله) : ٢٣ ،
 محمد بن أحمد : ٤٣ ،
 محمد عبده : ١٢٣ ،
 محمد علي : ٥٢ ،
 محمد بن علي عمار : ٤٩ ،
 محمد بن يوسف (ابن الأحمر) : ٣٦ ، ٣٧ ،
 مرقس : ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،
 ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ،
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ،
 ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ،
 ١٦٩ ، ٢٢١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٢ .
 مرقيون : ٦٤

لاوى : ٩٠
 لعازر : ١١٢ ، ٢٦٥
 أللنجي (اللورد) : ١١٥
 لوط : ١٣٤ ، ٢٢٨
 لوكيوس : ١٤٩
 لوقا : ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،
 ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
 ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
 ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
 ٢٠٢ ، ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٢ .
 ليثة : ٨٤ ، ٢٣٠ .
 (م)
 ماثان : ٩٠
 المأمون : ١٧١ ، ٥٠
 متان : ١٤٢ ، ٢٤٥
 متى : ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،
 ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
 ٨٥ ، ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
 ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١

المنخما : ٢٠٨
 مهليليل : ١٥٣ ، ١٥٢
 مؤاب : ٢٤٥ ، ٢٢٦
 موريا : ٩٩
 موسى (الطوبى) : ١٤ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥
 موسى بن نصير : ١٤ ، ٢٢
 ميخا : ٤٥
 ميخائيل : ٩٢
 (ن)
 ناحوم : ١٢٨
 نافع : ٢٣٤
 نايوت : ٢٥٨
 النجاشي : ٢٥٤ ، ٢٥٦
 نحميا : ٤٥
 نسطور الحكيم : ١٧١
 نسي : ٨٩ ، ٩٠
 نقييل بن حبيب الخنعمي : ٢٥٧

مريم : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٠٢ ، ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
 مريم المجدلية : ١٤٠ ، ١٥٥
 مريم أم يعقوب : ١٦٨
 المسيح (الطوبى) : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧١ ، ٢٤٣
 مسيلمة الكذاب : ١٨٠ ، ١٨١
 المغيرة بن شعبة : ٩٠
 المفضل : ٣٠
 مكونيوس : ٦٥
 ملاخي : ٤٥
 مناين : ١٥٠
 منسى : ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٤٣
 منصور : ٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤

نوح : ١٠٦ ، ١١١

نيقوديموس : ١٣١

(هـ)

هاثيل : ١٠٦

هاجر : ١٧٥ ، ٢٠٦

هارون : ٩٠ ، ٩١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

٢٤٣ ، ٢٤٦ .

هارون بن أشير : ٢٢٦

هالي : ٢٢٥

هشام بن الحكم : ٢٢

هشام بن عبد الملك : ٢٢

هوشع : ٩٥

هونوريوس : ١٥

هيلانة : ١٦٠

(و)

وتيزا : ١٧

وزدم : ٤٧ ، ٤٨

ولبارس : ١٤٠

الوليد بن المغيرة : ١٨٤

وهب بن منبه : ٢٠٤

(ى)

يارد : ١٥٢ ، ١٥٣

يحيى : ١٣٣

يروم : ٢١٠ ، ٢١١

يزيد بن رومان : ١٨٩

يسوع : ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٩ ،

٨٢ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٧ ،

١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،

١٥٢ ، ٢٢٢ ، ٢٧٢ .

يشوع (يوشع) : ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠٢ ، ١٩١ ، ٢٠٥ .

يصهر : ٩٠

يعقوب : ٤٧ ، ٤٨ ، ٩٠ ، ١٠٧ ،

١٧١ ، ١٧٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،

٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦

يعقوب الراذعي : ١٧١

يعقوب بن عتبة : ٢٥٦

يعقيم : ٩٠

يكينيا : ٢٤٣

يهوديت : ٤٧ ، ٤٨

يهوذا : ٤٧ ، ٩٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،

١٥٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،

يوآب : ٢٣٩

يؤاخيم : ٩٠ ، ٢٤٥

يوثيل : ٤٥

يوحنا : ٤٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ،

٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٢ ،

١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،

١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢١ ،

٢٢٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ،

٢٧٣ .

يوسف : ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ٧٥ ،

٧٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،

٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ .

يوسف بن تاشفين : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٣٤ .

يوسف بن عبد العزيز الفهرى : ٢٢

يوسف بن متان : ١٤٢

يوسف بن نصر : ٢٣

يوسف بن هالى : ٢٢٥

يوسف بن يهوذا : ٢٢٥

يوشع بن نون : ٤٥

يوشع بن يوحنا : ٢٢٢

يوشيا : ٢٤٣

يوكابد : ٩٠

يوليان : ١٧ ، ١٨

يوفان : ٢٢٣

يونس : ٦ ، ١٣٤ ، ١٨٣ ، ٢٢٠ .

الأماكن والبلدان

أمريكا : ١١٥ ، ٨٧	أبدة : ٣٥
انجلترا : ١١٥	أديما : ١٠٠
الأندلس : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٦١ ، ١٠٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ .	أرجون : ٢٦٣ ، ٣٨
أوربا : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٨٧ ، ١١٤ ، ١٢١ .	الأردن : ١٣٩ ، ١٠٨ ، ٩٩ ، ٨٩
أورشليم : ٢٠٨	أريتريا : ٥٦
إيبيريا : ١٣	أريولة : ٣٥
إيرلندا : ٥٥	أسبانيا : ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٦١
إيطاليا : ١١٥ ، ٧١ ، ١٥	إستانبول : ١٢
إينوسان : ٣٧	إستجة : ٣٥
(ب)	إستراليا : ٨٧
بابل : ٧٨ ، ٩٢ ، ١٨٤ ، ٢١٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٣ .	إسكندناوة : ١٤
بجاية : ٩٢	إشبيلية : ١٣ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦
البحرين : ١٩٥	إفريقيا : ١٤ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٦ ، ٨٧ ، ٢٥٢ .
بخارى : ٥٥ ، ٥٧	أنطاكية : ٦٤ ، ٧١ ، ١٤٩
	أفسس : ٩٦ ، ١١٠
	إكسفورد : ٢٦ ، ٠
	ألبانيا : ٥٦
	ألمرية : ٣٦

ترلو : ٤٧
 ترنت : ٤٧
 تسالونيكى : ٤٦
 تور : ٢٤
 تولوز : ١٥
 تونس : ٤٩ ، ٣١
 تولوشة : ١٥
 تيمان : ٢١٣
 (ج)
 الجارون : ١٥
 جبال اشتوريش : ٢٦ ، ٢٤ ، ١٩
 جبال البرنية : ١٣
 جبال البشرات : ٣٦
 جبل أبى قبيس : ١٨٧
 جبل شلير : ٤٠
 جبل طارق : ٢٢
 جبل فاران : ٢٠٤
 جبل موريا : ٩٩
 جبل الله : ٩٩
 الجزيرة : ٢٣ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥
 . ٣١ ، ٣٠
 الجزيرة الأسبانية : ١٧

بدر : ٧ ، ١٢ ، ٢٢ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،
 . ٢٦٩
 البرتغال : ١٣
 بسطة : ٢٥٣ ، ٣٦
 بسكونية : ١٩
 بطليوس : ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٢٩
 بلش : ٣٩
 ألبطيق : ١٤
 بلغاريا : ١٥
 البلقان : ٥٧ ، ١٥
 بلنسية : ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٠ ، ٢٣
 بلوطات مرام : ٢٢٩
 بواتيه : ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤
 بياسة : ٣٥
 بيت المقدس : ١٠٥ ، ٨١ ، ٨٠ ،
 ١٤٩ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١١٥ ، ١١٤
 . ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٤٣ ، ٢٢٢
 (ت)
 التاجة : ٣٠
 تبوك : ١٨٨
 تراقيا : ١٥
 تركيا : ٥٦

روما : ١٥ ، ٨١

رومانيا : ١٤

رومية : ٤٦ ، ٦٦ ، ٨٥

(ز)

الزلاقة : ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤

(س)

سبتة : ١٧

سرقسطة : ٢٣ ، ٣١

سعر : ٢٤٠

السويد : ١٤

سيناء : ٧٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ،

٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ .

(ش)

شاطبة : ٣٥

شالون : ١٥

الشام : ٢١ ، ٤١ ، ١٨٥ ، ٢١٦ ،

٢٣٦ ، ٢٥٨

شريش : ٣٥

شلب : ٣٥

شنتفى : ٤٠

شتمرية : ٣٥

شنيل : ٣٦

جليقة : ١٣ ، ١٥

الجليل : ٧٣ ، ٧٥ ، ١٢٧ ، ١٣٩

جيان : ٣٥

(ح)

الحبشة : ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥

الحجاز : ٤٩ ، ٢١٧ .

الحديبية : ١٨٩ ، ١٩٤

حلب : ٢٢٤

حوران : ٢٠٢

(خ)

الخدق : ٢١٨

خبير : ٩٧

خيخون : ١٩

(د)

داسيا : ١٤ ، ١٥

دان : ١٠٠

الدنواب : ١٥

دمشق : ٢٢

(ر)

رندة : ٣٩

روسيا : ٥٥ ، ٨١

فاران : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١٣

فاس : ٤٢

فدك : ٩٧ ، ٢١٧

القرنتيرة : ٢١٨

فرنسا : ١٥ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ١١٥

فلسطين : ١١٥ ، ١٤٩ ، ٢٠٢ ،

٢٢٢ ، ٢٣٥

فلورنس : ٤٧

فليبي : ٤٦

القلبيين : ٥٥

فيتيل : ٢٣٤

فيين : ٢٥

(ق)

قادس : ٣٥ ، ٣٧

القدس : ٨١

قرطاجنة : ٣٥

قرطبة : ١٤ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٨ ،

٢٩ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

٦١

القرم : ٥٥ ، ٥٧

قسطنطينية : ١٥ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣٧ ،

٤٩ ، ٦٥

(ص)

صنعاء : ٢٥٤ ، ٢٥٥

صوغر : ٢٢٥ ، ٢٢٦

(ط)

طشقند : ٥٥ ، ٥٧

طليطلة : ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ،

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٥٢ ،

٦١ ، ٢٥٢

طنجة : ١٧

طور سيناء : ٢٢٩

(ع)

العراق : ٢٢ ، ١١٥ ، ٢١٧

عينام : ٢٢٨

(غ)

غرناطة : ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٦ ،

٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٩٨

غلاطية : ٤٦

غالياً (أو غاليس) : ١٥

(ف)

المدورة : ٣٥
مديان : ٨٩
المدينة (المتورة) : ٩٧ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ،
٢١٧
مدین : ٢٩٧ ، ٢٤٦
مرسية : ١٣
المرية : ٣٦
مصر : ٤٩ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٧٨ ، ١٠٢ ،
١٠٨ ، ١٨٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٧ ،
٢٤٧
المغرب : ٢٢ ، ٢٣
مكة : ١١٤ ، ١١٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٤ ،
٢٥٥
مى : ٢٣١ ، ٢١٦
ميزيا : ١٥
ميورقة : ٣٥
(ن)
نابس : ٤٧
ناصره : ٧٥ ، ١٣٨
نجد : ٢٧١
نيقية : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٠

قشتالة : ١٢ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٧ ،
٣٩ ، ٣٨
قورية : ٣٠
(ك)
كانتابريا : ٢٤
كفرناحوم : ١٢٧
كلكتة : ٢٠٨
كلين : ٢٥
كورة البيرة : ٣٦
كورنثوس : ٦٦ ، ١١٠
كولوسى : ٤٦
(ل)
لاون : ٣٠
لبنان : ٢٣٠
لقنت : ٣٥
اللووار : ١٥
لوديسيا : ٤٧
(م)
مادة : ٣٥
مالقة : ٢٣
المر : ١٤

ولبة : ٣٥

(ى)

يثرب (المدينة المنورة) : ١٧٨ ، ١١٥

اليوكرين : ١٤

اليمامة : ٢١٧

اليمن : ٢٥٤ ، ٢٥٣

اليونان : ٨٧ ، ٦٢ ، ١٥

(هـ)

الهند : ٥٥ ، ١٢٠ ، ٢١٦ ، ٢٦٢

(و)

وادي أش : ٣٨ ، ٢٥٣

وادي أبرة : ١٤

وادي بيطس : ١٤

وادي لكة (أو وادي بكة) : ١٨

وادي المشتق : ١٨٨

القبائل والأقوام

الحبش : ٢١٦	الآلان : ١٥
جوتارة : ١٤	آل قيذار : ٢١٢
الخثيون : ٨٩	الأدوميون : ١٠١
ألخويون : ٨٩	الأشبان : ١٤
الديلم : ٢١٦	الأشوريون : ٢٣٥
الروم : ١١٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣	الأكراد : ٢١٦
السامريون : ٤٥ ، ٧٠	الأموريون : ٨٩
السوابيون : ١٥	أندلوس : ١٣
السودان : ٢١٦	ألبربر : ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ،
الصقالبة : ٢٣	٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢١٦
العامريون : ٢٣	بنو الأفطس : ٣٠
العرب : ١٣ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ١١٨	بنو أمية : ٢٢ ، ٢٥٢
١١٩ ، ٢٠٢ ، ٢٣٥ ، ٢٥٤	بنو جهور : ٢٣
العمالقة : ٨٩ ، ٩٩	بنو حمود : ٢٣
الفرزيون : ٨٩	بنو ذى النون : ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩
الفرس : ٦٢ ، ٢١٦	بنو زيرى : ٢٣
الفريسيون : ٨٥ ، ٩٨ ، ١٥١ ، ٢٢١	بنو عمون : ٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥
القبط : ٢١٦	بنو مرين : ٣٤ ، ٣٧
قريش : ١١٤ ، ١٩٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥	بنو نصر : ٢٣
القوقط : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٦١	بنو هود : ٢٣
الكنعانيون : ٩٩	الترك : ٢١٦

١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٣ ، ١٣٢
١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩
، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٨ ، ٢٤٥ ، ١٤٤
، ١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢
١٦٨ ، ١٦٤ ، ١٦٢ ، ١٦٠ ، ١٥٩
٢١١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٣ ، ١٩٩
٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٩ ، ٢١٧
٢٣٧ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤
٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٣٨
٢٦٤ ، ٢٦٢ ، ٢٥٢ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨
٢٧٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧١ ، ٢٦٩ ، ٢٦٧
٢٧٨
اليمنية : ٢٢

المديانيون : ٨٩
الضرية : ٢٢
المقاييون : ٤٦
المواييون : ٢٢٦
النبط : ٢١٦
نقرة : ١٤
همدان : ٩١ ، ١٤
الهون : ١٥
الواندال : ١٥ ، ١٤
اليوسيون : ٨٩
اليهود : ٨ ، ٣٤ ، ٤٧ ، ٦٣ ، ٦٥ ،
٧١ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٩٢ ،
٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ،
١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٣٠ ، ١٣١

الآيات القرآنية

الصفحة

١٨٢

﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (البقرة: ٢٣)

١٨٥ ، ١٨٤

﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ (البقرة: ٢٤)

٦٦

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (البقرة: ٣٦)

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ

١٠٩

مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٨)

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ

٩٤

يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٧٥)

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾

١١٨

(البقرة: ٧٨)

﴿ قَوْلٍ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (سورة

٩٦

البقرة: ٧٩)

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ

إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ

١١١

عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٨٥)

١٢١

﴿ وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ (البقرة: ١٣٠)

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ

٩٤

لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٦)

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

١١١

النَّارِ ﴾ (البقرة: ٢٠١)

- ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ ﴾ إلى ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٢٩ ، ٢٣٠) ٨٧
- ﴿ وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (البقرة : ٢٣٧) ١٧٣
- ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) ١١٤
- ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة : ٢٥٦) . ١١٣ ، ٦
- ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (البقرة : ٢٥٨) ١١٨
- ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ (البقرة : ٢٥١) ١١٣
- ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (البقرة : ٢٨٥) ١١٨
- ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة : ٢٨٦) ٦٧
- ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ (آل عمران : ٧) ١٢٦
- ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتَابُونَ وَنَحْشُرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ ١٩٩
- ﴿ إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران : ١٩) ١٢٢
- ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا ﴾ إلى ﴿ ... وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران : ٢٠) ١١٨
- ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ﴾ (عمران : ٣٥) ٩٠
- ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٥) ٦٨

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٩).

٦٩

﴿ وَإِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَلْفُسَنَا وَأَلْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتَّلْ فَمَا تَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (آل عمران :

١٣٨

(٥٩ : ٦١)

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران : ٦٧)

١٢١

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِيْسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧١)

٩٤

﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٍ إِنْ تَأْمَنَهُ بِنَقَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنٍ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدَيْتَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧٥)

١١٩

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ بِأَلْسِنَتِهِم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧٨)

٩٥

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران : ٧٩)

١٣٨

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

١٢٢

(آل عمران : ٨٥)

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

١١٨

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠)

﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾

١٩٩

(آل عمران : ١١١)

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ

١٩٣

تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إِلَى ﴿ ... هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (آل عمران : ١٢٣ : ١٢٥)

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

١٨١

(١٤٤)

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ (آل عمران :

٨٣

﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنَى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ (النساء : ٣)

﴿ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا

وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا

وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْرَبَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا

٩٦

يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء : ٤٦)

٢٣٥

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (النساء : ٥٨)

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾

(النساء : ٨٢)

- ٦٧ ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (النساء : ١١١)
- ٦٥ ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ إلى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (النساء : ١٥٧)
- ١٦٠ ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ (النساء : ١٥٧ ، ١٥٨)
- ٧٨ ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (النساء : ١٦٣)
- ١٠٣ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : ١٧٠)
- ٦٨ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلًا الْحَقُّ إِذْ قَالَ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (النساء : ١٧١)
- ١٢٤ ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء : ١٧٢)
- ٩٦ ، ٨ ﴿ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِينًا قَهَمُ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة : ١٣)
- ٧٦ ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ﴾ إلى : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة : ١٧)
- ١١٩ ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة : ١٩)

- ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى ﴿...فَاخْذِرُوا ﴾ (المائدة : ٤١)
- ٩٧
- ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ﴾ (المائدة : ٤٤)
- ٢٢٥
- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة : ١٧)
- ١٠٢ ، ٧٦
- ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ ﴾ (سورة
- ١٢٦
- المائدة : ٧٥)
- ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا
- ١٧٧ ، ٥
- ﴿ مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ ﴾ ﴿فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة : ٨٢ : ٨٣)
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا
- ١٢٢
- عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُوًّا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (المائدة : ١٠٤)
- ﴿ أَلَيْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا لِي آلِهَةً مِثْلِي وَإِلَهُنَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا
- ١٢٥
- يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ إلى ﴿... وَأَلَيْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
- (المائدة : ١١٦ : ١١٧)
- ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلِيَّاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (الأنعام : ٨٥)
- ١٣٣
- ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام : ٨٦)
- ٣٣
- ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ
- ٢٠٠
- اللَّهِ ﴾ إلى : ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأنعام : ١٠٩ : ١١٠)

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾
(التوبة : ١١١)
- ٨٨
- ﴿ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ (التوبة : ١١١)
- ٢٤٦
- ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ (يونس : ٣٨)
- ١٨٢
- ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ٩٩)
- ١١٣
- ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ (هود : ١٣)
- ٢٢٩
- ﴿ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (هود : ٧٣)
- ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَطَالِمُونَ ﴾
(يوسف : ٧٩)
- ٦٧
- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد : ٣٨)
- ١٠٤
- ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد : ٤٣)
- ١٧٨
- ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ (الحجر: ٤٧)
- ٢٦٤
- ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾
(النحل : ٤١)
- ١٩٩
- ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾
(١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (سورة النحل: ١٢٦ : ١٢٧)
- ١٧٥

- ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٥٩) ٦٧
- ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (٥٩) سورة الإسراء ٢٠٢
- ﴿وَنُحُوتِهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٦٠) ٢٠٢
- ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨) ١٨٤
- ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٣) ٢٠٢
- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ إلى ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٧ : ١١٠) ١٧٨
- ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩) ١١٣
- ﴿قَالَتْ أَلَيْ مَا يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٩) ٧٥
- ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨) ٢٤٥ ، ٩٢
- ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧) ١٥٤
- ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه: ٧) ٢٣٥
- ﴿وَمَا أَغْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ إلى ﴿...وَإِنْ رَبُّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه ٨٣ - ٩٠) ٢٣٣
- ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ (١٢٠)﴾ إلى ﴿...وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢٠-١٢١) ٦٦
- ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ (طه: ١٢٢) ٧٧

- ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء : ٢٢) ١٦٩
- ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مَّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (الأنبياء : ٢٢) ١٧٩
- ﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغِيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج : ٤٠) ١١٤
- ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (المؤمنون : ٩١) ١٦٩
- ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ إلى : ﴿ يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (النور : ٥٥) ١٩٦
- ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ إلى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان : ٤-٦) ١٠٣
- ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (الشعراء : ٨٧) ١٠٩
- ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ (النمل : ١٢) ٢٣٠
- ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (القصص : ٥٢) ١٧٦
- ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٨) ١١٩
- ﴿ الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) ﴾ إلى : ﴿ ... وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) ﴾ (الروم ١-٦) ١٩٥

- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ﴾ (لقمان : ٢٣)
- ٧٦
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٩)
- ٩٤
- ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّرْهَا ﴾ (الأحزاب : ٢٧)
- ١٩٦
- ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِن خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس : ٩)
- ١٩٢
- ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكَبِّرُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴾ (يس : ٥٥-٥٧)
- ١٠٥
- ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ إلى : ﴿ ... إِلَهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات : ١٢٣ - ١٣٢)
- ١٣٣
- ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (ص : ٤٨)
- ١٣٣
- ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) ﴾ ﴿ فَبِأَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِنَّا إِبْلِيسَ ﴾ إلى ﴿ ... وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) ﴾ (سورة ص : ٧١ - ٧٨)
- ٩٣
- ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (الزمر : ٣)
- ١٤٥
- ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (الزمر : ٣٠)
- ١٧٩
- ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ (غافر : ١٧)
- ٦٧

- ١٠٤ ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (غافر : ٧٨)
- ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ آلَهُ الْحَقُّ ﴾
- ١٩٦ (فصلت : ٥٣)
- ٢٣٥ ﴿ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى : ١١)
- ٦٧ ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ (الأحقاب : ١٩)
- ١٠٥ ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ إِلَىٰ : ﴿ ... وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ (محمد : ١٥)
- ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَاكُمْ أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾
- ١٩٧ (الفتح : ١١)
- ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ﴾
- ١٩٧ (الفتح : ١٥)
- ١٩٦ ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ (الفتح : ١٩)
- ١٩٦ ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾ (الفتح : ٢١)
- ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾
- إلى : ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح : ٢٧)
- ٦٧ ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم : ٣٩)
- ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴾ (القمر : ١-٣)
- ١٨٧ ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر : ٤٥)
- ١٩٧ ﴿ لَا يُصَدِّقُونَ عَنْهَا وَلَا يُرْفُونَ ﴾ (الواقعة : ١٩)
- ١٠٥

- ﴿ فِي جَنَّاتِ التَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) ﴾ { مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ } إِلَى ﴿ ... جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الواقعة : ١٢ - ٢٤)
- ١٠٥
- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَسَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف : ٩)
- ١٩٦
- ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ إِلَى : ﴿ ... مُبِينٍ ﴾ (الجمعة : ٢)
- ١١٨
- ﴿ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ (التحريم : ١٢)
- ١١٩
- ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤)
- ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِيَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) ﴾
- ١١٨
- إلى : ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (الجن : ١ ، ٢)
- ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلْبِنَةً خَرْسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨) ﴾ إلى : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن : ٨ - ١٠)
- ١٩١
- ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ إلى
- ١٨٤
- ﴿ ... فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُوتَرُ ﴾ (المدثر : ١٨ : ٢٤)
- ١١٣
- ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾ (العاشية : ٢١ : ٢٢)
- ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴾ إلى
- ١٩٢
- ﴿ ... أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (العلق : ٩ - ١٤)
- ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾
- ٢٥٤
- إلى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥) ﴾ (سورة الفيل)
- ١٩٨
- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣) ﴾ (سورة النصر)

فقرات من الكتاب المقدس

الصفحة

- ١٠٦ "وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه ، لئلا تموتا " (تكوين ٣ : ٣)
- ٦٦ " أكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل " ، " ... فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت " (التكوين ٣ : ٦ - ١٢)
- ٢٦٣ " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها " (تكوين ٣ : ٢٣)
- ١٠٦ فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاهها ، لتقبل دم أخيك من يدك متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها " (تكوين ٤ : ١١ - ١٢)
- ٨٤ " واتخذ لامك لنفسه امرأتين ، أسم الواحدة عادة ، واسم الأخرى " إلى " .. وأصغيا لكلامى " (التكوين ٤ : ١٩ - ٢٣)
- ٢٣٢ " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض " ، إلى " : "... لأنى حزنت أنى عملتهم " (تكوين ٦ : ٥ - ٧)
- ١٠٧ " أثمروا ، وأكثروا ، واملأوا الأرض " (تكوين ٩ : ١)
- ١٧٥ " ها أنت حبلى فتلدن ابناً وتدعين اسمه إسماعيل " ، إلى " : ... وأمام جميع إخوته يسكن " (تكوين ١٦ : ١١ - ١٢) .
- ١٧٤ " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره " ، إلى " : ... وأجعله أمة كبيرة " (تكوين ١٧ : ٢٠)
- ٢٢٩ " وظهر له الرب عند بلوطات ممرأ ، وهو جالس في باب الخيمة " ، إلى " وهو أبو بنى عمون إلى اليوم " (تكوين ١٨ : ١ - ٥)

- " وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وأبتاه معه " إلى " .. وهو أبو بني
 ٢٢٦ عمون إلى اليوم " (التكوين : ١٩ : ٣٠ - ٣٨)
- " لأني سأجعله أمة عظيمة " (التكوين : ٢١ : ١٨)
 ٢٠٥ " أن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم " إلى " ... فقال خذ ابنك
 ٢٣١ وحيذك الذي تحبه إسحاق " (التكوين : ٢٢ ، ١ ، ٢)
- " بذاتي أقسمت ، يقول الرب : إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر " إلى " ..
 ١٠٧ ويرث نسلك باب أعدائه " (التكوين : ٢٢ : ١٦ ، ١٧)
- " فليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة . ليستعبد
 ١٠٧ لك شعوب ، ونسجد لك قبائل " (التكوين : ٢٧ : ٢٨ ، ٢٩)
- " فبقى يعقوب وحده " إلى : " لأني نظرت الله وجهها لوجه ونجيت نفسي "
 ٢٣٤ (التكوين : ٣٢ : ٢٤ - ٣٠)
- " وخرجت دينة ابنة لينة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض " إلى " ...
 ٢٢٨ واضطجع معها وأذلها " (التكوين : ٣٤ : ١ ، ٢)
- " أكثر ، وأكثر ، أمة وجماعة أمم تكون منك " إلى " ... ولنسلك من بعدك
 ١٠٧ أعطى الأرض " (التكوين : ٣٥ : ١١ ، ١٢)
- " وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض " إلى " ... وسمع إسرائيل "
 ٢٢٦ (التكوين : ٣٥ : ٢٢)
- " وأخذ يهوذا زوجة لغير بكر ، أسماها ثامار " إلى " ... هي أبر مني ، لأني لم
 ٢٢٧ أعطيها لنشيلة ابني " (التكوين : ٣٨ : ٦ - ٢٦)
- " ودعا يعقوب بنيه وقال : اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام " إلى
 ٢٢٦ " حينئذ دنسته " (التكوين : ٤٩ : ١ - ٢)

- " وقال الله أيضا لموسى ... " إلى " .. فتسلبون المصريين " (الخروج : ٣ : ١٥ : ٢٢)
- ٢٣٣
- " ثم قال له الرب أيضا : أدخل يدك في عبك ، فأدخل يده في عبه ، ثم أخرجها ، وإذا يده برصاء مثل الثلج " (الخروج : ٤ : ٦)
- ٢٣٠
- " وأخذ عمرا م يوكابد عمته زوجة له ، فولدت له هارون وموسى " (الخروج : ٦ : ٢٠)
- ٩٠
- " ثم قال الرب لموسى " إلى " ... المصريين " (الخروج : ١١ : ١-٣)
- ٢٣٣
- " وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى " إلى " ... فسلبوا المصريين " (الخروج : ١٢ : ٣٥ ، ٣٦)
- ٢٣٣
- " ترشد برأفتك الشعب الذى فديته ، تهديه بقوتك ، إلى مسكن قدسك " (الخروج : ١٥ : ١٣)
- ١٠٨
- " لماذا أصعدتنا من مصر " إلى " ... " ليشرب الشعب " (الخروج : ١٧ :
- ١٨٩
- ٣ - ٦)
- " فقال الرب لموسى : أكتب هذا تذكارا في الكتاب " إلى " .. للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور " (الخروج : ١٧ : ١٤ - ١٦)
- ٨٩
- " لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور " (الخروج : ٢٠ : ١٣ - ١٦)
- ٢٣٤
- " وتعبدون الرب إلهكم ، فيبارك خبزك وماءك " إلى " إلى أن تثمر وتملك الأرض " (الخروج ٢٣ ، ٢٥ - ٣٠)
- ١٠٧
- " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في التزول من الجبل " إلى " ... قم قاموا للعب " (الخروج : ٣٢ : ١ - ٦)
- ٢٣٠

- " أذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك " إلى " .. فيملكونها إلى الأبد " (الخروج : ٣٢ : ١٣)
 ٢٣٥
- " واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين " (الخروج : ٣٢ : ١٦)
 ٢٣٠
- " إحفظ ما أنا موصيك اليوم ، ها أنا طارد من قدامك " إلى " .. وتكسرون أنصابهم ، وتقطعون سواربهم " (الخروج : ٣٤ : ١١ - ١٣)
 ٨٩
- " وإذا أحدث إنسان في قريبه عيباً فكما فعل كذلك يفعل به " إلى " .. كذلك يحدث فيه " (اللاويين : ٢٤ : ١٩ ، ٢٠)
 ٨٣
- " إذا سلكتم في فرائضى ، وحفظتم وصاياى ، وعملتم بما " إلى " .. وتقرّبون وليس من يطردكم " (اللاويين : ٢٦ : ٣ - ١٧)
 ١٠٧
- " وتكلمت مريم وهارون " إلى " : ... التى اتخذها " (العدد : ١٢ : ١)
 ٢٤١
- " واسم امرأة عمرام يوكابد بنت لاوى التى ولدت للاوى فى مصر فولدت لعمرام هارون وموسى ومريم اختهما " (العدد : ٢٦ ، ٥٩)
 ٩٠
- " وفى يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق متلوت بزيت تقدمة مع سكببة " (العدد : ٢٨ : ٩)
 ٢٤٨
- " وكلم الرب موسى قائلاً : انتقم نقمة لبنى اسرائيل من المديانيين " (العدد : ٣١ : ١)
 ٨٩
- " لا تقتل ، ولا تزنى ، ولا تسرق ، ولا تشهد على قريبك شهادة زور " (التثنية : ٥ : ١٧ - ٢٠)
 ٢٣٤
- " ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها " ، إلى " : ... يدفع إليك " (التثنية ٧ : ١٢ - ١٦)
 ١٠٨

- ١٠٨ " بل المكان الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطكم " إلى : " ... وأبكار بقركم وغنمكم " (التثنية ١٢ : ٥-٦)
- ٢٠٢ " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم " إلى : " ... أنا أطلبه " (التثنية ١٨ : ١٨ ، ١٩)
- ١٤٦ " وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلقتة على خشبة " إلى : " ... لأن المعلق ملعون من الله " (التثنية ٢١ : ٢٢-٢٣) .
- ٢٣٤ " لا تقرض أخاك برباً ، ربا فضة ربا طعام إلى : " ... التي أنت داخل لتمتلكها " (التثنية : ٢٣ : ١٩ ، ٢٠)
- ٨٨ " إذ أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة في عينية " إلى : " ... يعطيك الرب إهلك نصيباً " (التثنية : ٢٤ : ١-٤)
- ٢٣٧ " ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إهلك " (التثنية : ٢٨ : ١٥)
- ٢٣٧ " يضربك الرب بقرحه مصر ، وبالبواسير والجرب ، والحكة ، حتى لا تستطيع الشفاء " (التثنية : ٢٨ : ٢٧)
- ٢٣٧ " تخطب امرأة ، ورجل آخر يضطجع معها " (التثنية ٢٨ : ٣٠)
- ٢٠٤ " جاء الرب من سناء " ، إلى : " ... من الصالحين " (التثنية : ٣٣ : ٢) .
- ٢٤٨ " قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة الناس " ، إلى : " والكهنة يضربون بالأبواق " (يشوع : ٦ : ٤-٦)
- ٩١ " وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم ، فقال الرب للشيطان : من أين جئت ؟ " (أبوب : ١ : ٦-٧)
- ١٦٦ " ويجعلون في طعامي علقماً ، وفي عطشي يسقونني خللاً " (مزامير : ٦٩ : ١-٢)

- " هللوا ، غنوا للرب ترنيمة جديدة : تسيحة في جماعة الأتقياء ، ليفرح
 ١٧٥ إسرائيل بخالقه (مزامير : ١٤٩ : ١-٢)
- " ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعوا اسمه عما نوثيل " (أشعيا : ١٧ : ١٤)
 ٧٥ " لأنه هكذا قال لى السيد : إذهب أقم حارساً " ، إلى : " كسرهما إلى الأرض
 ٢١٤ " (أشعيا ٢١ : ٦-٩)
- " تفرح البرية والأرض اليابسة ويتهج القفر ويزهر كالترجس " (أشعيا :
 ٢١٤ ٣٥ : ١)
- " أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه ، والذي ليس له فضة ... إلى : " ...
 ٢٦٤ " وبلا ثمن خمراً ولبناً " (أشعيا : ٥٥ : ١)
- " قبلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك ،
 ٢١٠ جعلتك نبياً للشعوب " (أرميا : ١ : ٥)
- " أملك ككرمة مثلك غرست على المياه . كانت ثمرة " ، إلى : " وليس لها
 ٢١٥ الآن فرع قوى لقضيب تسلط " (حزقيال : ١٩ : ١٠-١٤)
- " إن أناساً من شيوخ إسرائيل جاءوا ليسألوا الرب .. " ، إلى " ... أنا الرب
 ١٩٨ إلهكم " (حزقيال : ٢٠ : ١-٥)
- " وكثير من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية
 ١٩٩ وهؤلاء إلى العار للأزدرء الأبدى " (دانيال : ١٢ : ٢ ، ٣)
- " قد أقسم الرب بفجر يعقوب إني لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم "
 ١٧٥ (عاموس : ٨ : ٧)
- " عريت قوسك تعرية سباعيات سهام كلمتك " (حبقوق : ٣ : ٩)
 ٢١٣

" هو ذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسره الله معنا:

٧٥

(متى : ١ : ٢٣)

" حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه " ... إلى :

١٣٩

" وأنت تأتي إلى ... " (متى : ٣ : ١٣ ، ١٤)

" لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء " ، إلى : " ... لن تدخلوا

٨٥

ملكوت السموات ... " (متى : ٥ : ١٧ - ٢٠)

" قد سمعتم أنه قيل للقديما ... من طلق امرأته " إلى : " ... ومن تزوج

٨٦

مطلقة فإنه يزنى " (متى : ٥ : ٣١)

" سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ،

بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً " (متى : ٥ :

٨٣

٣٨ - ٣٩)

" سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر ،

٦٣

بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً " (متى : ٥ : ٣٩)

" ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً " ، إلى : " ...

٢٦٦

وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم " (متى : ٥ : ٤٠ - ٤٤)

" أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم " (متى : ٥ :

٨٩

٤٤)

" أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك " ، إلى : " ...

٧٩

لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد ، آمين " (متى : ٦ : ٩ - ١٣)

" هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وقال لهم ... " إلى : " ... أخرجوا

٧٠

شياطين " (متى : ١٠ : ٥ - ٨)

- " ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا " إلى : " ... يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم " (متى : ١٠ : ٢٨) ١١١
- " لا تظنوا أني جئت لألقى سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقى سلاماً بل سيقاً " (متى : ١٠ : ٣٤) ١١١
- " أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه " ، إلى : " ... أم ننتظر آخر " (متى : ١١ : ٢ ، ٣) ١٣٩
- " أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه ... " إلى : " ... من نه أذنان للسمع فليسمع " (متى : ١١ : ٢-١٥) ٢٠٩
- " حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفرسيين قائلين ... " إلى : " إلا آية يونان النبي " (متى : ١٢ : ٣٨ ، ٣٩) ٢٢١
- " يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته " إلى : " ... هناك يكون البكاء وصرير الإنسان " (متى : ١٣ : ٤١ ، ٤٢) ١١١
- " فالحق أقول لكم : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل " إلى : " ... ولا يكون شيء غير ممكن لديكم " (متى : ١٧ : ٢٠) ١٠٤
- " أيها المعلم الصالح أى إصلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية " إلى : " ... أكرم أباك وأمك " (متى : ١٩ : ١٦ - ١٩) ١٢٨
- " إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كثر في السماء ، وتعال اتبعنى " (متى : ٩ : ٢١) ١٠٩
- " ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات " إلى : " ... لأن معلمكم واحد : المسيح " (متى : ٢٣ : ٩ ، ١٠) ١٢٨

- " وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء " إلى : " ... باسم الرب " (متى : ٢٣ : ٣٣ - ٣٩)
- ٢٠٨ " فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدي ، والأبرار إلى حياة أبدية " (متى : ٢٥ :
- ١١١ (٤٦
- " وأقول لكم : إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم "
- ١١٢ إلى : " ... في ملكوت أبي " (متى : ٢٦ : ٢٩)
- " فقال للتلاميذ : إجلسوا ههنا حتى أمضى اصلى هناك " إلى : " ... فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت " (متى : ٢٦ : ٣٦ : ٣٨)
- ٧٥ " فقال لهم : نفسى حزينة جداً حتى الموت " إلى : " ... إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك " (متى : ٢٦ : ٣٨ - ٤٦)
- ١٤١ " والذى أسلمه أعظامهم علامة قائلاً : الذى أقبله هو أمسكوه " (متى :
- ١٥٠ (٤٨ : ٢٦)
- " فتكلم يسوع وكلمهم قائلاً : دفع إلى كل سلطان " إلى : " ... والروح القدس " (متى : ٢٨ : ١٨ - ١٩)
- ٧٠ " فإذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " (متى : ٢٨ : ١٩)
- ٧٠ ، ٦٢ " من أراد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه " إلى : " ... فهو يخلصها "
- ١٤١ " (مرقس : ٨ : ٣٤ ، ٣٥)
- " إلى النار التى لا تطفأ " إلى : " حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ "
- ١١٢ (مرقس : ٩ : ٤٣ - ٤٤ ، ٤٨)

- ١٢٨ " وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله ... " إلى : " ...
 (مرقس : ١٠ : ١٧ - ١٩)
- ١٠٩ " إذهب بع كل مالك واعط الفقراء " إلى : " ... وتعال اتبعني " (مرقس :
 ١٠ : ٣٤)
- ٦٦ "ومن أراد أن يصبر فيكم أولاً يكون للجميع عبداً " إلى : " ... وليبذل نفسه
 فدية عن كثيرين " (مرقس : ١٠ : ٤٤ - ٤٥)
- ١٠٤ " لأني الحق أقول لكم : إن من قال لهذا الجبل انتقل " إلى : " ... فمهما قال
 يكون له " (مرقس : ١١ : ٢٣)
- ١٠٦ " وجاء إليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامه " إلى : " ... بل
 يكونون كملانكة في السموات " (مرقس : ١٢ : ١٨ - ٢٥)
- ١٥٥ " ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان كان خيراً لذلك الرجل لو لم
 يولد " (مرقس : ١٤ : ٢١)
- ١١٢ " الحق أقول لكم : إن من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم
 حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي " (مرقس : ١٤ : ٢٥)
- ٦٩ " ... وقال لهم : إذهبوا ... " إلى : " ... للخليقة كلها " (مرقس : ١٦ :
 ١٥)
- ٦٩ " وقال لهم : إذهبوا إلى العالم أجمع " إلى : " ... ويضعون أيديهم على المرضى
 فيبرأون " (مرقس : ١٦ : ١٥ - ١٨)
- ٧٥ " في الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل " إلى :
 " ... واسم العذراء مريم " (لوقا : ١ : ٢٦ - ٢٧)

" وفي الشهر السادس " إلى : " ... ولا يكون لملكه نهاية " (لوقا ١ :

١٣٨

(٣٠-٢٦)

" فقال لهم : على كل حال تقولون لي هذا المثل أيها الطيب : إشف نفسك "

١٢٧

إلى : " ... ليس نبي مقبولاً في وطنه " (لوقا ٤ : ٢٣ - ٢٤)

" فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبي عظيم وافتقد الله

١٢٩

شعبه " (لوقا : ٧ : ١٦)

" ها أنا أعطيتكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا

٦٩

يضركم شيء " (لوقا ١٠ : ١٩) .

" وقال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث ، فقال له :

٨٥

يا إنسان من أقامني عليكم قاضياً أو مقسماً " (لوقا ١٢ : ١٣-١٤)

" فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون ، وما تشربون ، وما تشربون ولا تقلقون " إلى :

١١٠

... هناك يكون قلبكم أيضاً " (لوقا : ١٢ : ٢٩ - ٣٤)

" إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدع أصدقاءك ولا إخوانك " إلى " ... لأنك

١١٢

تكافي ، في قيامة الأبرار " (لوقا ١٤ : ١٢ - ١٣)

" كان إنسان غني وكان يلبس الأرجوان والبر وهو يتنعم " إلى " ... ولا إن

٢٦٣

قام واحد من الأموات يصدقون " (لوقا ١٦ : ١٩ - ٣١)

" يا أبي إبراهيم ! إرحمني ، وأرسل " لعازر " ليبيل طرف إصبغه بماء ويبرد

١١٢

لساني ، لأنني معذب في هذا اللهب " (لوقا ١٦ : ٢٤)

" إذهبا إلى القرية التي أمامكما وحين تدخلتما تجدان جحشاً مربوطاً " إلى :

١٤٤

" .. وأتيا به " (لوقا ١٩ : ٣٠)

- " لأني أقول لكم إنى لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتى ملكوت الله " (لوقا : ٢٢ : ١٨)
- ١١٢
- " وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً " إلى : " .. تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر " (لوقا ٢٢ : ٢٩ - ٢٠)
- ١١٢
- " لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الإثنى عشر " (لوقا ٢٢ : ٣٠)
- ١١٢
- " حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ، ولا أحذية ، هل أعوزكم شئ " إلى : " .. فليع ثوبه ويستر سيفاً " (لوقا ٢٢ : ٣٥ - ٣٦)
- ٢٦٩
- " وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشئ ووقف رؤساء الكهنة يشتكون عليه يا شتداد " (لوقا ٢٣ : ٩ - ١٠)
- ١٣٨
- " وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغي " إلى : " .. لجميع الأمم " (لوقا ٢٤ : ٤٦ - ٤٧) .
- ٧٠
- " فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله " إلى : " .. والكلمة صار جسداً وحل بيننا " (يوحنا : ١ : ١٤)
- ٧٦
- " وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم " إلى : " فهذا هو الذى يعتمد بالروح القدس " (يوحنا : ١ : ٢٩ - ٢٣)
- ١٣٩
- " آية آية ترينا " إلى : " .. بنى هذا الهيكل " (يوحنا ٢ : ١٨ - ٢٠)
- ١٤٢
- " لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد " إلى : " .. بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنا ٣ : ١٦)
- ٦٦
- " ينبغي أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص " (يوحنا ٣ : ٣٠)
- ١٤٣

- " وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن
 ١٢٧ ليس لنبي كرامة في وطنه " (يوحنا ٤ : ٤٣ - ٤٤)
- " أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً ، كما أسمع أدين " إلى : " .. بل مشيئة
 ١٢٩ الأب الذي أرسلني " (يوحنا ٥ : ٣٠)
- " ولما وجدوه في عبر البحر قالوا له يا معلم .. متى صرت هنا " إلى : " .. بل
 ٢٦٤ للطعام الباقي للحياة الأبدية " (يوحنا ٦ : ٢٥ - ٢٧)
- " فقالوا له ماذا نفعل ، حتى نعمل أعمال الله " إلى : " .. ومن يؤمن بي فلا
 ٢٢٠ يعطش أبداً " (يوحنا ٦ : ٢٨ - ٣٥)
- " فنادى يسوع وهو يعلم في الهيكل قائلاً : تعرفونني وتعرفون من أين أنا ومن
 نفسي لم آت ، بل الذي أرسلني هو حق ، الذي أنتم لستم تعرفونه "
 ١٢٩ (يوحنا ٧ : ٢٨)
- " لأني خرجت من قبل الله وأتيت ، لأني لم آت من نفسي بل ذلك أرسلني "
 ١٣٠ (يوحنا ٨ : ٤٢)
- " .. إلى متى تعلق أنفسنا " (يوحنا ١٠ : ٢٤)
 ١٣٠
- " فتناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه أجاهم يسوع " إلى : (فإنك وأنت
 ١٣٠ إنسان تجعل نفسك إلهاً " (يوحنا ١٠ : ٣١ - ٣٣)
- " الآن نفسي قد اضطربت " (يوحنا ١٢ : ٢٧)
 ٧٥
- " فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة " إلى : " .. قبضوا على
 ١٥١ يسوع وأوثقوه ومضوا به " (يوحنا ١٨ : ٣ - ١٢) .
- " من غفرتم خطاياهم تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم " (يوحنا ٢٠ :
 ٨٢ (٢٣

- ٧٠ " فقام بطرس وجاء معهما " إلى : " . ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حية " (أعمال الرسل ٩ : ٣٩ - ٤١)
- ٦٦ " بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون " إلى : .. من أجل الصفح عن الخطايا السالفة " (رسالة بولس إلى أهل رومية ٣ : ٢٢ - ٢٥)
- ٦٦ " فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب " (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس : ١٥ : ٣)
- ١١٠ " أوص الأغنياء في الدهر الحاضر ، أن لا يتكبروا " إلى : .. لكي يمسكوا بالحياة الأبدية " (رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس " ٦ : ١٧ - ١٩)
- ١١٠ " لا تحبوا العالم ، ولا الأشياء التي في العالم " إلى : .. وهذا هو الوعد الذي وعدنا هو به : الحياة الأبدية " (رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١٥ - ٢٥)
- ٢٣٦ " فالتفت لأنظر الصوت الذي تكلم معي ، ولما التفت رأيت سبع منابر " إلى : .. الأول والآخر والحي " (رؤيا يوحنا اللاهوتي ١ : ١٢ - ١٨)
- ١١٢ " من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله " (رؤيا يوحنا اللاهوتي : ٢ : ٧)
- ١١٢ " من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً " رؤيا يوحنا اللاهوتي : ٣ : ٥)
- ٢٣٦ " لأنك تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي " إلى : .. وثياباً بيضاً بكي تلبس " (رؤيا يوحنا اللاهوتي : ٣ : ١٧ - ١٨)
- ١١٢ " لن يجوعوا بعد ، ولن يعطشوا بعد ، ولا تقع عليهم الشمس ، ولا شئ من الحر " (رؤيا يوحنا اللاهوتي ٧ : ١٦)

" وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسرבלة بالشمس ، والقمر تحت
رجليها " إلى : " .. نهاراً وليلاً " (رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢ : ١ - ١٠)
" وأما الخائفون وغير المؤمنين " إلى : " .. بنار وكبريت " (رؤيا يوحنا اللاهوتي
٢١ : ٨) .

٩٢

١١٢

أهم المراجع العربية

الطبعة

- * القرآن الكريم
 * العهد القديم
 * العهد الجديد
 * ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبد الوهاب النجار
 * أبو الأعلى المودودي : تفهيم القرآن
 * البخارى : صحيح البخارى - طبعة الشعب
 * البستاني : دائرة المعارف
 * بطرس البستاني : معارك العرب في الأندلس
 * النعالي : قصص الأنبياء
 * جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى
 * ابن حجر العسقلاني : فتح البارى بشرح البخارى
 * ابن حزم : الفصل في الملل والنحل
 * ابن حيان : المقتبس في تاريخ بلاد الأندلس ، تحقيق : عبد الرحمن
 على الحجى
 * رحمة الله الهندي : إظهار الحق ، تحقيق : عمر الدسوقي
 * الزر كلى : الأعلام
 * سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة : حسن حنفي
 * الطبرى: جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق : محمود ،
 وأحمد شاكر
- القاهرة ١٩٦٢
 القاهرة ١٩٦٣
 القاهرة ١٣٤٩هـ
 لاهور ١٩٧٣
 القاهرة -
 بيروت ١٩٥٦
 بيروت ١٩٥٠
 القاهرة -
 بيروت ١٩٦٧
 - -
 القاهرة ١٩٦٤
 بيروت ١٩٦٥
 الدار البيضاء ١٩٦٤
 بيروت ١٩٦٩
 القاهرة ١٩٧١
 القاهرة ١٩٧٤
 وطبعة بولاق ..

الطبعة

- * الطبرى : تاريخ الطبرى ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم
القاهرة ١٩٦٠
- * ظفر الدين خان : الإسلام يتحدى
القاهرة ١٩٧٣
- * عباس العقاد : الله
القاهرة ١٩٦٩
- * عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل
القاهرة ١٩٦٦
- * عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء
القاهرة ١٩٦٦
- * على عبد الواحد وافي : قصة الزواج والعزوبة فى العالم
القاهرة -
- * الفخر الرازى : التفسير الكبير
القاهرة -
- * ابن كثير : البداية والنهاية
بيروت والرياض ١٩٦٦
- * ابن كثير : قصص الأنبياء ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد
القاهرة ١٩٦٨
- * ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد
القاهرة ١٩٦٦
- * ابن كثير : شمائل الرسول ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد
القاهرة ١٩٦٧
- * لسان الدين الخطيب : تاريخ أسبانيا المسلمة ، تحقيق : ليفى
بيروت ١٩٥٦
- بروفنسال
- * ليفى بروفينسال : الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة : عبد
القاهرة ١٩٥٦
- العزیز سالم
- * مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ترجمة ، عبد العزيز سالم
القاهرة ١٩٥٦
- * مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين
بيروت ١٩٧١
- * محمد البهي : الجانب الألهى من التفكير الإسلامى
القاهرة ١٩٤٥
- * محمد حسين هيكل : حياة محمد
القاهرة ١٩٦٢
- * محمد عبد الله دراز : الأخلاق فى القرآن ، ترجمة : عبد الصبور
بيروت ١٩٧٣
- شاهين

- * محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية
عهد الناصر
القاهرة ١٩٦٠
- * محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام الخلافة الأموية والدولة العامرية
القاهرة ١٩٦٠
- * محمد عبد الله عنان : الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية
القاهرة ١٩٥٨
- * محمد عبد الله عنان : دولة الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي
القاهرة ١٩٦٠
- * محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين
القاهرة ١٩٥٨
- * مسلم : صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي
القاهرة ١٩٥٥
- * ابن هشام : السيرة النبوية
القاهرة -
- * ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون
القاهرة ١٩٥٥
- * ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
القاهرة ١٩٦٣
- * الهيثمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
القاهرة ١٩٥٣
- * هـ . جـ . ويلز : موجز تاريخ العالم ، ترجمة : عبد العزيز توفيق
القاهرة ١٩٥٨
- جاويد
- * ياقوت : معجم البلدان
القاهرة ١٣٢٥هـ

أهم المراجع الأجنبية

- Anwander, Anton: Wörterbuch der Religionen, Würzburg 1962.
- Bouesse, Humbert: Le sauveur de monde, le mystere de l'incarnation, Paris 1953.
- Mensching Gustav: Leben und Legende der Religionsstifter.
- Folle – Verlag; Darmstadt, Baden – Baden, Genf o.D.
- Nolle, Wilfried; Wörterbuch der Religionen, München 1960.
- Stahlin Rudolf u.a.; Christliche Religion, Fischer Bücherei 1961.
- Staufer: Botschaft.
- Theologisches Wörterbuch zum Neuen Testament, herausgegeben von Gerhard Friedrich, Stuttgart 1954.

محتويات الكتاب

الصفحة

٥

مقدمة الطبعة الرابعة

١١

مقدمة الطبعة الأولى

مقدمة الطبعة الثانية

١٣ - ٥٧

١٣

١- فتح الأندلس

٢٠

أسباب ضعف المسلمين في الأندلس

٢٨

سقوط طليطلة

٣٠

معركة الزلاقة

٣٦

سقوط غرناطة

٤٢

٢- المعارك الكلامية حول الإسلام والمسيحية في الأندلس

٤٤

أسفار العهد القديم

٤٦

أسفار العهد الجديد

٤٨

مخطوطات الكتاب

٥٤

٣- الدعوة إلى عدم التعصب في العالم الإسلامي

٥٧

معركة المسلمين المعاصرة

٦١

مقدمة المخطوطة

رسالة القسيس إلى أبي عبيدة

٦٢ - ١١٦

٦٢

قصة التثليث

الصفحة

٦٥	صلب المسيح
٦٧	دعوته إلى الإيمان بالوهية المسيح
٦٩	معجزات عيسى في القرآن
٦٩	معجزات الخواريين
٧٠	رسالة المسيح بين المحلية والعالمية
٧٤	كيفية الحلول وتعليله
٧٧	الصلب كما يراه المسيحيون
٧٨	دعوة القسيس أبا عبيدة إلى الإيمان بعقيدة المسيحيين في المسيح
٧٩	صيغة الصلاة عند المسيحيين
٨٠	نزول النور في بيت المقدس
٨١	مكانة المطران عند المسيحيين
٨٢	ما أورده من شبهات
٨٣	الشبهة الأولى : (أحكام التوراة والإنجيل)
٨٣	الشبهة الثانية: (تعدد الزوجات)
٨٧	الشبهة الثالثة: (الطلاق)
٨٨	الشبهة الرابعة: (القتال في التوراة والإنجيل)
٩٠	الشبهة الخامسة : (من هو هارون)
٩١	الشبهة السادسة : (حقيقة ما ورد عن إبليس في الكتاب المقدس)
٩٣	الشبهة السابعة: (تحريف التوراة)
١٠٣	حقيقة ما يظهر على يد رهبانهم من خوارق العادات
١٠٥	الشبهة الثامنة: (نعيم الجنة)

رسالة أبي عبيدة إلى القسيس

١١٧ - ٢٧٠

- ١٢٠ رأى أحد ملوك الهند في المسيحية
- ١٢٢ رأى رئيس سدنة الهياكله بمصر
- ١٢٤ إبطال دعوى ألوهية عيسى (ﷺ) وإثبات نبوته من نصوص أنجيلهم
- ١٣٧ بيان اضطراب الأناجيل وتناقضها (وهو الجزء الأول من الرد على الشبهة السابعة)
- ١٥٠ إبطال دعوى صلب المسيح من الإنجيل
- ١٦٠ إبطال دعوى الصلب بدليل تاريخي
- ١٦٣ إبطال دعوى صلب المسيح بالأدلة العقلية
- ١٦٨ إبطال دعوى ألوهية عيسى بدليل عقلي
- ١٧١ الرد على الشبهة الأولى
- ١٧٣ الرد على مطاعن الأساقفة
- ١٨٢ الكلام في إعجاز القرآن الكريم
- ١٨٦ بعض ما في القرآن الكريم من المعجزات
- ١٨٨ بعض ما ورد من معجزات النبي (ﷺ)
- ١٩٥ بعض ما في القرآن من الأخبار بالغيب
- ٢٠٢ بعض ما ورد في التوراة والإنجيل من التبشير به (ﷺ)
- ٢١٧ صفات محمد (ﷺ)
- ٢١٩ إخبار اليهود عن عيسى بن مريم (ﷺ)

	تحريف التوراة وبعض ما فيها من المفتريات على الله تعالى وأبيائه الكرام
٢٢٤	وهو الجزء الثاني من الرد على الشبهة السابعة
٢٤٢	الرد على الشبهة الخامسة
٢٤٤	الرد على الشبهة الثانية
٢٤٦	الرد على الشبهة الرابعة
٢٤٧	النسخ في التوراة والإنجيل
٢٤٩	حقيقة ما يظهر في الكنائس من خوارق العادات
٢٥٣	مكانة البيت الحرام في الكتب المقدسة
٢٥٩	الرد على الشبهة الثامنة
٢٦٥	الرد على الشبهة التاسعة

خاتمتين

٢٧٢	الخاتمة الأولى
٢٧٤	الخاتمة الثانية

الكشاف

٢٧٩	الأعلام
٢٩٠	الأماكن والبلدان
٢٩٦	القبائل والأقوام
٢٩٨	الآيات القرآنية
٣١١	فقرات من الكتاب المقدس
٣٢٦	أهم المراجع العربية
٣٢٩	أهم المراجع الأجنبية
٢٣٠	محتويات الكتاب

الإنتاج العلمى لـ أ. د / محمد شامة

أولاً: الكتب باللغة العربية :

- ١- بين الإسلام والمسيحية (تحقيق وتقديم وتعليق لكتاب أبى عبيدة الخزرجى المتوفى ٥٤٨هـ)
- ٢- بحوث فى علم الأديان المقارن.
- ٣- الإسلام قوة الغد العالمية (مترجم من اللغة الألمانية).
- ٤- الإسلام فى الفكر الأوروبى (عرض وتحليل لكتاب صدر باللغة الألمانية تحت عنوان : الإسلام قوة عالمية متحركة).
- ٥- الخطر الشيوعى فى بلاد الإسلام.
- ٦- أثر البيئة فى ظهور القديانية.
- ٧- الإسلام دين ودولة.
- ٨- فى رحاب القرآن.
- ٩- الإسلام طهارة ونقاء.
- ١٠- الحسد فى القرآن الكريم بين الحقيقة والأسطورة.
- ١١- محاضرات فى علم الخطابة النظرية والعلمية (بالإشتراك مع آخرين)
- ١٢- عقائد وتيارات فكرية معاصرة (بالإشتراك مع آخرين)
- ١٣- التخلف فى العالم الإسلامى بين الداء والدواء
- ١٤- الشباب مرآة المجتمع
- ١٥- الإسلام إصلاح وتمذيب - رؤية معاصرة للحدود والتعزير.
- ١٦- العقيدة - مفهومها وتطورها.
- ١٧- لا ... لتطوير الخطاب الدينى .
- ١٨- الإسلام كما ينبغى أن نعرفه .

ثانياً : الكتب باللغة الألمانية :

19- Razi als Quranausleger und Philosoph.

20- Die Stellung der Frau im sunnitischen Islam.

21- Rituelle Handlungen im Islam.

22- Zur Fragen der Frauen im Islam.

23- Philosophie der Ehe im Islam.

24- Der Islam wie wir ihn verstehen sollen.

25- Ad-Da'Wah (Einladender Aufruf zum Islam)

ثالثاً :

أكثر من خمسين بحثاً قدمت لمؤتمرات وندوات دولية وإقليمية ، ونشرت في مجلات ودوريات علمية متخصصة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٩٧٩ / ٢٨٨٨